

سلسلة قضايا ساخنة

فضائح المشاهير وسكاكين الصحافة

إعداد
أمل جبريل

سلسلة قضايا ساخنة

فضائح المشاهير
وسكاكين الصحافة

أمل جبريل

دار ابن لقمان للنشر والتوزيع
أسسها حسن البدوى - نبيل خالد

كتاب ابن لقمان

●● سلسلة قضايا ساخنة ●●

●● اسم الكتاب : **فضائح المشاهير.. وسكاكين الصحافة.**

●● إعداد: **أمل جبريل.**

●● تقديم: **محمد جبريل.** نائب رئيس تحرير جريدة المساء

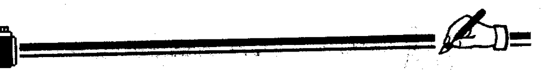
●● تليفون - ٠١٢/٣٧٤٠٥٦٧ - ٠١٠/١١٢٤٣٨٧

●● رقم الإيداع: ٢٠٠٣/١٤٩٦٦

●● الترقيم الدولى: I. S. B. N: 977 - 366 - 131 - 1

التوزيع الداخلى مؤسسة الأهرام.

القاهرة - ش الجلاء ت: ٠٢/٧٧٠٤١٩٤



هذا الكتاب
محمد جبريل

أصارحك القول بأن المشكلة التى عانيتها فى صباى، هى أن أبى لم يكن يؤمن بقدراتى الإبداعية! حقا، لقد كان يتيح لى المشاركة بآراء فى حواراته مع أصدقائه. لكن الخط الأحمر الذى كان ينبغى علىّ ألا أتجاوزه، كان قريباً منى بما يدفعنى إلى كتم ما يشغلنى من آراء يهمنى البوح بها..

تعلمت من أبى ما أعتبره هو الدعامة الأهم فى تكوينى المعرفى والوجدانى، لكن أسوار فقدان الثقة فى قدراتى الإبداعية ظلت قائمة بين أبى وبينى. .كان يكتفى بتصفح ما أعرضه عليه لقراءته، ثم يعلن تشككه!

حاولت أن أفيد من ذلك فى علاقتى بابنتى أمل. أتحت لها - بالإضافة إلى مقرراتها الدراسية - ما يضيف إلى مخزونها المعرفى. وحرصت على أن أناقشها، وأتعرف إلى آرائها فى القضايا العامة، وحرصت - فى الوقت نفسه - على أن تخلو مساحة العلاقة من أى خطوط ملونة [1]. هى علاقة أب بابنته، وهى كذلك علاقة صديقين، يتفقان أحياناً، ويختلفان أحياناً.

(١) أى الشفافية الذكية.. مراجعة.



في ضوء هذه النظرة قرأت الكتاب الذى أقدمه لك. أثق فى الحصيلة المعرفية، وعمق التأملات التى تناولت من خلالها الكاتبة قضايا قد تنتمى إلى التاريخ، لكنها تسقط ظلالها على الواقع، وتستشرف آفاق المستقبل..

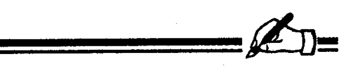
اعتبار الصحافة **سلطة رابعة** ليس مجرد شعار، أو تعبير بليغ . إنه - فى الدول الديمقراطية - **ضرورة صحية**. الصحافة هى **مرآة الرأى العام**، وهى صدى مشكلاته وهمومه وآرائه. المثل الذى يحضرنى هو دور الصحافة الأمريكية فى تنحية الرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون، عندما كشفت تفصيلات ما عُرِف بفضيحة ووترجيت!

فى فصول الكتاب علاقات عاطفية، ودسائس، وخيانات، وأنشطة مخابراتية ، وتغليب للمصالح الخاصة على الصالح العام.. وغيرها مما يعكس دور الصحافة فى الدول الديمقراطية، وهو دور يشمل كل قطاعات المجتمع، وكل شرائحه، حتى الطبقة الحاكمة. ليس بالمعنى الذى اقتصرت عليه كتابات مؤرخى العصور الوسطى من التركيز على حياة الطبقة الحاكمة، وغياب فئات الشعب، وإنما بمعنى السلطة الرابعة التى تراقب، وتوضح الحقائق، وتبدى الرأى. فتضفى بعداً رئيساً إلى جانب الأبعاد الثلاثة الأخرى ، وهى السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية.

وبعد فإنى أرجو أن تجد فى هذا الكتاب، ما وجدت أنا فيه من فائدة ومتعة.

« محمد جبريل »

« نائب رئيس تحرير جريدة المساء »



ثم انفجرت القنبلة

لم يكن دوق وندسور هو الضحية الوحيدة ـ إن جاز التعبير ـ للصحافة البريطانية . .

لقد تبعه كثيرون، حتى إن أسرار العائلة المالكة البريطانية، صارت هى المادة الرئيسية الآن للجرائد والمجلات ، وخاصة الصحف التابلويد، أو المسماة بالشعبية، أو صحف الإثارة . .

طالع قارىء «البيبول» الأسبوعية ـ ذات صباح ـ هذه الكلمات: «إن ماترويه الصحف الأمريكية والأوربية من شائعات عن قصة حب بين الأميرة مارجريت ـ شقيقة ملكة بريطانيا . . والطيار . . . ـ شائعات كاذبة . . والواقع أنه لم تنشأ علاقة عاطفية من أى نوع بين الأميرة، والطيار، وبالتالى فإن زواجهما مسألة غير واردة . .

والتقطت جريدة «الديلى ميرور» طرف الخيط، فكتبت تحت عناوين كبيرة: «رأيك مطلوب: الكابتن بيتر تونسند ـ ٣٨ سنة ـ يحب الأميرة مرجريت ـ ٢٢ سنة ـ ويريد الزواج منها . . فما رأيك فى هذا الزواج».

وفى اليوم الرابع، كانت الجريدة قد تلقت أكثر من ٧٠ألف رسالة من قرائها، أيد منهم فكرة الزواج ٦٧٩٠٧ قارئا، وعارضه ٢٢٣٥ قارئا . .

وكالعادة ، انقسم الرأى العام بين مؤيد ومعارض لتدخل الصحافة فى شئون العائلة المالكة . . قال بعض رجال الدين: نحن نحتج على هذا التدخل . .

وناقش مجلس الصحافة البريطانية استفتاء «الديلى ميرور»، باعتباره ضد تقاليد الصحافة البريطانية . .

وظل حب الأميرة والطيار محورا لتحقيقات الصحف وأخبارها، ولأحاديث الناس بالتالى . . وتعرضت الأميرة لضغوط شديدة من شقيقتها الملكة، ومن زوج الملكة، ومن رجال الكنيسة . . وفقأت «الصانداى بيكتوريال» البحصة ـ على حد التعبير اللبنانى ـ وكتبت فى السادس من مارس ١٩٥٥ تقول: على الأميرة أن تختار! . .

والتقى مراسل «الديلى ميرور» فى بروكسل بالكابتن بيتر تاونسند. قال الطيار: لا أحب أن أتكلم . إن شخصا واحدا هو الذى يستطيع أن يتكلم الآن . . هو وحده صاحب الكلمة . . وكلمته هى الأخيرة . .

يقصد بذلك **الأميرة** . .

وبدأت معركة جديدة، بين «الديلى ميرور» من ناحية ، وبين صحف أخرى ، ومن بينها بعض صحف الكنيسة . .

وكتبت جريدة «الكنائس» الإنجليزية: إن كل ما نشرته «الديلى ميرور» لا يعنى أن الأميرة ترغب فى هذا الزواج. إن كل ما قيل مجرد توقعات وتخمينات، ولم تتحدث الأميرة مع رجال الكنيسة فى أمر هذا الزواج المزعوم . .

وردت الأميرة على ما كتبته جريدة « الكنائس»: إنه لا يوجد سبب فى الأرض ولا فى السماء، يمنع من أن ترث الأميرة عرش بريطانيا، إذا ما

تزوجت. . . وأكدت « الديلى ميرور» ـ فى مواجهة الهجوم العنيف من الصحف الأخرى: أنها لاتنحاز لزواج الأميرة ولاتعارضه. . لكنها ترى أنه من حق الأميرة وحدها أن تختار. . والحب الحقيقى لابد أن ينتصر فى النهاية .

. وخاطبت الجريدة الأميرة بالقول: تحركى يا مرجريت. . اتخذى قرارا. . فقد أصبحت فى الخامسة والعشرين ! . .

وردت «الديلى اسكتش» على ما كتبته «الديلى ميرور» بأن قصة الحب بين الأميرة والطيار مختلفة من ألفها إلى يائها . .

وقالت: « النيوز كرونيكل»: لقد انحدرت « الديلى ميرور» إلى مستوى وضيع على حساب فتاة لاتستطيع ـ بسبب دقة مركزها وحساسيته ـ أن تدافع عن وجهة نظرها. .

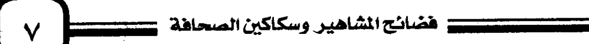
وأصدر القصر الملكى بيانا رسميا يقول: إن ما جرى هو من شئون الأميرة الخاصة.

حتى الصحف المحافظة !..

لكن تدخلات الصحافة فى قصة الحب بين الأميرة والطيار ظلت كما هى. .

أكدت « الديلى تلجراف» أن الحبيبين سيلتقيان للاتفاق بشأن الخطبة.

وخاضت صحف أخرى فى تفصيلات ـ كانت تلك الصحف قد



هاجمت «الديلى ميرور» - لأنها أوردت تفصيلات أقل أهمية منها . .

حتى الإيكونومست « - المحافظة - كتبت تقول: على الأميرة أن تقرر موقفها بصفة نهائية: إذا أرادت أن تتزوج الطيار بيتر تاونسند، فإن الضمير الديمقراطى يحتم عليها أن تفعل ذلك . .

وأصدر القصر الملكى بيانا، أكد فيه أن الأميرة اختارت واجبها، بما يعنى أنها وأدت قصة حبها للطيار المطلق ! . .

كان من الواضح أن الأميرة قد تعرضت لضغوط قاسية هى التى أملت عليها الموافقة على هذا البيان . .

وتحدثت مجلة « النيو ستيستمان» عن وظيفة الصحافة، وأنها إطلاع الرأى العام على الحقائق. أما هؤلاء الذين يسعون إلى حجب الحقيقة فى قصة حب الأميرة والطيار فإنهم مخطئون . .

وبالطبع، فإن كلمات المجلة كانت تستهدف الدفاع عن حق الصحافة فى تقديم كل ما تحصل عليه من معلومات لقرائها، بصرف النظر عن مكانة من تتصل بهم تلك المعلومات . .

مهمة الصحافة - فى تقدير « النيوستيستمان» - هى تقديم الحقيقة. هذا هو الهدف . . أما الوسائل فليست أكثر من أمور ثانوية !! . .

الطريف أن الأميرة مرجريت تزوجت - بعد ذلك بسنوات - رجلا يعمل بالصحافة، الصحافة التى طالما ناقشت أدق أمور قلبها - ولم يكن بوسع الكنيسة ولا القصر أن يرفضا الرجل الذى لم يسبق له الزواج . . .

ثم طلقت الأميرة فى عام ١٩٧٨ من زوجها المصور ايرل سنودون، وظلت بغير زواج.. وأثير حولها العديد من الفضائح والعلاقات العاطفية الحادة.. لكن الصحافة البريطانية كانت قد اعتادت الخوض - بلا حرج - فى صميم الحياة الخاصة لأفراد العائلة المالكة. حتى الملكة أليزابث نفسها، أصبحت تقرأ أخبارها الأسرية فى الصحف، لم يعد ثمة ما يثير، أو يجلب السخط أو الاستنكار.. وما كان غير مألوف قبل سنوات، أصبح اليوم أمرا عاديا للغاية.. والجميع - بصرف النظر عن اعتبارات المكانة - يظهرون أمام قراء الصحف.. بلا رتوش.. وبلا قداسة..

والواقع أن مرجريت عرفت - فيما بعد - العديد من الرجال، ووجدت الصحف - فى توالى الصداقات - ما يغرى بالكتابة، حتى استسلمت الأميرة - فى النهاية - إلى حكم الزمن..

صور الإنفصال !..

وإذا كانت الصحف قد أسهمت فى تقرير « مصائر» بعض الزعماء ونجوم المجتمع.. فإن الصحف البريطانية كانت هى السبب المباشر فى انفصال الأمير اندرو وزوجته سارة..

لقد نشر الصحفى الإيطالى دانيلى انجيلى مجموعة الصور النادرة التى التقطها لسارة وعشيقها المليونير الأمريكى جون برايان.. فقامت الدنيا، ولم تقعد إلا بعد أن غادرت سارة قصر باكنجهام فى يوم اجتماع العائلة المالكة السنوى، داخل كنيسة كراثى.. بما يعنى أنها لم تعد واحدة



من أفراد العائلة . .

وكانت المصادفة ـ وحدها ـ هى التى حققت للصحفى وللمصور الإيطالى الفوز بسبقه المثير . . فقد طرده المليونير الأمريكى من حفل حضره الكثيرون، بالإضافة ـ طبعا ـ إلى جون برايان وسارة . .

ووقف الصحفى فى مكان داخل غابة باين فى سانت روبيز بفرنسا، يطل على حمام السباحة الملحق بمكان الحفل، ليفاجأ بالمشاهد العاطفية الساخنة بين الحبيبين، والتى ما لبث أن التقطها، ليجنى من ذلك نصرا صحفيا وماديا هائلا، ولينهى العلاقة بين الأمير الإنجليزى وزوجته . .

لقد ثار الرأى العام البريطانى ـ وهو المعروف ببروده وشدة تسامحه ـ وأسقط كل تعاطف كان قد أبداه نحو سارة أثناء حياتها الزوجية . .

وأجرت « الصنداى اكسبريس» استفتاء ـ عقب نشر الصور ـ قالت فيه: ٨٦٪ من البريطانيين إنهم يؤيدون سحب لقب أميرة من سارة . . وأكد ٦١٪ أن ما فعلته المرأة يمثل فضيحة هائلة للعائلة المالكة . . وخمن أقل من ثلث المشتركين بأن النظام الملكى قد يستمر مائة عام أخرى فى المملكة المتحدة . .

وقال الخبثاء: هذه ثانى مؤامرة أمريكية على التاج البريطانى، بعد مؤامرة المطلقة الأمريكية ـ التى أجبرت ملك انجلترا الأسبق على التخلى عن عرشه . . فبطل الضحية الجديدة أيضا، مليونير أمريكى.





تاريخ قديم..

والحق أن الصحف البريطانية لم تبدأ فى تناول حكاية سارة منذ ذلك اليوم الذى نشرت فيه صورها مع الصديق الأمريكى. . لكنها أفردت الصفحات، منذ اليوم التالى الذى نشر فيه نبأ العلاقة بين الأميرة والحسناء، لتناول حياة سارة: طفولتها، نشأتها، والعوامل المميزة لشخصيتها الخ. .

لقدا انفصلت أمها عن أبيها، قبل أن تبلغ سارة الثالثة عشرة من عمرها، وظلت الفتاة وحيدة مع أبيها. .

وفى سن السابعة عشرة، أصبحت سارة شابة فى العشرين. أقامت معه ! علاقة عابرة فى شقة مفروشة بأحد المنتجعات السويسرية. . ثم تعرفت إلى قائد سباق سيارات، واستمرت العلاقة بينهما أربع سنوات، وانتهت فى العام ١٩٨٤. .

أما أول لقاء لها بأندرو فى شبابها (كانت تعرفه فى صباها بصورة سطحية)، فكان فى ١٩٨٦، وكما قال أندرو: لقد تعلق كل منا بالآخر منذ اللحظة الأولى، وقررنا الزواج . . .

وفى يوليو من ذلك العام، وفى نفس الجو الأسطورى الذى تم فيه زواج تشارلز وديانا، تزوج أندرو وسارة، وإن لم تتكرر تسمية **زواج العصر !...**

الطريف أنه عند دخول سارة فيرجسون ـ دوقة يورك ـ فى حياة



العائلة المالكة، وجدت حفاوة تفوق ما كانت تلقاه ديانا . .

كانت ديانا فى نظر أفراد العائلة مجرد عارضة أزياء، وزوجة مطيعة. ولم تكن على استعداد لأداء دور أكبر من ذلك . .

أما سارة، فهى أكبر من ديانا فى السن، ولها تجارب مفيدة . . ومن ثم فقد استطاعت أن تندمج بسرعة فى العائلة المالكة، وتظهر استقلاليتها ونشاطها بما انعكس على نظرة القصر إليها، ونظرة الإعلام أيضا . . واعتبرها الجميع نموذجا ينبغى على ديانا أن تحتذى به، واعتادت ديانا إجراء المقارنات بينها وبين سارة، وسؤال تشارلز المستفز لها: ألا تستطيعين أن تكونى مثل سارة . .

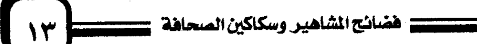
مع ذلك، فقد أصبحت سارة فرجسون مادة شهية للصحف البريطانية التى كتبت . . . عن استمرار علاقتها بقائد سيارات السباق المليونير الأمريكى جون برايان، ونقلت عنها قولها: إنه ـ أى برايان ـ فارسى، ودرعى فى مواجهة العالم. واعترفت أنها ترسل وراءه الجواسيس، ليأتوها بأخباره مع المعجبات . .

وأطلقت عليها الصحف « شوال البطاطس» لزيادة وزنها بدرجة ملحوظة، وانتقدت تصرفها عندما ركبت جوادا، وتزحلقت على الجليد، فى أيام حملها الأولى . . وعندما تركت ابنتها ذات السبعة عشر أسبوعا لتقضى رحلة ترفيهية فى استراليا . . ثم تركت ابنتها الثانية لتقضى أياما ممتعة فى المغرب . .



ثم صحبت ابنتها الكبرى فى رحلة للتزحلق على الجليد، بينما كانت الابنة الصغرى تعانى درجة حرارة بلغت الأربعين . .

وتعددت ملاحظات الصحف حول إصرار سارة على تحطيم قواعد البروتوكول الملكى، والاندفاع وراء نزواتها، وأخلاقها السوقية، وعنفها المبالغ فيه، مع الحراس والخدم والإهمال الذى تعانيه طفلتاها، حتى لقد ذهبت بياتريس (أربع سنوات) إلى مربيتها، لتهمس فى أذنها: رأيت أمى فى الفراش مع جون . . وجون هو المليونير الأمريكى، وبطل الصور التى كانت عاملا حاسما فى خروج سارة من القصر الملكى .



.. ثم انفجرت القنبلة ..

الفيلا اسمها قصر «لى ماس دى بيجنبرول»، فى «سان تروبيز» بجنوب فرنسا، جعلها برايان مكانا لقضاء إجازاته بعيدا عن الأعين المتطفلة، وأحاطها بسياج كثيف من الأشجار . .

لكن المصور الايطالى دينو انجيلى استطاع بكاميرته الدقيقة أن يصور الانتصار الفضيحة، أو الفضيحة السبق.

كان حجم العدسة ٨٠٠مم بدلا من العدسة العادية ٣٥ مم، وحصل بذلك على لقطات واضحة من على بعد مئات الأمتار لسارة وجون برايان، أمام حمام السباحة بفيلته ومعهما طفلتاها بياتريس وايوجين . .

ونشرت مجلة « بارى ماتش « الفرنسية الواسعة الانتشار ١٣ صورة لسارة وبرايان . . تمثل الأميرة الانجليزية فى مواقف غير بريئة مع المليونير

الأمريكى.. بل إنها كانت تبدو لقارئها كأنها مأخوذة من أحد أفلام الجنس..

وعندما نشرت « بارى ماتش » الصور، كان أندرو وسارة وطفلتاهما يقضون عطلة صيفية قصيرة مع بقية أفراد العائلة المالكة.. وأحدثت مشاهدتهم للصور ما يشبه الصاعقة أو الزلزال المدمر! أنهت الإجازة، وابتعدت عن الجميع لمواجهة النتائج المرتقبة..

ولم تكن صور سارة وبراين هى الأولى فى حياة دوقة يورك، أو فى مسلسل فضائحها على حد تعبير الصحف البريطانية..

ففى العام ١٩٩٠ كانت عاملة نظافة تعيد ترتيب شقة يملكها ستيف وايت فى العاصمة البريطانية، ويؤجرها أثناء إقامته فى بلاده. وستيف مليونير أمريكى، وابن بالتبنى لأحد أصحاب حقول البترول فى تكساس.

وعثرت العاملة على ١٢٠ صورة تبدو فيها سارة وطفلتاها مع ستيف وايت فى جلسات أسرية، أثناء إجازة أمضوها فى المغرب ١٩٩٠..

وعرفت الصور طريقها إلى صحف الإثارة اللندنية، وأحدثت رد فعل سيئا فى نفس الملكة، وبين أفراد العائلة المالكة.. فقد زادت من اهتزاز وضع العائلة فى المجتمع البريطانى...

ورغم التحرر المعلن للأمير اندرو، فقد أعلن استياءه لما شاهد ستيف وايت يحمل طفلته بياتريس (٣ سنوات)، وتساءل فى غضب: ماذا يفعل هذا الرجل مع ابنتى.. هل يحاول أن يقوم بدور الأب لها.. وهل يقوم

بدور الزوج أيضا . .

واتسعت ـ من يومها ـ شقة الخلاف بين سارة واندرو! . .

دليل دامغ..

لقد عجزت سارة عن الحياة فى بيئة تدين بالتقاليد الصارمة، فضلا عن تبرمها من غياب زوجها أندرو الضابط بالبحرية البريطانية، لشهور طويلة، فى مهام خارج البلاد . .

حاولت سارة أن تواجه هذه الحياة باتباع أسلوب اللامبالاة الذى حرصت على تأكيده فى كل المناسبات العامة والخاصة . . وصرحت لمجلة انجليزية: إننى أريد التخلص من هذه الحياة. أريد أن أفر من التعليمات التى لاتنتهى . . افعلى هذا ولاتفعلى ذاك . .

والحق أن فضيحة سارة كانت أقسى ما عانته الملكة اليزابيث، لأن صور ديانا والمليونير الأمريكى كانت دليلا دامغا، ليس ضد سارة وحدها، وإنما ضد أفراد العائلة المالكة جميعا، فقد ظهروا وكأنهم تفرغوا للمغامرات الجنسية، وحكايات الحب الفاشلة، فى حين أن الشعب البريطانى يعانى **البطالة والكساد الاقتصادى وارتفاع الضرائب..**

قيل إن أقسى الأوقات التى مرت بها الملكة عندما أبلغت بنبأ اغتيال عمها اللورد مونتباتن على أيدى منظمة الجيش الجمهورى الايرلندى. أمضت أياما متوالية مستسلمة لحزن عميق. لم تفلح كل محاولات زوجها الأمير فيليب ولا أفراد العائلة فى خروجها منها لفترة طويلة . .



أما فضيحة سارة، فقد كانت صدمة بكل المقاييس.. فهى ليست مجرد شائعات ولا تسجيلات قد تكون مزورة، لكنها صورة حقيقية فيها عناق وقبلات أمام طفلتين صغيرتين.. بريئتين..

ثم تفجرت فضيحة أخرى، عندما أصدرت لاعبة البولو ليسلى بلاير كتابا تقاضت فيه بضعة آلاف من الجنيهات الاسترلينية، وسمته « حكايتى» ... وحكاية ليسلى لاتتصل بأحد أفراد العائلة المالكة بصورة مباشرة.. لكن طرفها الآخر أحد أنسباء العائلة. إنه ـ بالتحديد ـ رونالد فيرجسون، والد دوقة يورك، الأميرة سارة..

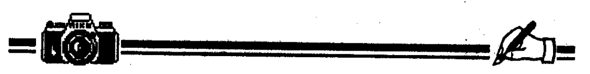
ليسلى تؤكد فى كتابها أن المليونير الأمريكى ستيف وايت كان يصادقها فى نفس الوقت الذى صادق فيه سارة.. وأنه لذلك السبب تعرضت لسخط ساره..

أقامت لسلى ـ حسب روايتها ـ علاقة مع ستيف وايت، استمرت خمسة أسابيع، منذ لقائهما الأول فى حفل أقامه أحد أصدقاء الطرفين.. وتضيف أنه لما انتهت علاقتها بستيف عادت إلى علاقتها بالميجور فرجسون..

وكانت تلك الأسابيع الخمسة، بداية كراهية سارة لليسلى، التقيا للمرة الأولى فى إحدى دورات البولو، وظلت علاقتهما منذ ذلك اليوم، طيبة للغاية، حتى عرفت سارة بعلاقتها بستيف وايت، فناصبتها العداء..

ومع ذلك، فإن ليسلى تعتز بأنها كانت على صلة حميمة بوالد





سارة، الذى صحبها إلى بيت الأسرة فى سانينج هيل بالقرب من قصر وندسور فى بيركشاير، للاستمتاع بأوقاتهما . .

أخطر ما روته ليسلى أن الميجور فرجسون اعترف لها أن ابنته صارحته بعلاقتها بالمليونير ستيف وايت، وأنها لا تريد الاستمرار فى حياتها الزوجية مع الأمير أندرو، لأنها لا تشعر بالسعادة معه . .

وقال فيرجسون ببساطة ـ أكدتها ليسلى: لقد اتصل بى ستيف وايت، وصارحنى بحبه لابنتى . وكان يتحدث معى بحميمية كأننى حماه .

أما كيف بدأت سارة صداقتها بالميجور، فهى تعود إلى نوفمبر ١٩٩٠، عندما نظمت دورة فى البولو، ووجد فيها الرجل صديقة مناسبة، تثرى أعوام عمره المتقدمة . .

وقد رفض الميجور فيرجسون أن يعلق على ما روته ليسلى، واكتفى بالقول إن «القضية» الآن فى أيدى المحامين . .



تجميل الصورة

وإذا كانت ديانا تتمتع ـ حتى الآن ـ بحب البريطانيين، وبرغم ما نشر من تسجيلات بينها وبين أصدقائها الحميمين . . فإن استطلاعات الرأى أكدت أن ٧١٪ يرون أن ما فعلته سارة بصورها العارية، قد حقق أشد الأضرار بالعائلة المالكة، وأنه أكثر الشخصيات التى أساءت إلى العائلة بعد أن انضمت هى إليها . . لذلك كان طلاقها ضرورة وليس مجرد توقع . .



لكن سارة تحاول ـ فى الفترة الأخيرة ـ أن تجرى رتوشا لصورتها فى أعين الملايين الذين شاهدوا صورها عارية . .

وآخر ما قدمته سارة فى هذا السبيل سفرها إلى بولنده كمتحدثة رسمية لمؤسسة الملاك الدولى . . وهى مؤسسة ترعى الأطفال المرضى بالسرطان فى كل دول العالم . .

وقد حرصت على أن ترافقها بعثة تصوير تليفزيونية أمريكية، أنتجت لها فيلم فيديو، وعرضته فى الكثير من محطات التليفزيون الأمريكية . . واتساقا مع محاولاتها للمشاركة فى الأنظمة المختلفة، فإن سارة قامت برعاية البطولة السنوية لرابطة الرياضة الشتوية، وسلمت الجوائز للفائزين . . وكانت عدسات المصورين تتابع وتلتقط . . وهذا هو المطلوب . .

لقد اعتادت سارة نعوت الصحافة البريطانية لها، فهى فيرجى السمينة، والدوقة الممتلئة، وتعبيرات أخرى أشد قسوة . . ورغم ذلك، فهى تحاول ـ بعد أن هدأت العاصفة نسبيا ـ أن تتجاوز ذلك كله، وتعود إلى حياة التحرر والانطلاق التى تحبها. نعم، أثر نشر الصور على تصرفات سارة، بل وعلى تكوينها الجسمى . . فقد نقص وزنها كثيرا، وظهرت التجاعيد فى وجهها . . لكنها بدأت رحلة تغيير الصورة بالإسهام فى النشاط الإجتماعى، إن لم يكن فى بريطانيا فبواسطة المنظمات الدولية . .



أما الطفلان اللذان أهملت وقفتهما وهى تستقبل العناق الدافىء للمليونير الأمريكى، فقد حرصت على أن تبدى اهتمامها بهما من خلال إصطحابهما إلى مدرستهما، والعودة منها، والمشاركة فى الأنشطة المدرسية، ومساعدة الطفلين على مذاكرة دروسهما، وذلك كله بمتابعة صحفية، بالصورة والقلم، عسى أن تخفف تأثير الصدمة التى أحدثتها نشر الصور فى نفوس البريطانيين، بدأ بالملكة اليزابيث التى اعتبرت تلك الصور أسوأ ما صادفته فى حياتها، ثم المواطنين الإنجليز، وخاصة الأمهات اللائى أعلن استياءهن من افتقاد دوقة يورك للأمومة، إلى حد أنها احتضنت عشيقها أمام طفلتيها . .

وزاد حدة السخط على سارة، ما يكنه البريطانيون للأمير أندروا من مشاعر طيبة، فهو مرح وبسيط وغير متكلف، وشارك فى معركة فولكلاند وأثبت أنه جندى مخلص، دافع عن بقايا الامبراطورية الغاربة.

أما شقيقه الأكبر تشارلز فإن الصحف تطلق عليه «الضفدع القبيح» لأنه يميل إلى الانطواء والاعتكاف، ولا يحب الظهور ولا التصوير أو التحدث إلى الصحفيين . .

وأما سارة، فقد أكدت ـ ردا على أسئلة الصحفيين ـ أنها لن تتزوج أحدا بعد طلاقها من أندرو . . فكل ما تأمله فى أيامها القادمة، أن تتاح لها تربية طفلتيها بصورة جيدة . .



العذراء والشعر الأبيض

إذا كان علماء الاجتماع يصفون الرواية بأنها مرآة المجتمع، فإن ذلك الوصف ينطبق ـ بصورة أدق ـ على الصحافة.

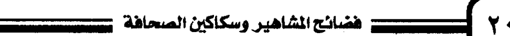
الروائى ينقل بانوراما المجتمع. لا ينقل الواقع كما هو.. لكنه يخلط الواقع بالخيال، لتتحقق المعادلة الفنية..

أما الصحافى فإن براعته فى نقل الواقع، فى تصوير الأحداث كما جرت، والوقائع فى صورتها الحقيقية، والنقل عن المصادر ما تقوله بالفعل.. فإذا أضاف من خياله، أو اخترع ما لم يحدث، أو ما لم يقل، فهو يسىء إلى أمانة المهنة..

الصحافة إذن هى مرآة المجتمع، صدقها بقدر أمانتها فى التصوير والنقل والتعبير..

وقد أطلقت على الصحافة تسميات كثيرة، مثل **«صاحبة الجلالة»**، تعبيرا عن المكانة المتميزة التى تتفرد بها.. **«والسلطة الرابعة»** بما يعنى أنها تأتى بعد السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية.. وقيل إنها مهمة « **البحث عن المتاعب**».. وكانت الصحافة ـ فى الكثير من الأحوال ـ تعبيرا عن كل تلك التسميات..

فالصحفى يدرك مسئوليته فى وجوب تقديم المعلومة الصحيحة والرأى الذى يستند إلى وثائق وبيانات، فينتقل إلى مواقع الأحداث، يسأل ويناقش ويتحرى الحقيقة ويواجه الأخطار، لتتخلص له الصورة الأمينة



الدقيقة فى النهاية . .

وعندما ينشر الصحفى ما توصل إليه من معلومة أو قناعة فى الرأى، فإنه ينبه الرأى العام فى بلاده، وربما فى خارجها أيضا، إلى أسرار قديفلح أصحابها فى كتمها طويلا، لأسباب خاصة أو عامة، وإن كان واجب الصحافى أن يكشف تلك الأسرار، ليعرف الرأى العام كل شىء . . وتحدث مفارقات ومآس وطرائف ومصادرة وعمليات اغتيال، فى مواجهة المحاولات الدائبة والمستمرة لعشرات الصحفيين فى كل أنحاء العالم، يسعون إلى كشف الحقيقة، وتقديمها إلى القارئ . .

الإحصائيات تؤكد أن الصحفيين - من بين كل المشتغلين بالمهن الحرة، هم أقصرهم أعمارا . .

وعدد القتلى أثناء أداء مهامهم - من بين الصحفيين - يحتل نسبة المقدمة من بين كل العاملين فى المهن الأخرى . . لا يفوقهم فى ذلك سوى ضباط الجيش أو الشرطة . . لاعتبارات وظيفتهم بالطبع ! . .

وهذه محاولة للدخول إلى عالم المغامرات المثير المسمى «عالم الصحافة»، حرص المئات من الصحفيين على أن يصلوا إلى المعلومة مهما كلفهم الأمر من متاعب ومواجهات مع السلطة الحاكمة، أو منظمات الجريمة، أو حتى الشخصيات ذات النفوذ . .

دنشواى..

كانت الصحافة هى سبيل الزعيم المصرى الراحل **مصطفى كامل**،

لتعريف الرأى العام بالقضية المصرية، وشرح أبعادها . .

وقد تحول مصطفى كامل فى أعقاب **حادثة دنشواى** من زعيم سياسى إلى صحفى، أثار الرأى العام العالمى بمقالات توضح وتفضح، وتدين ممارسات سلطات الاحتلال فى بلاده . . وأصبحت **مأساة دنشواى مأساة عالمية**، غضب لها الرأى العام فى كل مكان.

حادثة دنشواى - باختصار - تبدأ يوم الأربعاء ٣١ يونيو ١٩٠٦، عندما وصلت كتيبة من نحو ١٥٠ جنديا بريطانيا إلى مدينة منوف. وأبلغ خمسة من ضباطها مأمور المركز أنهم يرغبون فى الصيد فى بلدة دنشواى التابعة للشهداء بمركز شبين الكوم، والمشهورة بكثرة حمامها . .

وأعد لهم المأمور مركبات تقلهم إلى دنشواى . . ووصل الضباط إلى قرية كمشيش، ومنها إلى سرسنا، ثم دنشواى . . وكان يرافقهم جندى شرطة مصرى وترجمان . .

ووقف عدد من الضباط على الطريق الزراعى لصيد الحمام من خلال الأشجار، بينما جاس الآخرون خلال أجران القمح فى دنشواى، ليصطادوا ما بها من الحمام . .

وصوب أحد الضباط على حمامتين تقفان على جرن مملوك لمؤذن القرية، واسمه محمد عبد النبى، ويعمل به شقيقه شحاته عبد النبى . .

وصاح بالضابط عجوز اسمه حسن على محفوظ (أول من صدر ضده حكم بالإعدام) طالبا منه أن يكف عن إطلاق الرصاص، وإلا

آحترق الجرن . . لكن الضابط استمر فى إطلاق رصاصاته حتى أصاب زوجة المؤذن واسمها أم محمد كما أصاب الجرن ، فاشتعلت فيه النيران . .

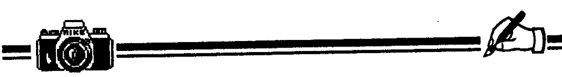
وأحاط أهل القرية غاضبين، بالضباط، وجاء بقية الضباط الإنجليز لإنقاذ زميلهم، كما هرع إلى المكان شيخ الخفراء ومعه الخفراء لتفريق الأهالى، وتخليص الضابط من أيديهم . .

وتصور الضباط أن الخفراء قدموا يقصدون شرا بأهل القرية، فأطلقوا عليهم الرصاص، فأصيب شيخ الخفراء فى فخذه، وأصيب الثانى من عيار آخر، واثنان آخران أحدهما خفير . .

ولجأ الأهالى - فى غضب له مبرراته - إلى ما بأيديهم من حجارة وعصى، وانهالوا ضربا على الضباط، فأصيب أحدهم بكسر فى ذراعه، وأصيب إثنان بجروح بسيطة، ولاذ ضابطان بالفرار من مكان الحادثة، وظلا يعدوان نحو ثمانية كيلو مترات فى عز الظهيرة، وأحدهما، واسمه الكابتن بول، مصاب بجرح بالغ فى رأسه، حتى وصلا إلى باب سوق سرسنا . .

وسقط الكابتن بول بتأثير ضربة الشمس، فتركه زميله، وواصل الفرار حتى وصل إلى معكسر الكتيبة فى كمشيش . .

وأسرع الضباط والجنود الإنجليز إلى سرسنا، وظنوا أنها دنشواى ورأوا زميلهم المتأثر بضربة الشمس وهو يشرب الماء من كوب قدمه له فلاح مصري اسمه سيد أحمد سعيد، هجم عليه الضباط والجنود الإنجليز على الفلاح دون تدبر، وانهالوا عليه بالسونكى ومؤخرات البنادق، حتى



مات بين أيديهم، ولم يقدَّم أى من قاتليه إلى المحاكمة. . وعرف الرجل **بشهيد سرسنا.**

وكعادة المحتل، ألقى القبض على العشرات من أبناء دنشواى والقرى المحيطة. . وأعدت محكمة صورية، سبقها وضع المشانق فى ساحة القرية الرئيسية، بما يشير إلى طبيعة الأحكام التى ستصدر. .

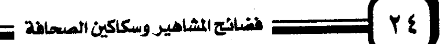
وبلغ عدد المتهمين فى القضية ٥٢ مواطنا، فضلا عن سبعة من الغائبين. .

ومع أن أقوال الشهود، وتقرير الطبيب الشرعى - وهو انجليزى - أكدت أن وفاة الكابتن بول تعود - بصورة مباشرة - إلى إصابته بضربة الشمس، فإن المحكمة أصدرت أحكاما بالإعدام والأشغال الشاقة المؤبدة والسجن والجلد. .

ونفذ الحكم فى اليوم التالى مباشرة، فى نقطة الشهداء التى تبعد نحو عشرين كيلو مترا من شبين الكوم، وأربعة كيلو مترات من قرية دنشواى. وكان التنفيذ أشبه بمجزرة وسط صراخ أهالى المحكوم عليهم وبكائهم! . .

الصحفى زعيما..

كان نجاح الصحافى مصطفى كامل فى توضيح مأساة دنشواى للرأى العام العالمى، هو السبيل لتأكيد نجاح الزعيم السياسى مصطفى كامل فى قيادة الحركة الوطنية المصرية. .



تبين له أن الكتابة فى الصحف المصرية لن تجنى ثمارا فعلية فالرأى العام المصرى يدرك أبعاد قضيته تماما، وقد شاهد المأساة على الطبيعة، أو تابعها فى صحف بلاده..

واختار مصطفى كامل - بلغة أيامنا الحالية - الإعلام الخارجى، فذهب إلى لندن، واجتمع بكبار الساسة الإنجليز وكبار المثقفين والمفكرين، وكتب فى الصحف الإنجليزية..

قال مصطفى كامل فى مقالة بعنوان « إلى الأمة الإنجليزية والعالم المتمدن» (١٨/ ٧/ ١٩٠٦) بعد أن شرح تفصيلات الحادثة: «.. ولكن ما عرفها أصحاب الأمر من الإنجليز فى مصر حتى فقدوا رشدهم، وثاروا لقيام المصريين بالدفاع عن أنفسهم وعن أملاكهم وبدلا من أن يقابلوا الحادثة بسكون ورباطة جأش، وينظروا إليها كما ينظرون إلى غيرها من المعارك والمشاجرات التى كانت تحدث من هذا النوع، بالغوا فيها، وجسموها... وأعلنت الصحف الموالية للإحتلال قبل المحاكمة، أن العقوبات والعبرة التى ستُضرب للناس ستكون هائلة، فلم تكن العدالة إذن هى المنشودة من المحاكمة، بل كان المنشود هو الإنتقام إلخ»..

وكتب مصطفى كامل فى «الفيجارو» الفرنسية مقالة، تناول فيها ظروف حادثة دنشواى، والأحكام التى أعقبتها، وأسلوب التنفيذ الوحشى.

وأكد أن الحادثة قضت على مزاعم المعتمد البريطانى اللورد كرومر، بأن الفلاحين المصريين يحبون الإحتلال..



وقال: « إن مقصدنا الذى نرمى إليه، هو استقلال وطننا، ومحال أن يوجد شىء ينسينا ذلك المقصد».

كان نجاح الصحفى مصطفى كامل فى توضيح مأساة دنشواى للرأى العام وثار الرأى العام الأوروبى، حتى آضطر وزير الخارجية البريطانى إلى سحب كلمة كان قد ألقاها فى مجلس العموم، برر بها ما حدث، بأن التعصب الدينى بلغ فى مصر درجة خطيرة..

كما اضطرت الحكومة البريطانية إلى إصدار قانون بتعديل قانون المحكمة المخصوصة..

وكان من أهم ما أثمرت عنه الحملة الصحفية أيضا، استقالة اللورد كرومر - المعتمد البريطانى حينذاك - البطل الرئيسى فى المأساة، فى إبريل ١٩٠٧، فضلا عن نتائج أخرى مهمة، فى مقدمتها ألا وهى: تصاعد المد الوطنى بصورة واضحة..

- اهتمام الصحف العالمية بقضية الإحتلال البريطانى لمصر..

- سعى الحكومة البريطانية لتغيير سياستها فى مصر..

- تأسيس الحزب الوطنى برئاسة مصطفى كامل، والذى جعل من زوال الإحتلال البريطانى قضيته الأساسية.. وتبعه قيام أحزاب سياسية أخرى، بداية لحياة سياسية واسعة..

- تعيين سعد زغلول وزيرا للمعارف العمومية..



العقاد ضد نسيم

ومع تعدد المعارك التى خاضها العقاد فى المجالات السياسية والثقافية المختلفة.. فإن فى مقدمة المعارك التى حقق فيها انتصارا مؤكدا، معركته ضد وزارة توفيق نسيم، التى أعدت مشروعا مشبوها لتعديل دستور ١٩٢٣ فى مصر..

توالت مقالات العقاد، تدين وتفضح المؤامرات التى تحاك فى مجلس الوزراء لتشويه الدستور.

كان رأى العقاد أن تلكؤ توفيق نسيم فى إعادة دستور ١٩٢٣، والزعم بوضع دستور جديد عن طريق جمعية وطنية منتجة، يمثل جريمة لا يمكن السكوت عنها..

وكتب فى جريدة «البلاغ» يقول: إن الدستور كما كتب يعلن. وإذا كانت به أخطاء، فإن البرلمان يناقشها..

وأحدثت المقالات رد فعل واسعا، حتى إن مصطفى النحاس استدعى العقاد، وأبدى له استياءه من الحملة على وزارة نسيم.. فقال العقاد إنه يحمل على الوزارة لأنها انحرفت.. فهى تماطل فى إعادة الدستور، وتعمل لصالح الإنجليز.. بالإضافة إلى أن وزير المعارف فيها ـ نجيب الهلالى ـ يضطهد الوطنيين..

وقال له النحاس:

ـ ولكنى أؤيد الوزارة.. أنا زعيم الأمة.. فما رأيك..

قال العقاد بسرعة وبساطة:

- أنت زعيم الأمة، لأن هؤلاء انتخبوك - وأشار إلى الجالسين فى مكتب النحاس - ولكننى كاتب الشرق بالحق الإلهى . .

ثم أخرج العقاد قلما صغيرا من جيبه، وقال إنه لن تنتهى برية هذا القلم إلا وقد إنتهى أجل هذه الوزارة . .

وكنتيجة مباشرة لعنف حملة العقاد، قدمت وزارة توفيق نسيم إستقالتها. وتولى بعده يحيى إبراهيم . . لكنه لم يستطع الصمود كذلك، مما اضطر الملك فؤاد إلى التراجع عن محاولة تعديل الدستور، فأصدره كما تم وضعه فى ١٩ إبريل ١٩٢٣، فيما عدا النصوص المتعلقة بالسودان.

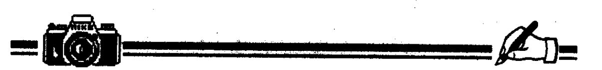
سقطت وزارة توفيق نسيم، وإن أفلح حزب الوفد - فيما بعد - فى إغلاق « روز اليوسف» ودفع العقاد ثمن حرية رأيه . . فقد أصبح بلا عمل . .

العذراء والشعر الأبيض

وأحيانا، كانت المصادفة - أو الحظ - سببا فى حصول بعض الصحفيين على مادة مثيرة . .

وعلى سبيل المثال، فقد سافر جبرائيل تقلا، صاحب الأهرام فى الثلاثينيات، إلى سويسرا لقضاء إجازته السنوية . .

ونزل أثناء رحلته فى فندق صغير . .



وسأله موظف الإستقبال:

ـ كم ليلة ستقضيها..

قال جبرائيل تقلا:

ـ ليلة واحدة..

وسأله الرجل ـ كالعادة ـ عن اسمه وجنسيته، فذكر الإسم، وذكر الجنسية..

وارتفع صوت موظف الإستعلامات ـ وكان هو صاحب الفندق نفسه ـ قائلا له بفرحة طفولية:

ـ بين نزلاء الفندق مصرى آخر ذو مكانة رفيعة.. وافقت على زواجه من ابنتى..

قال تقلا:

ـ ما اسم هذا الرجل..

ـ توفيق نسيم..

وأخفى جبرائيل تقلا وجهه من الدهشة.. فقد كان توفيق نسيم بالفعل سياسيا مصريا بارزا، وتولى أكبر مناصب فى الدولة..

وعرف تقلا من صاحب الفندق أن السياسى المصرى نسى أعوام عمره المتقدمة، فوقع فى حب ابنته صاحب الفندق، وهى فتاة صغيرة لم تجاوز الرابعة عشرة من عمرها..

وبتلقائية، طلب جبرائيل تقلا من صاحب الفندق، أن يطيل الفترة التى سيقضيها فى الفندق، فلا تقتصر على ليلة واحدة.. وكتب: الإقامة مفتوحة..

أحس الرجل أنه عثر على قصة صحفية مثيرة.. سياسى مصرى كبير السن والمكانة، يحب فتاة نمساوية، ويتقدم لزواجها..

وعندما تجمعت كل المعلومات اللازمة، جلس جبرائيل تقلا، فكتب برقية مطولة إلى «الأهرام» بتفاصيل الحدث المثير..

وظهرت «الأهرام» فى اليوم التالى، وفى صدرها قصة الغرام العجيبة ونقلت الصحف الأخرى من الأهرام، وأضافت إلى القصة المزيد من التوابل، حتى تحولت إلى قضية سياسية، يتابع الناس تفصيلاتها الحقيقية والمكذوبة فى الصحف، ويثرثرون بها فى مجالسهم الخاصة..

وزاد الخرق اتساعا، حين وصل توفيق نسيم إلى مصر، ترافقه عروسه الشابة ووالدها..

ورأى والد العروس قصر توفيق نسيم بشارع أهرامات الجيزة، فقال مدفوعا بتأثير مهنته:

- هذا القصر يصلح فندقا كبيرا أديره بنفسى..

وتلقف أقارب السياسى المصرى والصحفيون ما قاله الرجل. وتحولت قصة الحب إلى مأساة، ضحيتها الأولى هو توفيق نسيم..

حاول أقارب الرجل منع إتمام الزواج، وكالوا له الإتهامات القاسية،

ومن بينها تهمة الجنون. . ورفعوا دعوى أمام المحاكم، يطلبون الكشف على قوى الرجل العقلية. .

وقررت المحكمة بالفعل أن تحيل توفيق نسيم إلى أطباء متخصصين، ليتأكدوا من سلامة قواه العقلية. .

وجلس الرجل إلى الأطباء، يستمع إلى أسئلتهم الشائكة، ويرد عليها، قبل أن يعلنوا قرارهم بأنه ليس ـ كما ادعى أقاربه ـ مجنونا. .

وكانت الصحف خلال ذلك كله، تلقى بالمزيد من البترول على النار المشتعلة، بحكايات مثيرة، تتناول قصة الحب من بداياتها. .

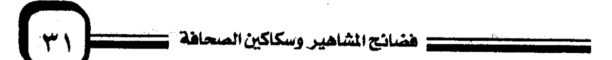
وبالطبع، فإنه إذا كانت بعض الحكايات قد ذكر الحقيقة، فإن معظمها قد لجأت إلى الخيال، توسلا إلى إرضاء القراء الذين كانوا يتخاطفون الصحف بحثا عن الجديد، فى قصة الحب العجيبة. .

قبل يوليو..

كانت فترة ما قبل ٢٣ يوليو، تمثل عصر الإزدهار الصحفى فى مصر، من حيث الجرأة فى تناول القضايا العامة، سواء بالتحقيق أو الخبر أو المقال أو الصورة. لم يفلت مسئول من إثارة فضائحه ونزواته. .

واستطاعت المجلات الصحفية أن تسقط مشروع قانون جديد للصحافة، كانت حكومة الوفد قد قدمته إلى مجلس النواب بواسطة أحد نوابها. .

والمثير أن جريدة «المصرى» الوفدية كانت هى أجرأ الصحف إطلاقا





فى مهاجمة مشروع القانون، إلى أن تم حذفه..

حتى الملك السابق، إستطاعت الصحف أن تصل إلى حيث كان يتنزه فى يخته البحرى « المحروسة» خارج مصر، ويقيم علاقات مع نساء مشبوهات، مثل الممثلة السابقة كاميليا، وهى يهودية الديانة، وأجمعت كل المصادر على صلتها المؤكدة بإسرائيل..

وقد عانى الكثير من الصحفيين تهمة العيب فى الذات الملكية، ودخلوا السجن.. لكنهم واصلوا كشف خفايا النظام، كأنهم يمهدون الرأى العام فى مصر لتقبل حركة الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢.



السر فى مُسَجِّل!

أما آخر المغامرات الصحفية التى أسقطت أحد وزراء الحكومة المصرية الحالية، فبطلها الصحفى الشاب (.....) وأما الوزير، فهو زكى بدر، الذى تولى منصب وزارة الداخلية عدة سنوات عاصفة، حتى إنه تعرض يوما لنسف سياراته أثناء ذهابه إلى عمله، أو هكذا زعم على أقل تقدير.. وجاء حكم القضاء ليؤكد أن الحادثة غير حقيقية، وصدر فيها الحكم بالبراءة..

المهم أن زكى بدر إشتهر بقسوة تعبيراته على الخصوم والأصدقاء معا! لم يسلم أحد من لسانه ولا آرائه العنيفة. وقيل إن شتائمه قد نالت الوزراء، والدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء نفسه. وكان يختار صفات محددة يطلقها على كل مسئول إن جاءت سيرته، حتى فى

الإجتماعات العامة!!

ورغم التحذيرات التى وجهت إلى الوزير من جهات مسئولة بأن يضع لسانه فى فمه، ويبتعد عن أسلوب الشتم ضد الجميع.. فإنه واصل أسلوبه، معتمدا على رجال الأمن الذين كانوا يبحثون عن التسجيلات مع كل الداخلين إلى الإجتماعات التى يحضرها، بصرف النظر عن الوظائف التى يشغلونها..

وعندما احتج الصحفيون بأن المسجلات جزء من طبيعة عملهم، طالبهم رجال الأمن بأن يكتفوا بالقلم والورق.. فإذا نشر أحد الصحفيين ما قد يثيره الوزير من آراء قاسية وشتائم ضد أصدقائه وخصومه، أنكر ـ ورجاله معه ـ أنه قد قال ما نشر على لسانه، وربما ألصق بالصحفى تهمة التزوير..

وقرر الصحفى أن يخوض المغامرة، فدس فى جيبه مسجلا صغيرا، دخل به اجتماعا عاما فى مدينة ما..

وكعادته، تناول الوزير فى الخطاب الذى ألقاه شخصيات مهمة فى الحياة السياسية، ونال منهم بشتائمه القاسية، وألصق بالعديد منهم صفات يعاقب عليها القانون!!؟؟

وغادر الصحفى الإجتماع بكنزه المثير.. وعاد إلى بيته، فأفرغه ثم قدم نص ما قاله الوزير إلى جريدته ـ الشعب ـ مصحوبا بشريط التسجيل..



وتحسبا لأى تدخل من جهات الأمن التى قد تحذف خطاب الوزير، أو تصادر العدد بكامله.. فقد انتهت عملية إعداد كل صفحات الجريدة، فيما عدا مساحة المانشيت الرئيسى، وتم بسرعة جمع الخطاب، وإلصاقه فى موضعه، وتصويره.. ثم دارت المطابع بآخر المغامرات الصحفية..

وتلقت مؤسسة الرئاسة نسخة الجريدة، متضمنة خطاب الشتائم، فصدر مرسوم جمهورى بعزل زكى بدر، وإحلال الوزير عبد الحليم موسى بدلا منه.

******




مفاجأة جاكلين!!

المؤكد أن الصحف الأمريكية لم تشارك فى اغتيال الرئيس الأمريكى الأسبق جون فيتزجرالد كنيدى، ولا حرّضت على قتله.. فقد كان ـ إلى لحظة مصرعه ـ رئيسا محبوبا، يتمتع بثقة مواطنيه، ويواجه مشكلات بلاده الداخلية والخارجية ببراعة واضحة..

لكن ما كتبته الصحف ـ بعد أعوام من رحيل جون كنيدى عن غرامياته، كان أشبه باغتيال جديد له..

لقد حولته من رئيس ملتزم ومسئول، ورب أسرة ناجح، إلى مغامر عربيد، لا يتورع عن استقبال صديقاته فى البيت الأبيض، أو يلتقى بهن فى بيوت أصدقائه..

لم يعد جون كنيدى ـ بكل المقاييس ـ ذلك الرئيس المثالى أساء إلى نفسه وإلى الآخرين، حتى إنه يمكن توجيه الإتهام إليه ببساطة بأنه كان من وراء مقتل مارلين مونرو.. ألم تكن علاقته بها هى الدافع لإقدام المخابرات الأمريكية على قتلها، اتساقا مع الروايات الصحفية..

وإذا كانت علاقات كنيدى العاطفية قد ظلت مستترة عن أعين الصحافة، وعن أعين الرأى العام الأمريكى بالتالى، منذ توليه الرئاسة إلى اغتياله، ثم لسنوات أخرى تالية، فإن مسلسل علاقاته النسائية قد تفجر فيما بعد، ليس مع مارلين وحدها، وإنما مع العديد من النساء المشهورات والمجهولات، ومنهن مضيفة الطيران سوزان أيمهوف، والصحفية الدانماركية



إنجا آرفاد، وممثلات السينما هايدى لامار وانجيلا جرين وسوزان هيوارد وجون كروفورد ولانا نيرنر وإنجى ديكنسون وممثلة السينما الإنجليزية الناشئة آنذاك بيجى كمنز، إلخ . .

وفى العام ١٩٧٧ نشرت الصحف الأمريكية مذكرات فنانة مبتدئة اسمها كاميل اسمر، زعمت أنها التقت للمرة الأولى بجون كنيدى فى بيت فرانك سيناترا، وأن اللقاءات تعددت بينها وبين كنيدى ـ وكان مرشحا للرئاسة آنذاك ـ رغم أنها كانت تعلم بعلاقته ـ فى الفترة نفسها ـ بالنجمة مارلين مونرو . .

مفاجأة جاكلين !!

استطاع جون كنيدى ـ أثناء فترة رئاسته ـ أن يقنع الصحفيين بأن يرعوا المصلحة العامة، ومصلحة الدولة، فى كل ما يكتبون وينشرون، وأن يفرضوا على أنفسهم رقابة ذاتية، فى الأخبار التى يسمحون بنشرها، فلا تتعارض مع أسرار الدولة، ولا قيم المجتمع وعاداته وتقاليده . .

وقد أثمرت نصيحة كنيدى ربيعا دائما، نعم فيه جون كنيدى بمساندة صحفية وإعجاب شعبى. ثم تغيرت الأحوال بعد رحيل الرجل عن عالمنا، ومفاجأة جاكلين للجميع بزواجها من المليونير اليونانى أوناسيس: بدأت الصحف فى النبش، والخروج بالوقائع الحقيقية والمختلفة، وظهرت العديد من النساء، كل واحدة تدعى أنها قامت بزيارة سيد البيت الأبيض فى غيبة من زوجته . .

السيدة الوحيدة التى تكفلت الصحف برواية قصة علاقتها بالرئيس



الأمريكى الراحل هى نجمة الإثارة مارلين مونرو..

أكدت التحقيقات المطولة أن الممثلة لم تنتحر، كما نشر صبيحة وفاتها، لكنها أغتيلت بدس السم لها بواسطة عملاء للمخابرات المركزية الأمريكية، أو المافيا.. والسبب ـ كما أكدت الصحف ـ هو علاقتها بالرئيس، ثم شقيقه روبرت.. والخوف من أن تكون قد حصلت على معلومات يجب ألا تحصل عليها.

وروت الصحف أن جاكلين كان يولى مارلين اهتماما خاصا منذ العام ١٩٥٠، وهو العام الذى تزوج فيه جاكلين بوفييه ـ جاكلين كنيدى، ثم جاكلين أوناسيس فيما بعد! ـ وأن كنيدى أقدم يوما على دعوة مارلين لزيارته فى مكتبه.. لكنها اعتذرت عن تلبية الدعوة بما أغضب السياسى الأمريكى البارز آنذاك، وإن واصل محاولاته للتعرف الشخصى إلى مارلين، حتى قام جون كنيدى بإفتتاح حفل العرض الأول لفلم مارلين «البعض يفضلونها ساخنة».. وتواعد كنيدى ومارلين على اللقاء، وتعددت لقاءاتهما بالفعل، حتى أثناء خوض كنيدى لمعركة السياسة.. وهو ما أفزع قيادات الحزب الديمقراطى، فلن يقدم الناخبون على إختيار مرشح للرئاسة يخون زوجته!! لكن الرجل ظل على علاقته بصديقته.. وفاز بالرئاسة فى الوقت نفسه..



زئر نساء!!

يروى أحد أصدقاء جون كنيدى ـ وهو بيل ولتون ـ أن الرئيس الأمريكى الأسبق كان يبرر مغامراته النسائية بأن أمه كانت مشغوله عنه تماما.. فهى ـ على حد تعبيره ـ أما فى بيت أزياء باريسى، أو راكعة على ركبتيها فى إحدى الكنائس. إنها لم تكن موجودة قط حين نحتاج إليها، لم تضمنى إلى صدرها ذات يوم.. قط..

وكان جون يصف الحياة فى بيت أبيه أثناء فترة صباه، بأنها كانت أشبه بالحياة فى مؤسسة..

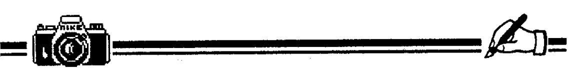
ويقول الكاتب الصحفى ميشيل جون سوليفان: إن جون كنيدى أقدم على أول علاقة جنسية فى بيت للدعارة، وكان ذلك بتشجيع من أبيه..

ثم اكتسب فى سن الدراسة الجامعية شهرة واسعة، بعد أن ضبط مرات كثيرة مع زميلات له فى حجرة نومه.. وإنه لم يعرف عنه وجود صديقة واحدة له، بل كان يعتز بصداقاته الكثيرة لفتيات كثيرات..

ونسب بعض الصحفيين إلى كنيدى أنه من عائلة يعتبر رجلها كل النساء أشبه بالمحظيات! فهم يتبادلونهم فيما بينهم، مثل بطاقات البيسبول !!؟؟

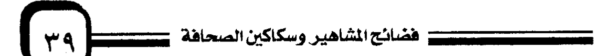
أما عضو مجلس الشيوخ الأمريكى جورج سماذرز، الذى أقام لسنوات مع جون كنيدى فى شقة واحدة، فقد أكد أنه لم تكن هناك امرأة واحدة خارج الحدود بالنسبة لجاك.. ولا أى امرأة..

بل إن كنيدى لم يتحرج فى مغازلة الممثلة مارلين ديتريش.. كانت



تكبره بسنوات كثيرة، بما يكفى لأن تصبح أمه.. لكنه دعاها إلى البيت الأبيض، وحاول مغازلتها فلما هددته بأدب، سألها...هل أقامت علاقة مع أبيه.. وأردف بسرعة: ذلك ما زعمه أبى..

وأكد أصدقاء كنيدى أنه كان يرفض العلاقة الرومانسية تماما، فلا مجال للطبيعة، أو لجمال القمر، أو التمشى على شاطىء البحر.. وغير ذلك مما يفضله هواة الرومانسية من المحبين.. لكنه كان يطارد الفتيات بدوافع حسية خالصة. لا وقت لديه حتى لمجرد التعرف إلى فكر الفتاة أو ظروفها الشخصية وما تعانيه. وكما قال أحد أصدقائه، فإنه كان مشغولا بتسجيل أكبر عدد من النقاط الجنسية..



زوج رغم أنفه!

كانت جاكلين بوفييه مصورة صحفية لجريدة «لوك» عندما التقت ـ للمرة الأولى ـ بالسياسى الشاب جون كنيدى..

كان قد بدأ ينظر إلى الفتيات بعينى من يطلب الزواج.. ووجد فى الفتاة زوجة مناسبة، مع أنها بدت له أشبه بصبى لا يشغله الجنس كثيرا..

وفى المقابل استهوى جون فتاته. وجدت فيه زوجا مناسبا.. ويقول. ديفيد هيمان بوايت مؤلف كتاب «امرأة تدعى جاكى»: لعل الرغبة فى الإنتصار على جون ف: كنيدى بالنسبة لجاكى، كان دافعها الأول هو المال، ثم التحدى..

كانت لدى جاكى تجربة ضئيلة فى التعامل مع الحب، بحيث يصعب التعرف إلى ما تتوقعه. ربما اطمأنت إلى أن جون ليس صفقة سيئة، ذلك

لأنه ـ كما بدا للجميع ـ نجم فى طريقه إلى الصمود، ومن ثم فقد راق لها..

وكما روى كنيدى، فإنه كان راضيا عن حياة العزوبية بما تمثله من حرية وانطلاق ورفض للمسئوليات، وأن تلك هى الحياة التى كان قد اطمأن إليها.. لكن أباه رفض ذلك المنطق تماما. كان رأيه أن الرجل السياسى لابد له من زوجة، ولابد للسياسى الكاثوليكى تحديدا من زوجة، ولابد أن تكون هذه الزوجة على مستوى ممتاز فى كل شىء.. ومارس الأب كل الضغوط الممكنة حتى رضخ «جاك» فى النهاية، ووافق على أن يدرس فكرة الزواج.

والحق أن جون كنيدى بدأ محاولة لتحسين صورته أمام الرأى العام الأمريكى ـ والصحافة تحديدا ـ منذ انتخب عضوا للكونجرس، وأصبحت رئاسة الولايات المتحدة أملا يجب أن يتمسك باعتبارات كثيرة من أجل تنفيذه..



عود على بدء..

فى العام ١٩٥٣ تزوج جون وجاكلين، وأمضيا شهر العسل فى رحلة إلى أكابولكو، ونزلا فى فيلا الرئيس المكسيكى وصارحت جاكلين صديقاتها فيما بعد، أن جاك نسى وعوده بأن يحرص على حياته الزوجية، وعلى مشاعر زوجته.. فبدأ يغازل كل من يلتقى بهن من النساء! وصارحت جاكى صديقاتها بأن ذلك هو السبب فى التوتر الذى لاحظه الأصدقاء على علاقات العروسين..

أعلنت جاكى يأسها تماما من عزوف زوجها عن هوايته الغريبة فى مطاردة النساء، دون أن تشغله مشاعر زوجته، ومدى ضيقها بتصرفاته. وتعرضت الزوجة الشابة لحالات من الإحباط والإكتئاب، إلى حد أنها عرفت الطريق إلى عيادات الأطباء النفسيين، وبدأت فى تلقى العلاج بالصدمات الكهربائية..

وعندما صارحت جاكى كنيدى الأب باعتزامها طلب الطلاق من زوجها، خشى الأب من أن يقضى الطلاق - فى حالة إتمامه - على تخطيطاته لإبنه بأن يكون رئيسا للولايات المتحدة. ولأنه كان يعرف ما يستميل مشاعر زوجة ابنه جيدا، فقد عرض عليها مليون دولار، فلا تطلب الطلاق، بل وتظهر وقوفها إلى جانب زوجها وسعادتها، حتى لا تتأثر صورته أمام الرأى العام فى بلاده..

وبعد أن أصبح جون كنيدى رئيسا للولايات المتحدة، وأصبحت جاكلين بالتالى سيدة البيت الأبيض، أكد صديق مقرب للزوجين أنه « من الإنصاف أن نقول إن كليهما عاشق فى حدود ما يريده من الصفقة».

كان لوفود - زوج بات شقيقة كنيدى - على يقين من أن جاكى بلا علاقات خارج حياتها الزوجية، وأنها لم تحاول - يوما - خيانة زوجها، وإن كانت تعلم بخيانات زوجها المتعددة، وقد ضبطته ذات مرة متلبسا.

لكن كنيدى آضطر إلى الحد من مغازلاته فى الحفلات والأماكن العامة حتى لا يسيء إلى سمعته كرئيس.. ومع ذلك فقد استطاع أن يقيم - سرا، ولفترات متفاوتة - علاقات مع سيدات ينتمين إلى فئة النجوم فى

المجتمع الأمريكى. . وكان من بين هؤلاء، نجمة الإثارة: مارلين مونرو. .

ويقول دى بوسيه، مدير مكتب «بارى ماتش» الفرنسية فى واشنطن: كانت إدارة جون كنيدى عرضا فخما للعلاقات العامة. وكان من المتوقع أن يذهل الشعب الأمريكى حين يكتشف أن السيدة جاكلين لم تكن تقنع زوجها ولا ترضيه، ومن ثم فقد انصرف إلى إمتاع نفسه. ربما لم يعطل ذلك إدارته للبلاد، لكنه لم يساعده أيضا ـ ولو أن كنيدى لم يرحل عن عالمنا، فإن غرامياته وتصرفاته الطائشة ـ كان سيعرفها الجميع، وكانوا سيرفضون إعادة إنتخابه. .

وأردف دى بوسيه: لقد كنا أسيرى أسطورة خلقناها بأقلامنا وصور. . لقد إخترعنا كل شىء بأنفسنا، ثم صدقناه. . وهذه هى المأساة. .

ونقلت صحيفة بريطانية عن هارولد ما كميلان رئيس الوزراء البريطانى الأسبق، أن كنيدى صارحه يوما ـ ببساطة ـ إن لم يمارس الجنس مرة فى اليوم على الأقل، فإنه يصاب بالصداع. .

وزادت المعلقة التليفزيونية نانسى ديكرسون، بأن الجنس بالنسبة لكنيدى لم يكن أكثر من فنجان قهوة. .

واعتاد موظفو البيت الأبيض دخول النسوة الغريبات، لا يعترضون على شىء، إستجابة لأوامر سكرتارية الرئيس بأن هؤلاء النسوة قدمن بطلب شخصى من الرئيس لأداء بعض المهام الخاصة. .

وحتى يقضى كنيدى على احتمال تسرب أية معلومات إلى خارج البيت الأبيض، فقد آضطر إلى فرض إجراءات محسوبة وصارمة. ألزم

كل موظفى البيت الأبيض، بالقَسَم على صياغة عقد قانونى، والتوقيع عليه، وبالا يبوحوا بأى شىء يجرى داخل مقر الحكم، حتى لو بدا بلا أهمية. . لكن الموظفين رفضوا القسم والتعهد، مما ألجأ كنيدى فى النهاية إلى التنصل من أنه هو الذى أمر بذلك، وألقى اللوم على رئيس موظفيه. .

حكاية مارلين

حين تعرفت مارلين مونرو إلى جون كنيدى، كانت قد خاضت ثلاث زيجات فاشلة، والعديد من العلاقات العاطفية العابرة. .

ولدت مارلين فى بيئة فقيرة للغاية. هجرها أبوها وهى طفلة. ثم هجرتها أمها ـ مرغمة ـ بعد سنوات، عندما تيقن طبيبها من مرضها العقلى فدخلت مصحة الأمراض النفسية. ولما كانت مار لين بلا عائلة، فقد أودعت ملجأ للأيتام، ثم تنقلت بين مؤسسات للرعاية الإجتماعية، وبيوت حاضنة، حتى تزوجت للمرة الأولى فى ١٩٤٢ وهى فى السادسة عشرة، بينما كان زوجها فى العشرين. . وكانت تناديه: دادى. . ويناديها بيبى. .

كان أهم ما يميز مارلين ذلك التآلف العجيب فى سلوكها بين البراءة والجاذبية الجنسية. وقد وصفها المخرج جوشوا لوجان، بأنها شهيدة تماما، لكنها ساذجة وبريئة مثل غزالة طفلة أو كتكوت. .

وقد أدت مارلين على مدى سبع سنوات ـ العديد من الأدوار الثانوية والثانية فى أفلام هوليود، حتى قامت بأول بطولة لها فى فيل

«نياجورا» الذى أبانت فيه عن مفاتنها وقدرتها على الإثارة، فأصبحت منذ ذلك الحين رمزا للعصر بأكمله. وهو ما لم يتردد العقاد فى تأكيده عندما قال إن العالم يحيا عصر مارلين مونرو..

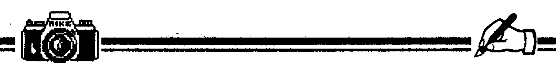
ثم تزوجت مارلين من بطل البيسبول جوديماجو.. لكن ذلك الزواج لم يستمر طويلا..

أما زواجها من الكاتب المسرحى الشهير آرثر ميلر، فقد استمر خمس سنوات (من ١٩٥٦ إلى ١٩٦١) وقدمت أثناء تلك الفترة أجمل أفلامها: الرجال يفضلون الشقراوات، كيف تتزوجين مليونيرا، هرشة السبع سنوات، البعض يفضلونها ساخنة.. وأصبحت من أشهر الممثلات فى العالم، إن لم تكن أشهرهن على الإطلاق.

كان بيت لوفود أشبه بقصر فخم على شاطىء سانتا مونيكا بلوس إنجلوس وقد جعله جون ـ على حد تعبير زوج شقيقته ـ هو المقر المركزى لعملياته الرومانسية على الساحل الغربى، وقد التقى فيه بكثيرات من نجوم هوليود..

وبعد أن التقت مارلين بجاك فى ذلك البيت الساحلى فى ١٩٥٧، ظلت علاقتها عابرة، لم تأخذ حميميتها إلا بعد سنتين، عندما استطاع كنيدى أن يمضى مع جاكلين بضعة أيام فى العام ١٩٥٩ داخل مكان معزول واكتملت ـ منذ ذلك الحين ـ علاقة الحبيبين..

وقبل وفاة لوفود، اعترف بأنه كان راعى العلاقة السرية بين جون ف. كنيدى (جاك) ومارلين مونرو.. لكنه أردف قوله: إن علاقة جاك



بمارلين كانت مختلفة تماما عن المطاردة التى اعتادها من جاك للنساء وقال: لعل مارلين كانت أفضل صديقاته، وهما يبدوان متلائمين تماما..

كان الرئيس ونجمة الإغراء من عالمين مختلفين تماما، لكنهما كانا أقرب إلى توأمين عاطفيين، عاش كل مهما طفولة نفسية قاسية. وكانا ضحية حب أبوى ناقص، فضلا عن افتقاره إلى القدوة على الإلتزام بشخص آخر فى علاقة ذات معنى. ومن المفارقات التى تثير التأمل أن أعظم شىء جمع بين جاك ومارلين هو عزم كل منهما على أن يحب بعمق..

البحث عن الصدر الحنون

بينما كانت عائلة كنيدى مشغولة تماما فى الوسائل التى تتيح لأحد أفرادها أن يصبح رئيسا للولايات المتحدة، كان جاك منغمسا إلى أذنيه بمارلين. وكانت مارلين كذلك منغمسة فى علاقتها به، بعد أن وصلت علاقتها الزوجية بآرثر ميلر إلى حافة الطلاق كما عانت من هجوم الصحف على علاقتها العابرة، الفاشلة، بنجم السينما الفرنسى إيف ومونتان، أثناء قيامها ببطولة فيلم « لنتطارح الغرام» كتبت الصحف تؤكد أن فشل علاقة مارلين ومونتان صورة طبق الأصل من فشل فيلمها الذى بلغت تعليقات النقاد عليه حد السخرية.

وعاد مونتان ـ عقب العرض الأول لفيلمه مع مارلين ـ إلى زوجته، نجمة السينما الفرنسية سيمون سينوريه.. فبدت مارلين أمام نفسها، كأنها محطة يستريح عندها الأزواج..

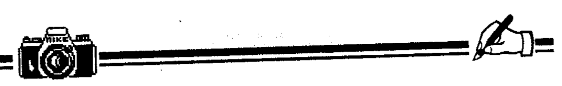
تاقت مارلين ـ حينذاك ـ بكل مشاعرها إلى الصدر الحنون الذى تسند عليه رأسها، والساعد الذى يحميها من تقلبات الحياة والأخطار المتوقعة . .

وبعد تولى كنيدى رئاسة الولايات المتحدة، فإنه ظل على علاقته بمارلين، تتبعه ـ بطلب منه ـ فى رحلاته المختلفة، متخفية فى باروكة ونظارة سوداء كبيرة وثياب واسعة. وكان الرئيس يقدمها لمعاونيه على أنها السكرتيرة الخاصة لبيتر لوفود . .

كانت مارلين قد انفصلت عن زوجها الكاتب المسرحى الأمريكى آرثر ميلر، فانغمست فى حب جاك إلى أذنيها، ولجأت ـ كامرأة يتزوج حبيبها من امرأة أخرى ـ إلى المهدئات والشراب، وترددت على الأطباء النفسيين، وأمضت بعض الوقت فى مصحة بنيويورك. وبلغ بها الأمر ـ والعهدة على الصحف الأمريكية فإنها قد اتصلت بجاكى فى البيت الأبيض وطالبتها بأن تتنازل عن زوجها ـ الرئيس ـ لتتزوجه هى ! . .

وقيل إن جاكى استقبلت طلب مارلين بهدوء، وإنها أبدت استعدادها لطلب الطلاق من زوجها، شريطة أن تتحمل مارلين مسئوليات السيدة الأولى للولايات المتحدة . . وأدركت مارلين أن جاكى تسخر منها، فأغلقت السماعة، استسلمت للبكاء.

وقبل إحتفال كنيدى بعيد ميلاده الخامس والأربعين. بالتحديد فى ١٩ مايو ١٩٦٢، حضر « الرئيس» احتفالا فى حديقة ميدان ماديسون بنيويورك، شارك فيه ١٥ ألفا من أعضاء الحزب الديمقراطى. وغنى فى الحفل العديد من المطربين. وعلا صوت مارلين وهى تتدثر ـ والوصف



لادلاى ستيفنسون - بجلد وخرز، فغنت: شكرا للذكرى.. وعيد ميلاد سعيد أيها الرئيس العزيز كنيدى..

وافتر ثغر جاك عن ابتسامة عريضة، بعد أن فرغت مارلين من غنائها، وقال: الآن أستطيع أن أعتزل السياسة بعد أن غنت مارلين لى « عيد ميلاد سعيد» بهذا الجمال الأخاذ..

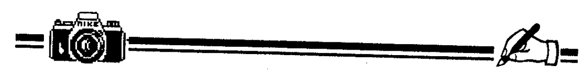
وقيل إن بيتر لوفود هو الذى دعا مارلين للغناء فى حديقة ماديسون، بعد أن عرف بأن جاكلين لن تحضر الحفل.. وهو الذى طلب منها أن تؤدى الأغنيتين..

نذر العاصفة..

تحولت نظرة مارلين إلى علاقتها بجاك شيئا فشيئا. لم تعد تعتبرها مجرد علاقة جنسية ستنتهى ذات يوم، لكنها تطلعت إلى أن تصبح زوجة للرئيس الأمريكى..

وبينما كان جاك يعتبر الأمر مجرد تسلية مشوقة، بل إنه كان يجد سعادة حقيقية فى مواجهته للخطر من خلال إرتباط رئيس الولايات المتحدة، بنجمة الإثارة الأولى فى العالم. وكم أهمل - مدفوعا بشعور التحدى - تحذيرات وتقارير تؤكد خطورة استمرار تلك العلاقة على مستقبل الرئيس.

أما علاقة زوجته، فقد كان على يقين بأنه لا شأن لها بعلاقاته النسائية الأخرى، وعلاقته بمارلين على وجه التحديد. إنها علاقة عابرة، إزجاء وقت فراغ!، إشباع جنسى!.. لكنها - بالتأكيد - تختلف عن



العلاقة الزوجية. واطمأن جاك إلى هذا التفسير، وأجاد التوزع فى علاقته بين جاكلين.. ومارلين..

كانت مارلين تحلم بالأطفال، وبمكان السيدة الأولى. وتحول جاك إلى الرجل الوحيد فى حياتها. أما جاك فلم تجاوز نظرته إلى علاقتهما حد التسلية، فلم يكن يعلن - أو يضمر - لها حبا حقيقيا، إنما هى لحظات متعة عابرة قد تستمر لساعات، أو تطول لأيام، لكنها تظل فى إطارها المحدد كلحظات متعة..

وقد حاول جاك أن يخفى علاقته بمارلين، خاصة بعد أن بدأت الصحف تومىء وتلمز. كما بدأ الناس فى جلساتهم الخاصة يتحدثون عن رؤية الرئيس ونجمة الإغراء فى الأماكن التى يتصوران أنها بعيدة عن الأنظار. دعاها إلى الظهور معه فى الحفلات العامة، وفى المجتمعات، تصورا منه بأن المجتمع لن يتصور علاقة سرية بين رجل وامرأة يلتقيان علناً! وزاد فحاول أن يستفيد من النجمة المحبوبة فى حملته الإنتخابية..

المجتمع الأمريكى يعشق نجومه، وهو لا يستوقفه السؤال إن كان النجم على فهم بالقضايا السياسية (الدليل الأوضح كما رأيناه فيما بعد، عندما اختار الناخب الأمريكى ممثل السينما المعتزل رونالد ريجان رئيسا لبلاده) وأضفى وجود مارلين على اجتماعات جاك الإنتخابية لمعانا وسحرا رائعين، وأضاف إلى تألق صورة جاك على المستوى القومى ومع أن جاك أدرك أن صورة علاقته بمارلين يجب أن تتغير عقب فوزه فى إنتخابات الرئاسة، والأوفق أن تختفى تلك الصورة تماما حرصا على مستقبله



السياسى من ملاحقات الصحافة وانتقادات المعارضة. وبصرف النظر عن قبول المجتمع الأمريكى لفكرة التحرر، فإنه من غير المتصور أن يعطى الناخب الأمريكى صوته لمرشح ضبط وهو يخون زوجته.

وحين انتشر نبأ العلاقة، همس روبرت كنيدى شقيق جون فى أذنه، بأن بيت لوفود يخضع لرقابة المافيا. وأبدى تخوفه من أن تكون لقاءاته بمارلين فى بيت لوفود قد سجلتها المافيا، لتبتز بها الرئيس..

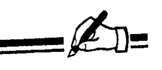
وقرر جون كنيدى - مضطرا - أن يقطع علاقته بمارلين..

تضيف الصحف أنه عندما علمت مارلين باعتزام الرئيس إنهاء علاقته بها، هددت بنشر تفاصيل العلاقة منذ بداياتها فى الصحف، لولا أن دخل فى حياتها صديق جديد، هو روبرت كنيدى، الذى تحول من وسيط بين الحبيبين لإنهاء علاقتهما، إلى طرف فى العلاقة العاطفية، مع مارلين بدلا من أخيه..

وتحولت مكالمات مارلين من البيت الأبيض إلى وزارة العدل، حيث كان روبرت يشغل منصب المدعى العام حينذاك..

لم يكن قرار جاك بإبعاد مارلين عن حياته، يعنى له شيئا. ورغم إتصال علاقتهما سنوات، فإنها كانت بالنسبة إليه، مجرد واحدة من كثيرات دخلن حياته بطريقة غير مشروعة، والبديهى أن يخرجن - ذات يوم - منها.. وباختصار، فان تركه لمارلين لم يكن يمثل له خسارة من أى نوع..

وكان الأمر مختلفا تماما بالنسبة لمارلين. كانت قد أحبته، ورفضت



تصديق أن النسيج الذى غزلته لسنوات قد مزقه جاك ببساطة.. وتوالت مكالماتها التليفونية ورسائلها على البيت الأبيض، تذكّر وتستعطف وتسرف فى عبارات الحب. فلما ظل جاك على صمته السلبى، هددت بأنها ستعرض قصة حبهما على الصحافة وعلى الرأى العام.. وأدرك أن «العلاقة» ستأخذ شكل الفضيحة، ويقرر أن يخرج من قوقعة الصمت السلبى، وطلب من أخيه الأصغر أن يذهب إليها ليناقشها..

المأساة !!

ذهل أصدقاء جاك وبوبى (روبرت) للعلاقة الجديدة المفاجئة، التى أقامها الأخير مع صديقة أخيه، فبدت المرأة كما لو أنها لم تعد تفرق بين الأخوين..

لكن بعض المصادر أكدت أن مارلين تعرفت إلى روبرت قبل أن تدخل حياة شقيقه الأكبر.. وظلت علاقتها بروبرت مجرد «تعارف» إلى أن طار إلى لوس انجلوس تنفيذا لمطلب أخيه.. وبدلا من أن يعين بوبى مارلين على اجتياز محنتها، فإنه غاص بها إلى أعماق أبعد، حتى فقدت توازنها تماما، وأسرفت فى تعاطى الخمر والمخدرات، وانعكس ذلك على أدائها لبطولة فيلم «لابد أن ينهار شىء» وهمس أحد الفنيين داخل الأستديو: واضح أن البطلة هى التى تنهار.. وحاول النجم دين مارتن شريكها فى بطولة الفيلم، أن يساعدها على أداء دورها.. لكنها كانت كما لو أنها غابت عن المحيطين بها. وحاول المخرج ووكر أن يساعدهما كذلك.. لكنه أخفق..

كان بوبى قد بدأ فى إنهاء علاقته بمارلين.. فإذا كان شقيق الرئيس قد جعل منها شاطئا يستريح إليه فى بعض أوقات فراغه، فإنها - بالنسبة لروبرت - لم تكن تمثل أى شىء. كانت مجرد علاقة عابرة..

وصرخت مارلين فى غضب: هل أنا مجرد لعبة تَلَهَّى بها الإخوان ثم انصرفا عنها.. واضطر ووكر إلى إلغاء دور مارلين، وإلى إلغاء إنتاج الفلم كله. وجورج ووكر - للعلم - واحد من أكبر مخرجى السينما الأمريكية، وهو الذى قدم كاترين هيبورن كواحدة من نجوم السينما فى العالم، وساعد فيفيان لى واوليفيا دى هافيلاند على أدائهما المتفوق فى فيلم « ذهب مع الريح»، وقدم انجريد برجمان وجودى هوليداى فى «ضوء الغاز» و« وولدت بالأمس» اللذين نالا بهما جائزة الأوسكار.

ولعل تأنيب الضمير هو الذى أملى على لوفود رعايته لمارلين. دعاها للإقامة معه فى بيته وصحبها فى رحلتين إلى بحيرة تاهو.. لكن كل محاولاته اصطدمت بالفشل..

كانت تعانى من الإحباط وفقدان الثقة والإكتئاب واتصلت - فى لحظات يأسها - بروبرت، ألحت عليه أن يزورها فى بيتها بلوس انجلوس وثارت بين بوبى ومارلين مناقشة عاصفة. وهددت مارلين فى صراخها بأنها ستدعو إلى مؤتمر صحفى، لتخبر العالم بحقيقة الأخوين كنيدى، بينما وبخها روبرت بقسوة، وطالبها بأن تتركه - وأخاه - لعملهما السياسى..

وفقدت مارلين أعصابها، وأمسكت بسكين مطبخ حاولت أن تطعن



به بوبى.. لكن لوفود الذى كان يقف بالقرب منها، انتزع السكين منها..

وفى صباح اليوم التالى، ، اكتشف رجال الشرطة وفاة نجمة الإثارة العالمية مارلين مونرو .. منتحرة..

بعد الرحيل..

عندما سئلت جاكلين كنيدى عن موت مارلين فى عز شبابها، أجابت بالقول: إنها ستظل تعيش إلى الأبد.. وهو قول لا يخلو من صحة، فالعشرات من الكتب عن حياة مارلين يتوالى صدورها، والأفلام والفيديو كاسيت والأسطوانات والسلع التى تحمل اسم وصورة مارلين مونرو تملأ الأسواق. حتى نظارات الشمس يطبع عليها وجهها، ويطلق اسمها على الكعب العالى لأحذية النساء، وأنتج مصنع للخمور نبيذا وردى اللون باسم مارلين، وعليه صورتها. بل إن اسمها مطبوع على أطباق الهدايا والنتائج والساعات وطفايات السجائر وستائر الحمام..

أما روبرت كنيدى فقد انصرف إلى أداء عمله، ثم اصطحب أسرته إلى المعرض العالمى فى سياتل..

وأما الرئيس الأمريكى جون كنيدى، فقد التزم صمتا حكيما .

فهل انتحرت مارلين أم قتلت بواسطة رجال الأخوين كنيدى..

الشائعات التى بلغت مرتبة اليقين حينذاك، أن الشعور بالإحباط أملى على مارلين زيادة جرعات المخدر، عمدًا أو مصادفة.. فلقيت حتفها.

أما الاجتهادات التالية ، فقد أكدت أن مارلين اغتيلت بواسطة رجال المخابرات المركزية الأمريكية، بعد أن هددت بإفشاء أسرار العلاقة بينها وبين الرئيس الأمريكى وشقيقه المدعى العام. . وهى أسرار لا تقتصر على الحياة الشخصية للأخوين ، لكنها قد تمتد فتشمل أسرار الأمن القومى الأمريكى. .

إن الرجل السكير إذا جلس إلى امرأة «يصادقها» قد يبوح بما لا ينبغى إذاعته. . فإذا كانت هذه المرأة فى حالة مارلين النفسية والعصبية، فإنه من الأوفق أن تسكت.

وروى أن عصابات المافيا هى التى تولت العملية القذرة، بدلا من المخابرات الأمريكية، وذلك لإسكاتها، فلا تنشر ما هددت بإذاعته حول علاقتها بالرئيس الأمريكى الأسبق وشقيقه المدعى العام.

ـ والسؤال الذى يفرض نفسه بشدة: من أفشى سر الآخر. . هل هو الرئيس؟ أم من تردد عليه من نجوم السينما.

لقد أفاضت الصحف فى وصف ما كان يجرى فى غرف النوم، ميكانيكية العلاقة، وماذا كان يطلب كل طرف، وكيف كان الآخر يحاول أن يلبى مطلبه. .

أغلب الظن أن ماروته الصحف قد أضيفت إليه شائعات ومبالغات، ولعله من اختراع المحررين أنفسهم! . .

*****



بوكاسا يأكل الأطفال!

أنديرا غاندى هى ابنة زعيم الهند الراحل جواهر لال نهرو . .

ورسائل نهرو الشهيرة إلى أنديرا، أثناء الأعوام التى أمضاها فى السجن، من أهم ما يعتز به الهنود فى مكتباتهم . .

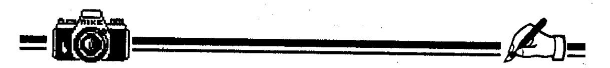
وبقدر إعجاب شعب الهند بنهرو، كان إعجابهم بابنته أنديرا . . ومن هنا، كان حرصهم ـ عن اقتناع وليس عن مجرد عاطفة ـ لأن تتولى رئاسة حزب المؤتمر بعد رحيل أبيها، ثم أن تتولى منصب رئيس الوزراء، خلفا للأب الراحل . .

مع ذلك، فقد استطاعت الصحافة أن تعبىء الشعب الهندى ضد أنديرا، إلى حد التصويت ضدها فى الانتخابات العامة، ومنع حزبها من تأليف الوزارة . .



لقد اتخذت حكومة أنديرا غاندى مجموعة من الإجراءات الاستثنائية لحل المشكلات التى يعانيها ٤٠٠ مليون نسمة ـ هم تعداد الشعب الهندى آنذاك ـ لكن الشعب أصر على رفض الإجراءات التى قيل له إنها تستهدف التغلب على مشكلاته . . وأصر على الحرية والديمقراطية وسيادة القانون .

ولما أجريت الانتخابات العامة، سقط حزب المؤتمر، وأخفقت أنديرا نفسها فى دخول البرلمان . . ونجح تحالف جاناتا فى الحصول على الأغلبية، وتأليف الوزارة . .



بعد السقوط..

والحق أن هذا السقوط التراجيدى لحزب نهرو العظيم، ولابنته، لم يكن مجرد مصادفة، ولا هو وليد حماسة وقتية، أو رغبة فى التغيير، لكنه جاء محصلة حملات صحفيةمثيرة.. كشفت عن الكثير من الحقائق والملابسات.. والفضائح.

وكما يروى الصحفى صلاح قبضايا عن تلك الفترة التى زار خلالها الهند.. فقد تناولت صحف المعارضة الهندية استغلال النفوذ، سواء من حزب الموتمر، أو من أنديرا نفسها، فى الإعداد للانتخابات، وفى عملية الانتخاب.. فقد استخدموا سلطة الإدارة، وإمكاناتها البشرية والمادية. وأفاضت الصحف فى تناول صفقات الإنفتاح المريبة التى شاركت فيها أنديرا، أو شارك فيها بعض المقربين إليها.

وتناولت التحقيقات الصحفية - بالتحديد - سنجاى ابن أنديرا غاندى، وأطلقت عليه اسم الطفل المعجزة..

وأكدت الصحف أن الاجراءات الاستثنائية تحمى الانحراف، وليس العكس، وأن فتح الملفات ومحاسبة المسئولين، بصرف النظر عن مناصبهم - هو الضمان الوحيد لحماية المسيرة الديمقراطية..

تحدثت الصحف عن استخدام رئيسة الوزراء طائرة تملكها الدولة لقضاء مهمة حزبية.. وعن استخدامها سيارة حكومية - بدلا من سيارتها الخاصة - فى جولاتها الإنتخابية..



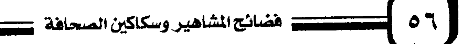
وتحدثت عن سانجاى، باعتباره المسئول الأول عن تبديد الرصيد السياسى والشعبى الضخم، الذى كانت تملكه أنديرا، والذى حول نشاطه الاستثمارى إلى دولة داخل الدولة، وأخضع كل الجهات التنفيذية لإنجاز مصالح شركاته..

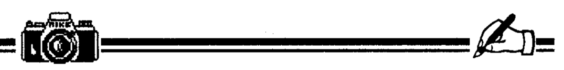
وتلقف النواب ما نشرته الصحف، فحولوه إلى أسئلة واستجوابات، كان أخطرها صفقة طائرات عقدتها إحدى الشركات التابعة للدولة، وشركة للسيارات الصغيرة داخل البلاد.. وكان اسم سانجاى يتردد فى كل فقرة. حتى المبانى الحكومية والمنشآت العسكرية، ثبت أنها أنشئت بواسطة شركات يساهم فيها سانجاى غاندى..

ورغم أن حكومة أنديرا فرضت الأحكام العرفية، واعتقلت الآلاف من السياسيين، والمئات من الصحفيين، وشددت الرقابة على الصحف.. فإن الأثر الذى كانت تطلبه الصحافة كان قد تحقق، وانتشرت الحكايات والشائعات، واضطرت أنديرا للدفاع عن ابنها، وعن نفسها بالطبع..

لكن دفاعها بدا متخاذلا أمام الحقائق التى كانت قد تسربت. بل لقد غلبها الارتباك فيما أقدمت عليه من تصرفات.. فقد أعلنت عن ضم سانجاى إلى حزب المؤتمر. ورشحته ممثلا للحزب فى مقاطعة لثر يراوش، وألمحت إلى أنه هو المرشح لتولى حكم الهند من بعدها..

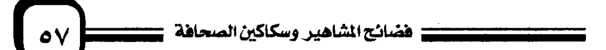
وواجه المثقفون الهنود ـ وشعب الهند بعامة ـ تصريحات وتصرفات أنديرا بتصريحات وتصرفات أشد عنفا، فاتهموا سانجاى بأنه صخرة جثمت فوق صدر الهند، وعابت على الزعماء الشيوخ ـ مكانة وسنا ـ





أنهم أسلموا قيادهم لطفل الهند المعجزة.. وأطلقوا عليه اسم: الأمير، بما يعنى أن الهند أصبحت دولة ملكية..

وأعلن ـ قبل موعد الانتخابات بأسبوع ـ إن سانجاى غاندى تعرض لمحاولة اغتيال.. لكن تجمد الرقابة على الصحف ـ حينذاك ـ ساعدهما على إنكار المحاولة، وأنها ملفقة لضرب المؤامرة، للفرار من الهزيمة المؤكدة.. ونقلت أقوال شهود النفى للواقعة التى رواها سانجاى عن ترصد معارضيه له أثناء جولته بسيارته الجيب بين لجان دائرته الانتخابية، وإطلاقهم النار عليه بهدف اغتياله..



..واستمر المسلسل!!

وسقط حزب المؤتمر، وسقطت أنديرا، وسقط سانجاى..

لكن دور الصحف لم يتوقف.. قدمت تفصيلات أكثر غرابة وإثارة عما كانت تحياه الهند فى ظل حكم أنديرا الإستثنائى.

وكان أبرز ما تحدثت عنه الصحف، سحب ٤ ملايين روبية هندية من أحد البنوك، دون ذكر أسباب السحب، أو أوجه الإنفاق.. وإهمال الإتهامات التى وجهت ضد وزير الدفاع فى حكومة أنديرا، رغم إلحاح أعضاء البرلمان على ذلك.. ونشاط شركة ماروتى التى يساهم فيها سانجاى غاندى.. والصفقات المتبادلة بين الحكومة السالفة وبعض الشركات الخاصة، وما يشوبها من ممارسات خاطئة..

وانتهزت الصحف فرصة رفع الأحكام العرفية، ورفع الرقابة

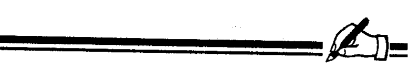
بالتالى . . فأفردت مساحات من صفحاتها لتناول أحداث عامين كاملين من الحكم الديكتاتورى، والخوف من الاعتقال والمصادرة **والتعقيم الإجبارى** . .

ولقد كانت قضية التعقيم الإجبارى هى أشد القضايا إلحاحا فى الصحف الهندية، لأنها مثلت اعتداء صارخا على حريات المواطنين، وعلى القيم الأخلاقية . .

تحدثت الصحف عن مراكز **التعقيم الإجبارى** التى كانت تجرى آلاف الجراحات كل يوم، رغم الرفض الشعبى الواسع، بل ورغم الغضب الذى جعل الهند أشبه ببركان على وشك التنفيذ . .

كان الرجال يهربون من قوافل التعقيم. وكانوا يلجأون إلى **ارتداء ملابس النساء**، للفرار من قبضة رجال القوافل . . لكن معظم المحاولات باءت بالفشل ، لأن القوافل كانت تتحرك بمغريات، فى مقدمتها المحاسبة على أساس الإنتاج، أى بعدد الرجال الذين تم تعقيمهم، والوعد بالترقى أو النقل للأطباء الأكثر إنتاجا.

وروى أنه قد تم تعقيم عجوز فى الخامسة والثمانين من عمره!! أما الذين عقموا من الشباب الذين كانوا قد بلغوا الآلاف ـ فقد عزفوا عن الزواج . .



غلطة الشاطر..

كانت أنديرا تمارس الحكم بثقة المرأة التى تعرف ماضيها وماضى عائلتها جيدا.. فهى ابنة نهرو العظيم، وعمتها فيجايا لاكشيمى التى شغلت منصب سفير بلادها فى الأمم المتحدة. ثم سفيرة للهند فى انجلترا .. وهى الفتاة التى وجه إليها نهرو فصول كتابه الأشهر من رسائل نهرو إلى أنديرا «.. وهى تذكر قول الحاكم الإنجليزى للهند أثناء الاحتلال: هذه العائلة الملعونة.. يقصد بذلك عائلتها التى نشرت الثورة فى إنحاء الهند، ودخل جميع أفرادها السجون والمعتقلات، دفاعا عن حرية بلادهم منذ الجد العجوز «موتيلال» والد نهرو ، إلى الحفيدة «ليكها» التى لم تكن بلغت الثانية عشرة من عمرها.

لكن أنديرا أغفلت أوضاع الهند التى تتسم بحساسية شديدة بين الطوائف المختلفة، فمجموع عدد سكانها يصل إلى ٨٥٠ مليون نسمة. الغالبية من الهندوس، يليهم المسلمون(١٠٠ مليون، وإذا كانت بعض الإحصاءات ترفع الرقم إلى الضعف) ثم الديانات الأخرى.. والصراع بين الهندوس والمسلمين قديم.. وكان هو العامل المباشر فى انفصال الباكستان عن الهند، وهو كذلك سبب الاضطرابات الطائفية والمذابح التى تشهدها الهند بين كل فترة قصيرة وأخرى..

ولعل آخر تلك الاضطرابات ، هو ما شهدته مدينة أيوذيا الواقعة شمالى الهند.. عندما قام الهندوس بهدم مسجد قديم يعتبر تحفة فنية معمارية فى ذاته، بزعم أن موقع المسجد ولد فيه إله الهندوس رام..



وتفجرت عقب ذلك مذابح دامية، قتل فيها المئات من الهندوس والمسلمين، وإن كانت أعداد القتلى من المسلمين مرتفعة للغاية..

كان أهم ما تتميز به أنديرا غاندى، قدرتها الفائقة على حكم بلد يعانى تركيبة غريبة، سواء على المستوى السياسى أو الدينى أو الإجتماعى.. وتتناثر فى معابد طوائفه الدينية قنابل موقوتة ، ويتجاور أهله وفى يد كل منهم ما يدافع به عن نفسه فى لحظات الخطر المتوقعة.. استطاعت أنديرا أن تحتوى ذلك كله لأعوام طويلة ، مستفيدة من تعاليم غاندى العظيم، ثم من توجيهات أبيها.

لكن انغماسها فى المشكلات الهائلة التى تعانيها بلادها، وفى مقدمتها الزيادة الهائلة فى النسل، أوقعتها فى المحظور.. فتناست هشاشة الأوضاع فى المجتمع الهندى، وأقدمت على محاولة تعقيم الرجال، فضلا عن تسلل الفساد والقيم السلبية إلى حكومتها، ، وجدت صحف المعارضة فى ذلك فرصة لشن حملاتها..

وقد وعت أنديرا الدرس جيدا.. لم تصدمها نتيجة الانتخابات، وهى ابنة نهرو، والحاملة لاسم محرر الهند غاندى، والتى قادت الشعب الهندى خطوات مهمة فى طريق التطوير والتحديث.. لكنها أدركت أن الخطأ قد يكون هو الطريق إلى الصواب، فى حين أن العناد يحقق ـ فى الأغلب ـ ثمارا سلبية..

راجعت أنديرا ـ من ناحية ـ موقف الصحافة الهندية منها ـ المعارضة والمؤيدة، أثناء توليها الحكم، وقبل العملية الانتخابية.. وتبينت الفوارق

الواضحة بين النظرية والتطبيق، بين الشائعات والممارسة الفعلية . .

وإذا كان ابنها ديساى قد لقى مصرعه فى حادثة طائرة، فإنها كانت قد بدأت بالفعل فى الإستعانة بكفاءات ممتازة، وفى تدعيم حزبها بشخصيات أخرى غير تلك التى رافقتها إبان توليها الحكم، وأعادت بناء حزب المؤتمر من القاع إلى القمة . .

ومن ناحية أخرى، فقد حاولت أنديرا أن تستفيد من الصحافة فى كشف سلبيات الحكومة القائمة، بواسطة حملات منظمة ومدروسة وموضوعية، تشير إلى مواطن الخلل، ولا تفتعل الإثارة أو تلجأ إلى الأكاذيب . .

وكانت المحصلة الطبيعية لذلك كله هو فوز أنديرا غاندى فى الانتخابات التالية، بثقة الناخب الهندى ، وعودتها إلى الحكم . .

وكما قالت أنديرا لقد استفدت من الصحافة حين أسقطت عن الحكم، واستفدت منها فى عودتى إلى الحكم . .



الصحافة أسقطت الرئيس..

تفجرت فضيحة الرئيس البرازيلى فرناندو كولز، عندما نشرت مجلة «الفيجا» الواسعة الإنتشار، إن الشقيق الأصغر لفرناندو ويدعى بورو . . اعترف لها بأن أخاه رئيس الجمهورية يعمل لصالح رجل الأعمال باوك سيسر فارياس، حيث يتنازل له عن معظم التعاقدات الحكومية مقابل رشوة هائلة.

وأكدت «الفيجا» اتهامها بالقول أن فرناندو الذى لم يكن يملك شيئا، أصبح له قصر خاص فى مدينة براويليا، وإن حديقة القصر ـ التى أنشئت على النسق البابلى ـ تكلفت ما يزيد على المليونى جنيه، بينما يعيش معظم شعب البرازيل تحت خط الفقر.

وخطورة الإتهام الذى واجهه الرئيس البرازيلى، تتضح بدرجة أشد فى الوضع الإقتصادى المتردى الذى تحياه البرازيل.. فمن بين ١٤٦ مليونا، هم مجموع تعداد سكانها، يحيا٦٥ مليونا تحت خط الفقر، ومن بينهم ٣٤ مليونا لا يقدرون على تأمين احتياجاتهم اليومية.

وفى تقدير رسمى أن ٤.٤ من كل عشرة برازيليين فى العام ١٩٩٠، يعدون من الفقراء، وإن ٢.٣ من كل عشرة هم من المعدمين..

كما أظهر تقرير آخر أن ١٥٪ من الأطفال الذين تقل أعمارهم عن خمس سنوات ، يشكون من نقص التغذية المزمن..

أما العاصمة ريو دى جانيرو، فإنها محاطة بأحزمة من الأحياء الشعبية الفقيرة، والتى تجعل من العاصمة أعلى مدن العالم فقرا فى موارد التغذية..

وقد خرج الآلاف من البرازيليين إلى الشوارع ، يطالبون باستقالة الرئيس فرناندو كولر ذى ميلو ومحاكمته. وظلت المظاهرات مستمرة، إلى أن عقد البرلمان جلسة صاخبة، أقر فيها رفع الحصانة عن الرئيس، وتقديمه للمحاكمة أمام مجلس الشيوخ.

ومع أن الرئيس المخلوع وصف محاكمة مجلس الشيوخ له، بأنها عملية إعدام سريعة.. فإن المجلس استمر فى إجراءات المحاكمة وأكد براءته من الإتهامات المنسوبة إليه، وفى مقدمتها الفساد السياسى، والاستيلاء على أموال الدولة باستغلال منصبه كرئيس للبلاد.. وأعلن فرناندو براءته من التهم الموجهة إليه، وأنه «غير مذنب»..

الطريف أن ملك الإعلام البرازيلى روبرتو مارنهو قد وقف وراء الحملات الصحفية والإعلامية ضد فرناندو كولر..

مارنهو يملك أكبر شبكة تليفزيونيةبالبرازيل، والرابعة على مستوى العالم ، فضلا عن هيمنته المؤكدة على العديد من صحف بلاده. وقد تكاثفت جميعها فى شحن حملة واسعة ضد رئيس الدولة، وتلقى انطباعات المواطنين عن الإتهامات الموجهة إليه، مثل الفساد واستغلال النفوذ لتحقيق الثراء الفاحش.. ووجه الطرافة أن روبرتو مارنهو كان صاحب الدور الرئيسى فى تولية فرناندو كولير منصبه عام ١٩٨٩..

فى ذلك العام، كان كولر مجرد سياسى مغمور.. لكن مارنهو تبناه، وقدمه إلى الناخب البرازيلى من خلال حملة إعلامية واسعة، وظل يؤازره حتى فاز بمنصب الرئيس.

وقد زاد من ألم مارنهو أنه فى اليوم الذى فجرت فيه مجلة «الفيجا» «قضية فرناندو» كان رئيس الجمهورية قد دعا صديقه وأستاذه لزيارته بالقصر . لكنه حرص على عدم إطلاعه على الحديقة البابلية، فضلا عن أنه لم يحاول الحديث عن «الإيرادات» بالإضافية التى يحققها بواسطة



منصبه.

وعندما نشرت صحف البرازيل نبأ اجتماع مارنهو بنائب الرئيس البرازيلى، أدرك الجميع أن صانع الزعامات فى البرازيل قد قرر التخلى عن تلميذه الفاسد، وتقديم وجه جديد يقبله الرأى العام فى بلاده.

هل تصبح ملكية..؟؟

أخيرًا ، قرر البرلمان البرازيلى إجراء استفتاء شعبى فى إبريل القادم، ليقرر الشعب نوع الحكم الذى يريده: هل هو الحكم الرئاسى أم البرلمانى أم الملكى..

والواقع أن الإستفتاء القادم ليس وليد الأزمة السياسية التى فجرتها الصحافة، ودفع الرئيس البرازيلى منصبه ثمنا لها.. وتولى نائبه اثيمار فرانكو منصب الرئاسة بدلا منه، بل إنه إجراء دستوى نص عليه دستور البرازيل الجديد، والذى تم وضعه فى العام ١٩٨٨.. والنص يقضى بإجراء استفتاء شعبى فى العام ١٩٩٣ - أى هذا العام - حول نوع الحكم الذى يريده شعب البرازيل، على أن يلى ذلك بعض التعديلات الدستورية التى تتطلبها الحياة السياسية هناك..

والسؤال هو: هل تؤثر فضيحة كولر على قرار الناخب البرازيلى، فيقررإسقاط النظام، واختيار النظام الملكى بدلا منه.. أم يختار البرازيليون النظام البرلمانى ، باعتبار أن هذا النظام هو الذى تلقف الكرة من الصحافة، وأدان رئيس الجمهورية، وعزله من منصبه.. أم أن شعب



البرازيل سيقصر ثقته على النظام الملكى ، باعتبار أن ذلك هو النظام «الجديد» الذى لم يجربه البرازيليون بعد . .

وأيًا ما كان الإختيار، فلاشك أن فضيحة كولر ستكون فى أذهان البرازيليين، وهم يقفون أمام صناديق الاستفتاء، لإختيار نوع الحكم لبلادهم، لأعوام طويلة قادمة.

مأساة بوكاسا..

وللصحافة الفرنسية دور يصعب التهوين منه فى إسقاط الرئيس الفرنسى السابق فاليرى جيسكار ديستان ورئيس أفريقيا الوسطى المخلوع جان بيديل بوكاسا . .

تولى بوكاسا السلطة فى جمهورية أفريقيا الوسطى فى العام ١٩٦٥ . . وظل لسنوات رئيسا للجمهورية قبل أن يحول نفسه إلى إمبراطور فى العام ١٩٧٦، ثم أطيح به فيما بعد فى انقلاب عسكرى برئاسة ابن عمه ديفيد داكو . .

وقد أثار بوكاسو هجوم الصحف الفرنسية ضده بتهمة أكل لحوم البشر، وأنه يحتفظ فى ثلاجات قصره بأجزاء كاملة من لحوم أطفال تقدم له في الوجبات المختلفة . .

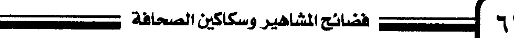
واستاء الرجل من سماح الرئيس ديستان للصحف الفرنسية بشن تلك الحملة العنيفة التى :كانت سببا مباشرًا فى إسقاطه . . فأعلن أنه قد أهدى للرئيس ديستان جواهر من الماس الثمين . . وطالب ديستان بأن



يعيدها إليه..

وتلقفت الصحف الفرنسية أقوال بوكاسا، وشنت حملة مماثلة ضد ديستان، يؤكد الجميع أنها كانت السبب الرئيسى فى سقوطه أمام الرئيس ميتران.

إن ديستان فى تقدير الرأى العام الفرنسى، هو ضحية جواهر الماس.



خلافات سرية..

أما الرئيس الأرجنتينى كارلوس منعم، فإن صحافة بلاده لا تحتاج إلى مغامرات من أى نوع للتسلل إلى داخل القصر الجمهورى.. فعلاقاته بالنساء معلنة، وخلافاته مع زوجته «مرسيدس» معلنة كذلك.. وخناقاتهما يشاهدها الأصدقاء، فينقلونها إلى الصحفيين دون أن يغادروا أماكنهم.. بينما تتكفل أخبار القضايا التى رفعتها زوجته ضده، والقضايا التى رفعها محاموه باستكمال ملامح الصورة..

الرأى العام الأرجنتينى يجد فى ذلك كله مجرد أمور شخصية وخلافات عائلية بين المواطن كرلوس منعم وزوجته.. أما الرئيس كارلوس منعم، فإن الأرجنتين تدين له بفضل التقليل من حجم التضخم، وانعاش الإقتصاد الأرجنتينى، وتقليل حجم البطالة.. وغيرهما من الإنجازات الإقتصادية المهمة..



وهذا يكفى ـ فى تقدير أبناء الأرجنتين ـ لكى يحرصوا على أن يظل رئيسهم فى موقعه . .

مشاغبات ألمانية..

وبالطبع، فإن تدخلات الصحف لم تقتصر على «الرؤساء» . .

ففى يناير الماضى، أثيرت فى الصحف الألمانية حملات عنيفة ضد العديد من الشخصيات السياسية . . وكان من ضحايا الحملات الصحفية وزير الاقتصاد يورجن موليمان، بعد أن تعرض لاتهامات تتعلق بالمحسوبية . .

وجدير بالذكر أم موليمان بدأ حياته البرلمانية فى العام ١٩٧٢، ثم شغل منصب وزير الدولة فى وزارة الخارجية منذ خمس سنوات، ثم أصبح وزيرا للتعليم (١٩٧٨) فوزيرا للاقتصاد، ونائبا للمستشار الألمانى عقب استقالة وزير الخارجية السابق هينريش جينشر . .

لكن بعض الاجتهادات الصحفية أشارت ـ ضمنا ـ إلى أن يورجن موليمان (٤٧سنة) دفع ثمن لقائه بالرئيس الفلسطينى ياسر عرفات، ودعوته إلى الاعتراف بالدولة الفلسطينية فى ١٩٨٨ . .

وذكّرت تلك الاجتهادات بما حدث للرئيس النمساوى السباق كورت فالدهايم، عندما سمح لعرفات بمخاطبة العالم عبر منبر الأمم المتحدة أثناء تولى فالدهايم منصب السكرتير العام للمنظمة الدولية فى العام ١٩٧٤ . كما دفع الثمن نفسه ديفيد ميلور وزير العلاقات الخارجية البريطانية

الأسبق، عندما أعلن سخطه على المعاملةالوحشية التى كان يلقاها المواطنون العرب من سلطات الإحتلال الصهيونى.

والأمثلة كثيرة..

والواقع أن موليمان كان أبرز الوزراء الألمان. ورشحه البعض لتولى منصب المستشارية بعد هلموت كول.. لكنه ارتكب الخطأ القاتل عندما لم يفطن إلى السيطرة الصهيونية على الإعلام الأوروبى والأمريكى..

وهذا ما حدث بالفعل.

لقد فتش اللوبى الصهيونى، وقلب، واستفاد بما لديه من وسائل تقنية متقدمة ، وجواسيس نشطين فى كل أنحاء ألمانيا، حتى عثر على مجموعة من الخطابات ، وقعها موليان بحكم منصبه كوزير للاقتصاد الألمانى..

ونشرت مجلة «شتيرن» هذه الخطابات. وزعمت أنها تؤكد استغلال الوزير لنفوذه، فى المساعدة لترويج بضاعة تنتجها شركة يمتلكها ابن عم له، عبارة عن أجهزة أمن متطورة تحول دون حدوث السرقات فى مجال السوبر ماركيت، والمحال الكبرى عموما..

ثم أعلن الوزير أنه سيقدم استقالته إلى المستشار هيلموت كول واعترف بصحة توقيعه على الخطابات.. لكنه أوضح أنه يوقع عشرات الخطابات كل يوم ، وأن الأمر لا يعدو أن يكون مكيدة مدبرة.. بدليل أن تاريخ الرسائل يعود إلى ما قبل العام.



لكن الصحف - بضغط رهيب من اللوبى الصهيونى - واصلت حملاتها، حتى اضطر موليان فى النهاية إلى تقديم استقالته. . منهيا بذلك حياة سياسية متألقة، دامت أكثر من خمسة وعشرين عاما. .

وبصرف النظر عن أصوات الشماتة التى تعلو الآن فى الصحف التى تخضع للتأثير الصهيونى، فلاشك أن يورجن موليمان قد دفع ثمن موقفه المبدئى عندما حاول إطلاق رصاصة البدء فى تخليص الشعب الألمانى من وهم عقدة الذنب التى زرعها فى نفوس أبنائه جها بذة الدعاية الصهيونية.

.. واتهامات أخرى..

وقد وجهت الصحف اتهامات مماثلة لوزيرة الإسكان ارمجارد - أوم - شيفترز. .

كما أكدت مجلة «دير شبيجل» الواسعة الانتشار ، أن رئيس وزراء ولاية سارلاند أوسكار لافونتسن، وعضو الحزب الاشتراكى الديمقراطى على اتصال وثيق بمنظمات الجريمة، وأن السياسيين الألمانيين يستخدمان بعض محترفى الإجرام كحراس شخصيين لهما، أو لأداء بعض الأعمال المشبوهة. .

ووجهت صحف الحزب المسيحى الديمقراطى والحزب الحر - بإيعاز من قيادات الحزبين - إتهامات قاسية ضد لافونتين نائب رئيس الحزب الاشتراكى الديمقراطى ، والذى كان حزبه قد رشحه لمنصب المستشارية فى عام ١٩٩٠. . . وكان الهدف بالطبع هو محاولة النيل من السمعة

السياسية للخصم ، وتشويه صورته أمام الناخبين للقضاء على أى احتمال لنزول لافونتين مستقبلا فى المعارك الانتخابية، أو لإجباره على التخلى عن موقعه فى قيادة الحزب بإعتباره من ألد الخصوم السياسيين.

وكشفت الصحف النقاب عن وقوف قائد السلاح الجوى الألمانى الجنرال جورج ايملر، أمام جهات التحقيق بتهمة التورط فى صفقات مشبوهة لتطوير وشراء طائرات تجسس صناعية أمريكية ، وبلغت قيمتها حوالى الملياري دولار.

أسفرت الحملة عن اضطرار وزير الدفاع فولكلر روهامر بمنع توقيع العقد مع الشركة الأمريكية، والذى كان جاهزا للتوقيع بالفعل .

ولخصت «ردير شبيجل» نظرتها فى نظريتها على توالى قصص الفضائح فى الحياة السياسية الألمانية، بما كتبته على أحد أغلفتها «جمهورية فى خرائب».. بينما تساءلت جريدة «سوديتشة تسايتونج» : إلى متى نلهث وراء الفضائح واحدة بعد أخرى، بينما العالم مهموم بمناقشات سياسية وقرارات سياسية..

مهاتير .. والسلاطين

وقد انتقلت عدوى الحملات الصحفية ضد الأسر المالكة فى بريطانيا إلى ماليزيا (لا تحكم البلاد أسرة واحدة) مع اختلاف بسيط هو أن مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا يدعم تلك الحملات بهدف سحب الكثير من الامتيازات التى يتمتع بها الملوك والسلاطين الذين يحمون تسع ولايات ، من مجموع ١٣ ولاية تتألف منها ماليزيا.. والهدف الأبعد لرئيس الوزراء

هو تغيير دستور البلاد، كخطوة نحو إجراء تعديلات فى بنية الحكم . .

ولعل أكثر هؤلاء السلاطين تعرضا للحملات الصحفية، هو السلطان محمود إسكندر سلطان ولاية جوهار الجنوبية . . فقد اتهمته الصحف بأنه يتجاوز سلطاته، ويرفض التعاون مع الحكومة، وأعادت الصحف إلى الأذهان حادثة قديمة . . عندما كان السلطان، أميرا لولاية جوهار فى العام ١٩٧٣ . . فقد أطلق الرصاص على أحد المواطنين لاشتباهه فى أنه يقوم بالتهريب . . ثم ثبت أن التهمة غير صحيحة . . لكن والد الأمير السلطان السابق ـ استخدم صلاحياته، فأصدر عفوه عن الأمير القاتل . .

وأكدت الصحف أن رئيس الوزراء طالب السلطان بأن يتخلى عن الكثير من صلاحياته هو والسلاطين الثمانية الأخرى، وبالذات فيما يتصل بحق العفو عن أفراد العائلات المالكية ـ ، والقضاء بعدم جواز محاكمتها . .

وبالطبع، فإن كل الصحف ليست فى صف رئيس الوزراء، أو تعمل لحسابه . .

ثمة صحف أخرى تدافع عن السلاطين، وترى أن الساسة الماليزيين ـ تقصد رئيس الوزراء ـ يحرصون على انتقاص سلطات السلاطين، لأسباب تتصل بحبهم للزعامة وليس للصالح العام . .

وقالت الصحف الملكية إن الشعب الماليزى ظل ـ لسنوات طويلة ـ معتزا بسلاطينه، وإن السلاطين قد حصلوا على مكانتهم الحالية وصلاحياتهم، تقديرا لدورهم فى قيام الاتحاد الماليزى . .

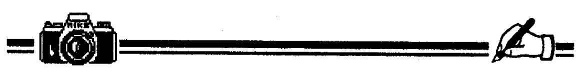


وأكدت الصحف أن السلاطين هم رمز حقيقى لكفاح الشعب الماليزى . .

فى المقابل، قالت صحيفة موالية لرئيس الوزراء: إن الشعب الماليزى منح سلاطينه صلاحيات واسعة ليحسنوا التصرف بها ، لا ليمارسوا تجاوزات تضعف من استقرار البلاد، وسخرت الصحيفة من ادعاءات الصحف الملكية، بأن رئيس الوزراء مهاتير محمد يحاول إضعاف سيطرة السلاطين ليخفف من قبضتهم على البلاد، فيمارس رئيس الوزراء سلطاته دون رقابة فعلية من سلاطين البلاد . .

والآن ، فإن التوقعات تتراوح بين تقليص امتيازات السلاطين والصلاحيات التى يقتنعون بها، وبين تحجيم دور رئيس الوزراء ، فلا يحاول التطلع إلى دور أكبر من مكانته . . والصحف الموالية للسلاطين، والموالية لرئيس الوزراء تلقى بقذائفها ، كل طرف فى اتجاه الطرف الآخر . . والشعب الماليزى يكتفى بالمتابعة والمناقشة ، ومحاولة الإجابة على السؤال: لمن تكون الرصاصة الأخيرة.

*****



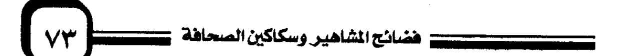
كاميلا جيت، وديانا جيت

حياة الفرد عندما يغلق باب بيته، ويخلو إلى نفسه، أو إلى أسرته.. حياة خاصة جدا، ليس من حق الآخرين لأى سبب كان، أن يطلعوا عليها، وإلا انتفت الحاجة إلى إقامة الناس فى البيوت . كل أسرة لها مسكنها الخاص المستقل ، الذى تحرص على أن يكون ما بداخله بعيدا عن الأنظار الفضولية أو المتلصصة..

القانون يحترم رغبة المرء فى إكساب الخصوصية لأمور حياته، وأن تظل بعيدة عن الأضواء ووسائل الإعلام عموما.. إلا إذا أقدم الفرد بنفسه على نشر معلوماته عن حياته الخاصة أمام الناس .. وهو ما يفعله كبار الساسة والمعمّرون عندما يكتبون مذكراتهم، إذ أنهم يضمّنونها المثير من الأسرار والأمور الشخصية.. وهو ما فعله جان جاك روسو فى **اعترافاته** حين عرض لكل نقائصه، بما فيها شذوذه الجنسى!.. والزعيم المصرى سعد زغلول الذى عبر عن حزنه فى مذكراته، لإدمانه القمار والخمر، ولجوئه إلى الكذب أحيانا.. حتى كتاب «الخبز الحافى» للكاتب المغربى محمد شكرى، اكتسب قيمته من أنه يعرى الحياة الشخصية لصاحبه..

والأمثلة كثيرة..

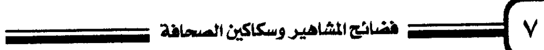
الحياة الخاصة ملك لصاحبها، من حقه أن يحافظ عليها، فلا يطلع عليها الآخرون.. ومحاولة اقتحامها بأية وسيلة، جريمة يعاقب عليها





القانون، ما لم يكن التصرف مصحوبا بإذن من النيابة أو القضاء..

بل إن القانون يحرم التعرض لحياة الفرد الخاصة فى ظروف تسبق استخدام الوسائل التقنية الحديثة، التى تتابع حياة الفرد يوما بيوم.. مثل ظروفه الأسرية، ونشأته، وعلاقاته العاطفية، وذمته المالية، وأحواله الصحية.. فلا يجوز - مثلا - تصوير المريض وهو على فراش المرض، إلا بإذن شخصى منه. كما لا يجوز بالتالى نشر الصورة إلا بموافقة الشخص نفسه..



لكن إنسان عصرنا الحالى، بفضل تقدم التكنولوجيا، يحيا فى بيت من زجاج، فلا شىء يستطيع أن يخفيه، حتى ما كان قد نسيه - أو تناساه - تفاجئه به أجهزة المعلومات المختلفة..

روى عن أحد الصحفيين الذين ينمو عملهم فى مراقبة تحركات أفراد العائلة المالكة البريطانية، أنه قال تعليقا على تفاقم الأزمة بين تشارلز، وديانا: لمرة واحدة، ليس علينا أن نلفق الحكاية..

والمعنى واضح.. وهو أن معظم - ما ترويه الصحف - باعتراف أحد محرريها - تستوحيه من الشائعات، وربما تخلق حكايات غير صحيحة..

المعلومات التى يجهد الصحفى نفسه للعثور عليها، لا شىء بالقياس إلى المعلومات التى تملكها أجهزة الكمبيوتر - مثلا. وما على الصحفى إلا

أن يلجأ ـ عندما يريد التقليب فى الحياة الخاصة لأحد الشخصيات العامة ـ إلا أن يلجأ إلى أحد بنوك المعلومات، فيزوده بكل ما يحتاجه.. وأكثرا..

المعلومة الهامشية، أو التى بلا قيمة، تضاف إلى معلومات أخرى سابقة ولاحقة، فتشكل عالما من الخصوصيات التى لا يعرفها حتى صاحبها ، لأنها حدثت بصورة تلقائية على مدى أعوام، كجزء من مألوف حياته اليومية: قرض من بنك، لوم من جهة العمل، مخالفة مرور، شراء سيارة بالتقسيط، صرف أدوية من التأمين الصحى الخ..

لقد عرف الرئيس الأمريكى بيل كلينتون أن المعلومات التى حاولت الصحف المعارضة أن تشوه بها سمعته أثناء المعركة الإنتخابية.. هذه المعلومات وراءها سيدة اسمها «اليزابيث تامبوس» كانت تعمل مساعدة لوزير الخارجية الأمريكية فى عهد الرئيس السابق جورج بوش (الأب)..

تخلت أليزابيث عن واجبات وظيفتها، وما يجب أن تلتزم به من الحفاظ على سرية المعلومات.. ففتحت ملفات جواز سفر بيل كلينتون منذ كان طالبا بالجامعة. وبررت تصرفها بأنه يأتى استجابة لإلحاح وسائل الإعلام فى وجوب نشر بعض الوثائق الحكومية.. لكن الهدف ـ كما بدا للجميع، وفى الوقت الذى أعلنت فيه تلك المعلومات ـ كان تشويه صورة كلينتون..

والواقع أنه كان بوسع كلينتون أن يرفع قضية ضد اليزابيث، والجهة المحرضة لها ـ وهى قيادة الحملة الانتخابية لجورج بوش الأب بما يضع

الرئيس السابق أمام ووترجيت من نوع جديد. . لكن كلينتون اكتفى بأنه دحر الاتهامات، وانتزع النصر من يد خصم عنيد، وأهمل تصفية الحسابات، ليفرغ لمسئولياته كرئيس للدولة العظمى فى العالم.

القس يهاجم..

وقد شن القس مايكل سوار حملة عنيفة على الصحافة البريطانية، وبالذات الصحف الشعبية، أو التابلويد. . واتهمها بأنها كانت وراء انفصال الزوجين الملكيين. وقال: إننى أتحدث ليس بصفتى رجل دين، وإنما بصفتى رب أسرة عانيت كثيرا من تدخل الصحافة فى شئونها الشخصية. .

وجدير بالذكر أن ابنة القس مايكل كانت قد تعرضت لحادثة اغتصاب. وتناولتها الصحف على مدى أسابيع متوالية. .

وقال القس إن أوضاع الصحاقة الحالية، والتساهل الذى يواجه به القانون تصرفاتها، يشجعها على التدخل فى حياة الأسر، وكشف أوضاعها الخاصة، بل ومحاولة تدميرها. .

وأخيراً، فقد دعا القس مايكل إلى وجوب تعديل القانون، بما يُلْزِم الصحف بالإبتعاد عن الحياة الشخصية للمواطنين. .

وعندما أعلن عن قيام المركز الفيدرالى للبيانات فى الولايات المتحدة، فى العام ١٩٦٥، ثار الرأى العام الأمريكى. . واعتبر إنشاء هذا المركز تهديدا لحريات وحقوق الأفراد. .





وأرجأ المركز نشاطه بالفعل، حتى يتيح للكونجرس إجراء دراسات عن الضوابط التى يجب وضعها حتى لا يساء استخدام البيانات الشخصية للأفراد . .

وفى ١٩٦٧ صدر أول قانون أمريكى عن «وسائط التخزين»، ينظم العلاقة بين المواطنين والمؤسسات المستخدمة لتلك الوسائط بما يضمن سرية البيانات وحمايتها . .

لكن المؤسسات الأمنية تثق بالطبع أنه من حقها تخطى القوانين، وممارسة كل الوسائل التى تتيح لها أداء عملها على أفضل نحو، بصرف النظر عن مشروعية تلك الوسائل من عدمها . . فهى تحاول استغلال كل تقنية مستحدثة في الحصول علي ما تطلبه من المعلومات والصور ، وبالذات من الجهات المعارضة والأفراد المعارضين، بما يتيح لها فرض سيطرتها عليهم، أو ابتزازهم بتعبير أدق . .

وعموما، فإن أجهزة الرقابة والمخابرات - وخاصة فى العديد من دول العالم الثالث - تحاول الاستفادة من أجهزة التصنت المتطورة فى التعرف إلى ما يجرى فى دور الصحف والأحزاب المعارضة . . وبتعبير محدد، فإن الحاسب الاليكترونى، وأجهزة التصنت ، والعدسات غير المرئية، وغيرها من الألكترونيات المستحدثة، أسلحة غير مشروعة، تستخدمها أجهزة الأمن لضمان سيطرتها على الأوضاع من خلال متابعة تحركات الهيئات والعناصر المناوئة، واستباق التطورات من ناحية ثانية . .



وقد تكّون فى بريطانيا ـ مؤخرا ـ مكتب باسم المكتب الوطنى للمعلومات حول الجريمة، هدفه المعلن، جمع المعلومات عن عالم الجريمة.. وهو نشاط يشابه النشاط الذى يقوم به مكتب التحقيقات الفيدرالى الأمريكى..

لكن نشاط المكتب تجاوز هدفه المعلن إلى القيام بأنشطة أخرى، من بينها مكافحة عمليات الإرهاب، وعمليات تجارة المخدرات، والتجسس الصناعى، والنشاط الأخير لن يقف عند فرد أو جماعة، لكنه سيشمل كل الأفراد، وكل الجماعات.. والصحافة ـ المعارضة تحديدا ـ ستكون فى المقدمة..

بل إن جريدة «التايمز» أكدت فى تحقيق لها مؤخرا، أن كينيث كلارك وزير الداخلية البريطانى، يحاول الآن تقليص إمكانيات الشرطة المحلية وعددها ومهامها، وإنشاء قوة جديدة على مستوى المملكة المتحدة، تخضع لسيطرة وزير الداخلية، وتمول من الحكومة المركزية.



أما فى مجلس العموم، فقد أثيرت منافسات ساخنة حول تكليف رجال مكتب المخابرات بعمليات هى من اختصاص الشرطة.. مع ملاحظة أن رجال المخابرات غير معرضين للمساءلة أمام البرلمان..

وقد حذر وزير الداخلية كلارك من أى تدخل برلمانى، أو أى« نوع من أنواع الرقابة» على أعمال مكتب المخابرات، بحجة أن ذلك سيجعل



حياة رجال المكتب، ومصير عملياته السرية الحالية، واقعة فى دائرة الخطر.

ويتوقع المراقبون ـ بإتخاذ الصحافة والبرلمان موقفا مشابها من هذه القضية ـ أن يتقلص دور مكتب المخابرات، برغم رفض وزير الداخلية، وأن يفرض عليه نوعا من المراقبة، تجعل سياسته أقرب إلى سياسة «الجلاسنوست» التى مارسها جوربا تشوف فى بلاده ، أثناء فترة حكمه. . والدلائل تشى بإمكانية ذلك. . ومنها إعلان اسم مدير جهاز المخابرات للمرة الأولى، وهو ستيلا رينجتون. .

ولقد كان أخطر ما كشفت عنه فضيحتا كاميلا ـ جيت، وديانا جيت، ذلك الدور المشبوه الذى قام به مكتب المخابرات البريطانية أم ـ أى ـ ٥ ، فكل عمليات التجسس على المكالمات التليفونية جرت بواسطته. وكان قد أثير من قبل توسع المكتب فى أنشطته التقليدية، فشملت العديد من العمليات البوليسية مثل مكافحة الجريمة المنظمة والتزوير والإختلاس الخ. . وعلت أصوات بعض أعضاء مجلس العموم، تحذر من أن يكون المكتب قد تحول إلى جهاز بوليسى جديد، يمارس نشاطه بلا رقابة ولا محاسبة ولا مساءلة من السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية بل إنه لا يخشى حتى القصر الملكى الذى تنصت على مكالماته التليفونية. .

وبالطبع ، فقد رفض مكتب المخابرات البريطانية كل تلك الاتهامات بشدة وأكد براءته من تهمة التصنت على المكالمات التليفونية الخاصة بالعائلة المالكة. .



لكن جريدة «التايمز» (أكدت ـ فى المقابل ـ أنها وإن لم تكن تملك الأدلة الكافية لإدانة المكتب، فإن الشرائط التى أذيعت عن محادثات تشارلز وكاميلا ، وبين ديانا وصديقها، قد جاءت ثمرة لمراقبة منظمة ومستمرة ودقيقة، من الصعب على جهة أخرى غير مكتب المخابرات تقدم على أدائها . .

وكتب اللورد ريس موج، إن كل الشرائط قد تم تسجيلها فى فترة شهر واحد فقط وإن ذلك قد حدث فى فترة تزايدت فيها هجمات الأيرلنديين ضد المؤسسات البريطانية،وكانت عملية تسجيل المكالمات تستهدف فحسب حماية العائلة المالكة . .

ثم أردف اللورد موج قوله: إنه مع تقدير الهدف، فقد أخطأ مكتب المخابرات بتصرفه خطأ كبيرا، يطرح إمكانية تسرب التسجيلات ونشرها . .

وهذا هو ما حدث بالفعل . .

الحرية مهددة..

الأخطر فى المغامرات الصحفية، أنها لم تعد تعتمد على الجهد الفردى وحده. لم يعد الصحفى يكتفى بالانتقال إلى مصدر الحدث ، أو الشخصية، والتعرف إلى تفصيلات القضية من شهود عيان، أو بعض القريبين من مصادر الأحداث . . لكن المغامرات الصحفية تعتمد الآن على الأجهزة العلمية الدقيقة . . وهى الأجهزة التى تملكها مؤسسات كثيرة، تستطيع أن تقدم فى ثوان كشفا بأدق تفاصيل حياة إنسان ما ، عائلته، مولده ، طفولته ، نشأته ، حياته الأسرية، معتقده الحقيقى. الأسرار التى

يتصور أنه أخفاها عن الآخرين..

وقد أمرت رئاسة الجمهورية الفرنسية - يوما ما - بتكوين لجنة تحقيق، مهمتها البحث فى تأثير أجهزة تخزين المعلومات على الحريات العامة والخاصة..

التقنية العالية هى فارسة الساحة فى مجال المعلومات والمعلومات المضادة - أرجو أن يكون التعبير دقيقا - فثمة الكاميرات التى يمكنها التصوير عبر مسافات شاسعة، وعبر الجدران والحوائط وعدسات الرؤية فى الظلام (استخدمت بالفعل فى عملية طرد الغزو العراقى للكويت) فضلا عن الحصول على معلومات بالغة الدقة بواسطة الأقمار الصناعية..

حرية الفرد وخصوصياته - بصرف النظر عما إذا كان فى السلطة أو فى المعارضة أو فى الصحافة، أو حتى المواطن العادى - مهددة بهذه الأجهزة الصغيرة الحجم، الدقيقة التكوين، ذات القدرة الهائلة على جمع أكبر قدر من المعلومات المباشرة، والصور التى قد تدين وتفضح..

وتعرية الحياة الخاصة هى الوسيلة الأسهل - للأسف - لكل قوة تواجه قوى أخرى: السلطة فى مواجهة الصحافة، والصحافة فى مواجهة السلطة، والحكومة فى مواجهة المعارضة، وهكذا

الرئيس يتململ..

ولا يخلو من دلالة، أنه بعد أقل من ساعة على تولى ليندون

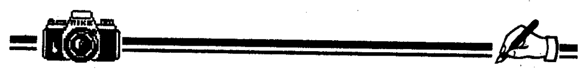
جونسون منصب الرئاسة فى الولايات المتحدة (٢٣ نوفمبر ١٩٦٣) عقب اغتيال جون كنيدى، رافقه ماكجورج باندى ممثل الرئيس الشخصى فى الجماعة الخاصة إلى « حجرة المراكز» وهى حجرة تقع فى بدروم البيت الأبيض.

ووقف الرئيس الجديد يتأمل ما فى الحجرة من خرائط سرية، وأجهزة أليكترونية معقدة، وأجهزة إتصال بالخارج.. وكان جون اليكس ما كون مدير المخابرات المركزية حينذاك يتولى الشرح، ويجيب على أسئلة الرئيس..

وثمة شائعات شبه مؤكدة، أن الرئيس جون كنيدى قد تورط فى علاقة مع غانيتين - جاسوستين - ظهرتا فى فضيحة الوزير البريطانى بروفيمو، وإن مكتب التحقيقات الفيدرالى كان مشغولا بالتحقيق فى ملابسات تلك الفضيحة عندما اغتيل كنيدى فى نوفمبر ١٩٦٣..

وقيل إن كنيدى تورط فى علاقة مع زوجة جاسوس سوفييتى، كان يشغله - بالطبع - أن يحصل على معلومات تفيده من الشخصية السياسية الأمريكية الأولى..

وكان آخر ما أقدمت عليه وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مؤخرا، استئجار عدد من كبار رجال المخابرات السوفييتية كى جى بى الذين فصلوا من وظائفهم بعد انهيار الاتحاد السوفيتى. وسيكون هؤلاء الرجال نواة العاملين فى شركة جديدة اسمها بارفوس، يرأس مجلس إدارتها ريختارد هيلمز مدير وكالة المخابرات المركزية السابق ومهمة الشركة الجديدة حماية



الشركات الأمريكية من عمليات التجسس الصناعى، باعتبار أن هذه العمليات لا تقل أهمية عن عمليات التجسس العسكرى..

..والصحافة تعتز..

ولعل فى مقدمة ما تعتز به الصحافة البريطانية أنها هى التى فجرت الفضيحة المشهورة باسم «بروفيمو»، وهو اسم وزير الدفاع البريطانى السابق الذى اتهم بتسريب أسرار بلاده إلى الاتحاد السوفيتى - السابق - من خلال علاقة خاصة بسكرتيرته الحسناء كريستين كيلر..

لقد أثارت الصحف القضية - الفضيحة التى انتقلت إلى مجلس العموم البريطانى، ليناقشها النواب، وليوجهوا الانتقادات القاسية إلى الوزير، وإلى مجلس الوزراء جميعا، حتى يلجأ الوزير فى النهاية إلى تقديم استقالته..

إن الحاسبات الإلكترونية تستخدم الآن كبنوك خاصة للمعلومات، وهو إنجاز حضارى مهم لقدرته على تخزين أكبر قدر من المعلومات، واسترجاعها فى أقصر وقت..

ولكن الخطر - والتجريم أيضا - يتمثلان فى عمليات استخدام هذه الأجهزة لغير الأغراض المخصصة لها، أو دون مسوغ مشروع، فضلا عن عدم معرفة الأفراد للهدف الذى من أجله تم تخزين هذه المعلومات، وإهمال حقهم في تعديل تلك المعلومات أو تصحيحها..

إن الصداقة بين الصحفى وبنك المعلومات، تكفل إذاعة أدق

الأسرار، حتى تلك التى نسيها أصحابها أنفسهم، أو تصوروا أن الناس نسوها . .

ولعلنا نذكر ما فعله بروفيومو، عقب اكتشافه علاقته بكريستين كيلر . لقد غير اسمه، وقرر أن يحيا حياة هادئة فى منطقة ريفية، لكن إحدى الصحف كشفت هويته الحقيقية، وحدثت أزمة، انتهت بإدانة مجلس الصحافة البريطانية للصحيفة، باعتبار أنها أساءت ـ بتعمد ـ إلى مواطن إنجليزى . .

لكن المشكلة تظل فى تجاوز ذلك كله، ومحاولة التسلل إلى الحياة الخاصة للآخرين، واستخدام المعلومات والصور التى يمكن الحصول عليها فى ابتزاز القوى المعارضة سواء الأفراد أو الجماعات، والسعى لإسكات أصواتهم . .

والصحف فى بعض دول العالم الثالث ـ كولومبيا مثلا ـ لا تعانى عسف السلطة، بقدر ما تخشى إرهاب عصابات الجريمة . .

ثمة أربع عصابات كبرى، تخضع البلاد لسيطرتها، وتسكت بالتصفية الجسدية أى صوت يحذر أو يعترض . .

ومن هنا، فإن الرقابة الصحفية فى كولومبيا ـ كما قيل ـ ذاتية وليس حكومية، فرضها الخوف من عقاب عصابات الجريمة، وتناولها نشاط الجريمة والإرهاب محسوب للغاية، أو هو معدوم، تحيا لردود الأفعال من جانب عصابات الجريمة . .

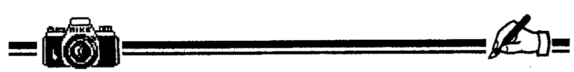
ومع ذلك ، فقد لقى العشرات من صحفيى كولومبيا مصرعهم على أيدى رجال العصابات ، وتورط عدد من الصحفين ـ برغمهم أو بإرادتهم ـ فى مستنقع الأعمال القذرة التى تمارسها العصابات . .

مراقبة الصحافة..

والحق أن الجهات التى تملك وسائل التجسس على المؤسسات ـ والصحافة ـ بالطبع من بينها ـ متعددة، فثمة مجلس الأن القومى، ووكالة مخابرات الدفاع، ووكالة الأمن القومى، والمخابرات العسكرية ومخابرات الأسطول، ومخابرات سلاح الطيران، ومكتب المخابرات والأبحاث التابع لوزارة الخارجية، ولجنة الطاقة الذرية، ومكتب التحقيقات الفيدرالى إلخ . .

وكل واحدة من تلك الجهات ـ كما أشرنا ـ تملك وسائل متطورة للتصنت والتصوير والتسلل إلى قلب الحياة الخاصة، لكل الشخصيات ، بصرف النظر عن مكانتهم الوظيفية أو وضعهم الإجتماعى . .

وإذا كان القانون الأمريكى يحمى المواطن العادى من إذاعة أسرار حياته الشخصية فى الصحف والكتب المطبوعة . . فإن القانون ـ وهنا وجه المفارقة ـ لا يستطيع أن يحمى الصحفى الأمريكى من تدخل أجهزة المعلومات والأمن فى حياته الشخصية ، وتحويلها إلى أداة ضغط ـ وربما ابتزاز ـ ضده ، فلا ينشر ما بحوزته من معلومات ضد الشخصيات الحاكمة، أو الشخصيات العامة . . حتى لا تخرج معلومات الأجهزة



المعلوماتية ضده فى الوقت المناسب، فيتحول ـ مضطرا ـ من الهجوم إلى الدفاع . .

لقد كان أسهل الحلول ـ رغم بشاعته ـ محاولة التخلص من الشخص الذى يملك معلومات لا نريد إذاعتها . . لكن ذلك الحل لم يعد سهلا فى عصر ديسكات الكمبيوتر، التى لا نعرف ما بها من معلومات ، ولا متى تبوح بتلك المعلومات . .

وكما يقول للكاتب الصحفى جيفرى روثفيلد، فإنه من المستحيل عمليا أن يعرف أى مواطن نوع المعلومات التى تضمها ملفاته ، وأين يوجد ذلك الملف، وما عدد الديسكات التى نقلت معلومات الملف . . وهل الجهات التى حصلت عليها مسئولة حتى تحرص على سريتها، أم «مبتزة» فتجعل منها أداة للمساومة . .

وباختصار ، فإن الصحفى الذى يغامر فيواجه المخاطر ، ويبحث عن المعلومة المثيرة، ويحقق السبق بما يعثر عليه . . يواجه الإحباط من خلال تعرضه الدائم للتشهير والابتزاز، إذا ما نشر ما بحوزته من معلومات ووثائق . أنت تعرف عنا ، ونحن أيضا نعرف عنك، فإن حاولت أن تنشر ما لديك، فإننا لن نترد فى نشر ما لدينا . .

ويضطر الصحفى إلى مراجعة نفسه فى مواجهات «مافيا» المعلومات . إنه يحرص على أن يكون كل ما ينشره مزودا بوثائق ومستندات، حتى لا يواجه تهمة القذف أو التشهير . . لكن الآخرين لن يكونوا على نفس الحرص، تكفيهم معلومة بسيطة أو وثيقة لا أهمية لها، لتضيفها إليها



بالتزوير أو بالمبالغة أو التهويل، لتصبح الحبة قبة.. وتسوء صورة الصحفى فى أعين قرائه..

المدان يصعب عليه أن يواجه الإدانة، وصاحب البيت الزجاجى لا يملك أن يقذف الناس بالحجارة ..

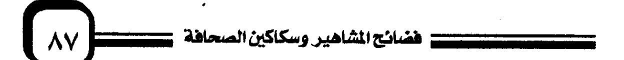
اقتراح مرفوض..

لقد رفضت الصحف البريطانية اقتراح حكومة ميجور بإنشاء محكمة خاصة لشكاوى الصحفيين، تتألف من قاض واثنين من الشخصيات العامة تختارهما الحكومة، وتضع هذه المحكمة قانونا خاصا ـ لسلوك الصحافة والصحفيين .. ومن يخرق هذا القانون يعاقب بغرامة مالية كبيرة، فضلا عن إلزام الصحيفة بنشر الرد أو التصحيح فى مكان بارز وببنط كبير ، وليس إخفائه داخل الصفحات ، كما تفعل الصحف الآن..

وقد أعلن رئيس تحرير «صن» عن رفضه بالقول: أنا لن أسمح لأى قاض فى محكمة أن يملى على ما أنشره وما لا أنشره فى جريدتى..

والسؤال هو: إذا كانت الصحف تملك حق الرفض ـ علانية لمحكمة تحاسبها على سلوكياتها.. فهل تملك هذا الحق ـ أو تنفيذه ـ إذا واجهت وسيلة أخرى لإيقاف ما تنشره ضد الشخصيات العامة.. مثل التهديد والابتزاز..

الطريف أنه فى مقابل المغامرات الصحفية التى تحاول التسلل إلى المكاتب والبيوت، وربما غرف النوم، والحصول على المثير من الوثائق





والصور (أذكّرك بصورة سارة وزوجها المليونير الأمريكى فى حمام السباحة) فى مقابل تلك المغامرات ، قامت بعض أجهزة الأمن بمغامرات مماثلة.. والهدف - بالطبع - هو مراقبة الصحف، والتجسس عليها، ومتابعة أنشطتها، وما تعده من أخبار وتحقيقات صحفية..

لقد وضعت دوائر الأمن الفرنسية - لفترة طويلة - أجهزة التقاط دقيقة فى مكاتب جريدة «الكانارا نتشينيه» الفرنسية الساخرة، للتعرف على مصادر المعلومات المثيرة التى كانت تنفرد بنشرها، وأدت إلى حدوث أزمات سياسية حادّة، مثل قضية الماسات التى أعلن بوكاسا رئيس أفريقيا الوسطى الأسبق أنه أهداها إلى الرئيس الفرنسى ديستان.. وهى القضية التى أثرت بشدة على وضع ديستان الإنتخابى، ولعلها كانت السبب الأول فى سقوطه أمام الرئيس ميتران..

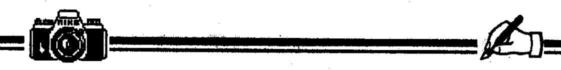
إن الصورة الآن لها وجهان: خطر من الصحافة، فهى تستطيع الإطلاع على التفاصيل الدقيقة عن حياة أى مواطن، مهما كان منصبه.. و تستطيع التقاط الأحاديث الهامة بين الجدران، والتقاط الصور التى تكفى للتشهير بشخص ما، أو عزله من منصبه..

.. وواحدة بواحدة..



هل يوافق الصحفيون..

لقد أعلن فى لندن مؤخرا، عن مشروع قانون يحظر التجسس على الحياة الخاصة، بمنع استخدام أجهزة التسجيل للتصنت على التليفونات أو



المحادثات فى الأماكن الخاصة، مثل غرف النوم (ونتذكر محادثات أفراد العائلة المالكة البريطانية) أو المكاتب ، أو غرف الفنادق ، أو الشاليهات الخاصة، كما يمنع القانون تسجيل أو تصوير الأشخاص بدون موافقتهم، بواسطة العدسات ذات المدى البعيد (ونتذكر الصور العارية لسارة) وأيضا يمنع نشر أحاديث أو أخبار خاصة، ألا بإذن صاحبها..

ومع أن الصحف أعلنت اعتراضها على مشروع القانون الجديد، فإن رد الفعل ليس بالحدة التى توقعتها حكومة ميجور..

فهل كان السبب هو شعور صحف الإثارة أنها تورطت أكثر من اللازم فى قضايا الفضائح الشخصية، أم أن الحرية الشخصية ستصبح متاحة للعاملين فى الصحافة، مثلما تتاح للشخصيات التى تدخلت الصحافة فى حياتها، وعرّت ، وفضحت ، ونشرت مالا ينبغى نشره.

إجابة السؤال فى الأسابيع - وربما الأيام القادمة ..

«تمت»

******



سر السكرتيرة الغريقة

على الصحفى أن يغامر للحصول على المعلومة المثيرة ، والموضوع الذى يشد انتباه القارىء . .

ذلك هو الشعار الذى ألزم مسئولو الجريدة الأمريكية «وول ستريت جورنال» محرريها بتطبيقه . .

الجريدة تعنى بالإقتصاد أساسا، فهى إذن جريدة متخصصة، فضلا عن أنها أغلى الجرائد الأمريكية على الإطلاق . .

ومع ذلك ، فقد استطاعت الجريدة - فى مدى قصير نسبيا - أن توزع فى وقت واحد، فى كل الولايات الأمريكية . . وأن تصبح الجريدة القومية الأولى فى أمريكا . .

وبالطبع فإن الجريدة لم تقتصر على وسائل الطباعة المستحدثة، وإنما اعتمدت - وبصورة أهم - على نوعية ما تقدمه : الخبر ، المقال، الدراسة، الرأى . . وإن ركزت على التحقيق الذى يعتمد المغامرة . . فالصحفى يرفض العمل المكتبى، ويذهب إلى المعلومة، يفتش ويتحرى ويسأل ، ويقارن بين الحقيقى والمكذوب ، لا تشغله الأخطار التى قد تواجهه، بدءا بالقضايا التى قد يرفعها عليه من يوجه إليه اتهاماته، وانتهاء بمحاولة التصفية الجسدية . .

ولعل النظرة إلى الصحف الأمريكية أنها تتبع - إلى حد كبير - لوبى الاحتكارات والصناعات الضخمة والشركات المتعددة الجنسيات ، وخاصة

فيما ننشره عن البلاد التى تمارس فيها تلك الشركات أنشطتها . .

لكن أحد محررى وول ستريت جورنال أمضى ما يقرب من الخمس سنوات بين مكاتب شركة الين الأمريكية للتنقيب عن البترول، وبين مناطق استثماراتها فى ليبيا . . يجمع البيانات والأرقام والحقائق والوسائل المعلنة والسرية لاستخراج البترول الليبى، بأقل التكاليف، وبيعه بأعلى الأسعار . .

ثم عاد المحرر إلى مكتبه، ليعد سلسلة من التحقيقات ، عن الوسائل المشبوهة التى تتبعها شركة الين فى مجال عملها، كالرشوة والتزوير وتقديم بيانات زائفة . .

واستطاع المحرر ـ بتحقيقاته ـ أن ينهى العلاقة بين الشركة الأمريكية وحكومة ليبيا . .

قيادات جديدة..

واتحادات العمال الأمريكية قوة ضخمة، من الصعب ـ إن لم يكن من المستحيل ـ على أى شخص أن يكشف ما تدار به . .

لكن أحد محررى وول ستريت جورنال ـ قام برحلة مضنية فى كل أنحاء الولايات المتحدة، لمحاولة التعرف إلى طريقة الممارسة القيادية فى اتحادات العمال، ووسائل التمويل، وطريق الإنفاق . .

وعرف الصحفى من خلال الوثائق السرية فى وزارة العمل الأمريكية، وفى الشركات المساهمة فى الاتحاد، أن كل شركة تدفع عن كل

طن من الفحم ٤٠ سنتا.. واستطاع فى جولاته بالولايات، أن يعرف إنتاج كل شركة.. ثم استطاع بأرقام الإنتاج مضروبة فى العمولة أن يحدد المبلغ الذى تساهم به الشركات فى الاتحاد.. وهو ما يمثل الإيرادات الفعلية للإتحاد.. وأوضح المحرر ـ بحقائق دامغة ـ أن الأرقام التى تعلنها قيادات الاتحاد تقل كثيرا عن الإيرادات الفعلية..

والواقع أن تلك التحقيقات لم تذهب سدى، ولكنها أحدثت تأثيرا فوريا.. فقد اضطرت قيادات اتحاد عمال المناجم الأمريكيين إلى تقديم استقالتهم، وحل بدلا منهم قيادات جديدة..

وإذا كانت المافيا ظاهرة إجرامية وقد تغلغلت فى الكثير من المدن الأمريكية والأوربية، وفرضت سيطرتها على قوى الأمن، وعلى عدد كبير من المسئولين التشريعيين والتنفيذيين، وأصبحت ـ بوجه عام ـ خطرا يخشاه الجميع، فإن اثنين من محررى صحيفة «وول ستريت جورنال» سافرا فى ١٩٦٧ إلى جزر الباهاما، للبحث عن الصلة بين عصابات المافيا الأمريكية وأصحاب كازينوهات القمار فى جزر الباهاما..

وكانت الرحلة مثيرة، واجه فيها الصحفيان أخطارا محققة وتحذيرات من مواصلة بحثهما، ونصائح بالعودة إلى مدينتهما.. لكنهما واصلا البحث، والتنقل بين الجزر المختلفة، والتردد على الكازينوهات، والاختلاط بالناس العاديين والقريبين من أصحاب الكازينوهات وزعماء المافيا، بل ومطاردة مندوبى هؤلاء الزعماء، فى زياراتهم المشبوهة إلى الجزر، ومحاولة الخروج بأسباب كل زيارة ونتائجها.. فتكون لدى المحررين من

ذلك كله حصيلة هائلة من المعلومات، أتاحت لهما تقديم تحقيقات مذهلة عن الصلة بين عصابات المافيا فى الولايات المتحدة، وأصحاب كازينوهات القمار فى جزر الباهاما . .

أثبت الصحفيان من خلال وثائق ومعلومات مؤكدة ، أن قوام شعب جزر الباهاما من السود، لكنهم يخضعون لحكم جماعات من البيض . . وأن هؤلاء البيض على صلة قوية بعصابات المافيا الأمريكية . . أما الصلة بين العصابات وأصحاب كازينوهات القمار، فهو أحد كبار رجال المال فى «وول ستريت» . . وذكر المحرران اسم رجل المال وكان اسما كبيرا . .

ومع أن التحقيقات التى نشرتها « وول ستريت جورنال» كتبها محرران أمريكيان عن الفساد فى بلد أجنبى، فإن تلك التحقيقات. وما كشفت عنه من فضائح وتلاعب بمقدرات شعب جزر الباهاما الأسود ، بواسطة حفنة من الحكام البيض . . كانت سببا فى قيام انقلاب فى الجزر، قياداته من الضباط السود، أنهوا حكم البيض، وأصبحت البلاد خالصة لأبنائها، بعيدا عن وصاية زعامة المافيا، وأصحاب كازينوهات القمار . .

مطاردة الرؤساء..

وأثناء تولى ليندون جونسون منصب الرئاسة، علم أحد محررى «وول ستريت جورنال» الأمريكية بأن قرينة الرئيس ظلت تحتفظ بامتياز إحدى محطات الأذاعة ، بعد تولى زوجها حكم الولايات المتحدة . .

وتردد الصحفى على مكاتب الإذاعة ، والتقى بالإذاعيين والفنيين



والإداريين، وتردد على مكاتب المتعاملين مع الإذاعة ، سواء فى الولاية التى ثبت منها إرسالها ، أو فى ولايات أخرى . . واستطاع أن يجمع مادة صحفية مثيرة ، أخطرها أن قيمة المحطة لا تزيد عن ١٧٥٠٠ دولار . فلما أصبحت صاحبة المحطة حرم الرئيس ، جاملتها لجنة المواصلات الإتحادية ، وأمدتها بالمساعدات الأدبية والمادية، حتى أصبحت ـ كما قال المحرر فى مقال له ـ امبراطورية إذاعية كاملة . .

وقد أحدثت المقالات رد فعل هائلا فى الولايات المتحدة، وأثيرت حولها مناقشات بين قيادات الحزبين الرئيسيين . . وطرح التساؤل حول مدى استفادة كبار المسئولين وأسرهم من التيسيرات التى تملكها الدولة . .

أما أهم النتائج التى حققها الصحفى ، فهى فوزه بجائزه بوليتزر، أهم الجوائز الصحفية الأمريكية .

سر السكرتيرة الغريقة .

ولقد طاردت الصحافة الأمريكية ـ أعنى التعبير ـ أدوارد كنيدى، الذى كان مرشح العائلة الوحيدة لرئاسة الولايات المتحدة، بعد رحيل شقيقه جون وروبرت . . طاردته الصحافة لتأكيد دوره فى مقتل مارى جوكوتبيشن . وكانت تعمل سكرتيرة لشقيقه روبرت أثناء حملته الإنتخابية . .

كان ادوارد يقود سيارته، عائدا من حفل مع خمسة من أصدقائه فى بيت يطل على البحر فى جزيرة تشابا كويديك، وهى معه ليوصلها إلى



الشارع الرئيسى فى أيد جارتون..

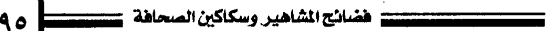
وبدلا من أن يميل أدوارد إلى الشراع الرئيسى، فإنه انعطف فى طريق الشاطئ، واجتاز الجسر الخشبى الصغير الموصل للمنطقة البحرية وليسقط فى المحيط داخل منطقة الدوامات والتيارات البحرية الهائلة..

هل كان الرجل مخمورا.. لا أحد أجاب على السؤال بصورة دقيقة، رغم أنه كان من السهل تحليل دم ادوارد كنيدى، أو الاكتفاء بشم فمه، للتأكد مما إذا كان تعاطى الخمر أم لا..

لكن كنيدى استطاع النجاة بنفسه ، بينما ظلت مارى وحيدة فى المياه الهادرة ، دون أن يحاول إنقاذها، حتى ابتلعها المحيط..

تناقضت أقوال ادوارد كنيدى أمام المحققين. إدعى أنه حاول إنقاذمارى، لكنه لم يرد على الأسئلة: لماذا لم يتصل بالشرطة ـ بعد أن نجا بنفسه ـ لإنقاذ الفتاة .. ولماذا صحب الفتاة وحدها، دون أربع فتيات كن معها فى الحفل.. وما سر القلق الذى لاحظه أصدقاء كنيدى عليه طيلة فترة الحفل.. وأسئلة أخرى كثيرة لم يرد عليها كنيدى بإجابات واضحة محددة..

قال كنيدى إنه عاد إلى الفندق ـ بعد سقوط سيارته فى المحيط ـ سباحة ، واتجه من فوره إلى غرفته، ليرتمى على فراشه مرهقا محطم الأعصاب.. وقضى ليلته دون أن يخبر أحداً بما حدث.. فلما جاء الصباح ، اتصل بمحامى العائلة، وأبلغه بما حدث..، وطلب منه تقديم





مذكرة للشرطة . .

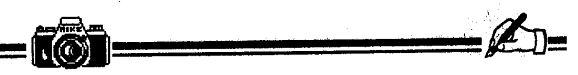
وبدأت الصحافة عملها، أو مطاردتها . .

نشرت تقرير الشرطة عن ملابسات الحادث، وإن جثة مارى وجدت فى سيارة كنيدى المغلقة النوافذ والأبواب، بما يشير بأصبع الإتهام إلى قائد السيارة، وهو ادوارد كنيدى نفسه . . كما وجد فى حقيبة يدهاالملقاة داخل السيارة، مفتاحان لغرفتين بأحد الفنادق . .

وشنت الصحف على السيناتور كنيدى واحدة من أعنف حملاتها، واتهمته بأنه ترك ضحيته دون أن يحاول إنقاذها، وأن الحادث لم يكن بالصورة التى رواها الرجل، بل إن مارى جو لم تكن مجرد سكرتيرة لشقيقه الراحل، لكنها ارتبطت به فى علاقة خاصة . . ثم آن أوان التخلص منها . . وإتهامات أخرى كثيرة، كانت موضع اهتمام المحلفين الذين أصدروا قرارهم فى النهاية بإدانته، فحكم عليه بالسجن لمدة شهرين، ومنعه من قيادة السيارة لمدة عام كامل . .

ثم كان ادورارد كنيدى أسعد الناس بهجوم الصحافة على المرشح الديمقراطى جارى هارت، بتهمة إقامة علاقات غرامية. فأهملت حادثة السكرتيرة التى غرقت بسيارته فى مياه المحيط . .

وقد وصلت مسلسلات الصحف الأمريكية إلى غرف نوم الرؤساء الأمريكيين أنفسهم. فثمة حكايات مثيرة عن علاقة الرئيس الأمريكى الأسبق أيزينها ور بسكرتيرته الحسناء، التى كانت ـ فى نفس الوقت ـ



سائقة سيارته . .

وكانت الصحف وراء إقدام السكرتيرة على كتابة مذكراتها. وكان أطرف ما قاله، أنه عندما تصارحت وايزنهاور بحبهما فى لحظة مشبوبة. . فوجىء الاثنان بأن الرجل عاجز عن الفعل . .

إيران جيت..

حكاية إيران جيت ـ باختصار ـ هى أن حكومة الرئيس رونالد ريجان انتهكت قانون الأمن القومى ، وقانون الرقابة على تصدير السلاح فلم تحط الكونجرس علما بصفقات الأسلحة التى باعتها لإيران. . وهى دولة يعتبرها الكونجرس مساندة للإرهاب. . وهذه جريمة أخرى . .

أما الجريمة الثالثة، فهى انتهاك «تعديل ياولند» بتحويل الأرباح الناجمة عن بيع الأسلحة لإيران إلى جهة الكونترا المناوئة لحكومة نيكاراجوا. . وقد انتهك القانون أيضا، عندما لم يوقع المسئولون الإيرانيون على تعهد بعد تسليم السلاح الأمريكى إلى جهة أخرى، دون الحصول على موافقة مسبقة. . وأخيرا ، فقد قدمت وكالة المخابرات الأمريكية طائرة ومساعدات، لعملية إرسال صواريخ هوك إلى إيران، دون قرار من الرئيس فيما يخص المخابرات. .

وتعليقا على كل تلك الانتهاكات ، كتب انطونى لويس على صفحات «نيويورك تايمز»: إن الرئيس حول القانون الدولى، والقيود التى فرضها الكونجرس إلى مسخرة! . .

لقد أعلن ما كفرلين أن ريجان وافق على إرسال صفقات الأسلحة إلى إيران منذ أغسطس ١٩٨٥. ومع أن الرئيس أنكر في ٢٢ يناير ١٩٨٧ ما قاله مكفرلين، فإنه ما لبث - بعد أقل من شهر واحد - أن أكد موافقته على إرسال الصفقة. وبعد أيام أخرى، بعث ريجان رسالة لجنة تاور ، أكد فيها أنه لا يتذكر تماما متى أعطى موافقته على الصفقة، وهل كان ذلك قبل إرسال الأسلحة أم بعده.. ونشرت إحدى الصحف تعليقا على قول الرئيس يتساءل فيه مواطن أمريكي : ما الذى نسيه الرئيس؟ ومتى نسيه..؟

كما نشرت الصحف تصريحا للسيناتور الديمقراطي جون جلين ، تعليقا على ما قاله الرئيس ريجان: هذا تعليق محزن بالنسبة لرئيس الولايات المتحدة.. فإذا كان على علم بهذه العملية، فإنه إذن كان يخرق القانون عن عمد.. أما إذا كان يجهل ذلك، فإنه إذن عاجز عن القيام بأعباء منصبه.

الحقيقة.

الملاحظ أن ريجان أعلن في الثالث عشر من نوفمبر ١٩٨٦ ، أن حكومته لم تقم بإرسال السلاح ، أو أي شيء آخر، مقابل الرهائن .. وهي لن تفعل ذلك مستقبلا..

وقال ريجان في مؤتمر صحفي بعد ستة أيام من تصريحه الأول: إننا لم نغفر ولا نغفر إرسال السلاح إلى البلدان الأخرى.. يقصد إيران



ثم بدأ الرئيس فى التراجع : ، عندما قال فى رسالة له حول وضع الأمة فى٢٧ يناير ١٩٨٧ : لقد كانت غاياتها مشرفة .. لكننا لم نحقق الهدف المنشود، وارتكبنا أخطاء واضحة فى مسعانا لتحقيق ذلك.

وقد نشرت «نيوزويك» مسلسل التصريحات الرئاسى تحت عنوان «عندما باح الرئيس بالحقيقة»..

وعموما . فقد نال ريجان من عبارات المعلقين الصحفيين ما لم ينله رئيس أمريكى من قبل، حتى نيكسون صاحب فضيحة «ووترجيت» الشهيرة والذى قدم استقالته بتأثير حملة الصحافة ،استخدمت الصحف فى الهجوم عليه عبارات أقل حدة.

وصفت نيويورك تايمز ريجان بأنه صاحب شعارات الاستهتار الماجن والكذب والسرية. وكتب كولمن ماكارثى فى «الواشنطن بوست» أن جوهر المشكلة الحالية هو الكذب، وليس الأخطاء أو فرط الحماسة. .فالكونجرس الذى استفز للغاية بعد سنوات من خوف التصدى لهجمة الرئيس على البرامج التى تراعى مصالح الفقراء والأقليات القائمة، على ميادين الرعاية الطبية وحماية البيئة وحرية الصحافة.. بدأ فى اتخاذ التدابير من أجل تفادى هجمة الرئيس الأخيرة،وهى هجمة على حق الشعب فى معرفة الحقيقة .

أما مجلة نيش فقد أعلنت أن منصب رئيس الولايات المتحدة يشغله الآن شخص كذاب، وهو يكذب بصورة منتظمة، وبشكل مقصود، لأن



هذا الكذب يلائم خططه وأهدافه، وهو ليس أول كذاب يقيم فى البيت الأبيض.. لكنه يضيف إلى ذلك أنه أول من جعل الكذب أسلوبا مفضلا لدى الحكومة الأمريكية.

الملاحقة مستمرة..

ومع أن فضيحة إيران جيت لم تسبب تأثيرا مباشرا على الصورة السياسية لريجان، فقد جدد هو انتخابه مرتين رئيسا للولايات المتحدة.. فإن الحملات التى شنتها الصحف عليه بعد تقاعده، ربما كانت تحذيرًا للرؤساء التالين بأن المحاسبة قادمة.. حتى لو ترك الرئيس البيت الأبيض..

إن ملفات كل رئيس ـ فى تقدير الصحف ـ يجب أن تظل مفتوحة، وأن تخضع للنقاش والتنقيب والبحث عن المعلومةالصحيحة .. ولا شأن لذلك كله بأن الرئيس فى البيت الأبيض، أو أنه غادره إلى خارج الحكم.. أو أنه غادر العالم كله !..

لقد التقى الصحفيون بالعشرات من أصحاب المهن والحرف والمتاجرالكبرى، وسجلوا وقائع غريبة وطريفة عن سيدة البيت الأبيض نانسى ريجان، منذ انتخب زوجها رئيسا للولايات المتحدة..

قال جورج ماسترز ـ وهو حلاق سيدات شهير فى هوليود ـ إن الكلمة التى تحبها نانسى هى كلمة «مجانى» وإنها لم تحاول أن تدفع ثمن تصفيف شعرها خلال عشرين عاما كانت تتردد فيها عليه.. أى قبل أن



تدخل البيت الأبيض . .

وأردف قوله: إن الحجة التى كانت تستند إليها فى عدم دفع ثمن التصفيف أنها زوجة أحد الساسة، وترى أن هذه المكانة تهبها الحق فى ألا تدفع شيئا مقابل ما تحصل عليه من خدمات . .

أما أوسكار دى لافين ـ وهو موظف كبير بمتاجر تصميم الأزياء الشهير أدولفو ـ فقد أكد أن نانسى لم تكن تدفع الثمن الكامل لكل ما تريد شراءه . . وإذا لم يعرض عليها المتجر خصما، فإنها تطلبه بنفسها . . وكانت ماهرة للغاية فى هذا الأمر . .

وأشارت كتابات صحفية إلى أن نانسى كانت تشعر بالارتياح لقيام الآخرين بدفع فواتير مشترياتها بالنيابة عنها، مع أنها تعد وزوجها من كبار الأثرياء. وكانت تحاول إدعاء الفقر بكلمات مضللة كقولها: نحن لا نستطيع أن نشترى ذلك الشىء، فأنا وريجان لا نملك ثمنه! . .

الرئيسة فى جولة..

وتروى الكاتبة الصحفية كيتى كيلى، أن أول ما فعلته نانسى عقب فوز زوجها فى انتخابات الرئاسة عام ١٩٨٠، هو قيامها بزيارة إلى محلات «جوش» فى «بيفرلى هيلز» . وأغلقت المحلات أبوابها فى وجه عملائها، لأن قرينة الرئيس تقوم بجولة داخلها . . ومع ذلك فقد حصلت نانسى على معظم استهدفاتها بالمجان، ولم تدفع إلا مبالغ رمزية لمجرد أن تثبت أنها قد دفعت شيئا. لقد حصلت على حافظة من الحرير الأسود قيمتها ٦٠٠ دولار، وحقيبة يد صغيرة قيمتها ٦٣٣ دولار، وحقيبة أخرى

للصباح من جلد التمساح الأسود ثمنها ٦٥٠ دولارا، وحقيبة للمساء من الجلد الأبيض ثمنها ٨٥ دولارا. كما حصلت على ثياب متنوعة يصل مجموع أثمانها إلى بضعة آلاف من الدولارات..

لكن نانسى دفعت فى ذلك كله مبلغا قليلا للغاية، بدعوى أنها ستحقق من دخول السيدة الأولى للمتجر، وشرائها منه، دعاية لا تقدر بمال..

ويذكر أحد معاونى ريجان أن جيمس بيكر رئيس هيئة موظفى البيت فى عهد ريجان ـ وزير الخارجية فيما بعد ـ دخل على نانسى فى مكان إقامتها بالبيت الأبيض، وهو فى حالة غضب شديد وصرخ فيها:

أللعنة يا سيدتى.. يجب وقف ذلك حالا. إن الهدايا التى تحصلين عليها تثير حرجا بالغا للرئيس..

والواقع أن ريجان لم يرفض الهدايا التى قُدّمت لزوجته، بل أنه قبل هو الآخر هدايا له وصلت قيمتها إلى بضعة ملايين..

وكما تقول الصحف ، فإن ريجان وزوجته غادرا البيت الأبيض وفى حوزتهما ممتلكات قيمتها أربعة ملايين دولار.. لكن قيمة تلك الممتلكات قفزت فى مدى عام إلى عشرة ملايين دولار.. فقد حصل ريجان على معاش سنوى يبلغ ٩٩٥٠٠ دولار، ومعاش من ولاية كاليفورنيا يبلغ ٢٩٧١١ دولارا. وتلقوا من الحكومة الفيدرالية ٢ر١ مليون دولار لإنشاء مكان يقضى فيه أعوام تقاعده. كما قبلت نانسى منصبا فى مجلس إدارة مؤسسة «ريفلون» لقاء مائتى ألف دولار فى العام.



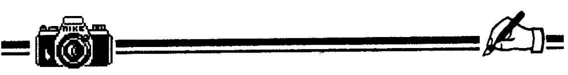
لم تهمل الصحف أيضا ما تردد عن استعانة نانسى ريجان بالمنجمين أثناء تولى زوجها الحكم، لتقرير سلامة تحركاته وقراراته السياسية ، حتى جدول أسفاره الخارجية كان يعد من قبل المنجمين الذين كانوا يقدرون أنسب الأوقات لذلك.

ولقد وصف ريجان تلك التحقيقات بأنها «سيل من الأكاذيب المفضوحة» حتى علاقة ريجان بأبنائه بعد طلاقه من أمهم الممثلة جين واين وزواجه من نانسى، لم تسلم من انتقادات الصحف. تناولت وقائع أكدت بها أن بعض أبناء ريجان انقلبوا عليه. كما أكدت صحف أخرى أن نانسى كانت تضرب ابنة ريجان ، وأنها كانت تدمن المهدئات.. وفى المقابل ، فإن الابنة كانت تصف أباها بأنه سلبى وفاتر المشاعر، وإن زوجته جعلت الحياة فى البيت الأبيض لا تطاق..

وأفردت الصحف صفحاتها لذكريات دونالد ريجان - وهو كبير موظفى البيت الأبيض، وليس الرئيس الأمريكى - والتى أكد فيها أن نانسى كانت تستعين بالمنجمين لتقرير تحركات الرئيس مثل: مواعيد السفر إلى الخارج ، أو اتخاذ القرارات السياسية..

عراق جيت..

الاتهام الذى واجهته حكومة المحافظين فى بريطانيا، بأنها صدرت أسلحة ومعدات إلى العراق، أثناء فرض الحظر عليه.. وهو الاتهام الذى أطلق عليه اسم «عراق جيت» واجهته حكومة الرئيس الأمريكى السابق جورج بوش الأب بنفس التسمية..

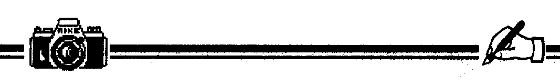


عراق جيت الأمريكية تتمثل فى إقدام فرع بنك «بنكا ناسيونالى ويل لافرد» الإيطالى بمدينة أتلانتا الأمريكية على مساعدة حكومة العراق للحصول على قروض بضمانات وزارة الزراعة الأمريكية. كجزء من البرنامج الخاص للمعونة القائمة على ضمانات الحكومة..

وكشفت الصحف أن فرع البنك الإيطالى قد أعطى قروضا هائلة لبنك الرافدين العراقى، وشملت تلك القروض أنشطة اقتصادية متعددة.. ولم تسجل معظم القروض فى دفاتر البنك، سواء فى روما أو نيويورك.. بينما ذكر المسئولون فى البنك أنهم لايعرفون شيئا عن هذه الديون.. وهو ما يناقض تقريرا لمجلس الشيوخ الإيطالى ـ يشكك فى أقوال مسئولى البنك..

وأشارت الصحف إلى أن هؤلاء المسئولين قد تقاضوا عمولات على القروض العراقية، وأن سجلهم حافل بمثل تلك العمليات التى تبدأ منذ العام ١٩٨٦، وتثبت توريطهم للبنك فى عمليات مشبوهة، حتى إن أحد أعضاء مجلس الشيوخ الإيطالى تقدم فى يونيو ١٩٨٨ باستجواب حول تحويل البنك الإيطالى للأسلحة العراقية..

وقد نشرت «نيويورك تايمز» عن وثائق ولقاءات مع العديد من المسئولين الأمريكان، أثبت استقلال الحكومة العراقية لبرامج المعونات والاعتمادات الأمريكية فى شراء تكنولوجية نووية متقدمة. وكان من بين الجهات التى تعاملت معها حكومة العراق شركتان أمريكيتان، حصلتا على عقود بمبلغ ١ر٧ دولار لتطوير صواريخ سكود العراقية، وهى الصواريخ



التى أسقط منها ـ كما قالت «النيويرك تايمز» ـ على قاعدة الطيران العسكرية ما أدى إلى قتل ٢٨ جنديا أمريكيا . كما أنفق جزء من تلك القروض على تطوير المدفع العراقى العملاق. وأيضا فقد تم شراء أسلحة برتغالية وقبرصية ومن جنوب أفريقيا بواسطة شركات تتعامل مع البنك الإيطالى . .

ولاشك أن ما نشرته الصحف الأمريكية كان له تأثيره فى اهتزاز صورة الحكم أمام الرأى العام الأمريكى. بل إن بعض الاجتهادات تذهب إلى أن سقوط الرئيس بوش فى الانتخابات، رغم فوزه الساحق على العدوان العراقى ـ مبعثه تلك الفضيحة المسماة «عراق جيت» . .

******

مادة مثيرة

إذا كانت العائلة المالكة البريطانية تعانى الآن من تدخلات الصحافة فى حياة أفرادها الشخصية، فإن الصحافة استطاعت ـ فى الثلاثينيات من هذا القرن ـ أن تدفع الملك ادوارد الثامن إلى تقديم استقالته . .

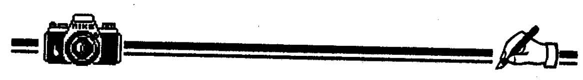
لقد تولى ادوارد الثامن عرش بريطانيا فى أعقاب وفاة والده جورج الخامس (٢٠ يناير ١٩٦٠) وكان أول ملك أعزب يتولى عرش بلاده منذ ١٩٧٦ ، مع أنه كان فى الأربعين من عمره . .

كان أشقاء الملك يعلمون قصة حبه للسيدة واليس وارد فور سمبسون، وهى أمريكية تزوجت من ضابط بحرى أمريكى، هو أيرل وينفيلد سبنسر . ثم طلقت منه بعد ثمانى سنوات . .

وأثناء تلك الفترة التقى ولى العهد البريطانى بالسيدة سبنسر فى حفل راقص وأعجب بها . .

ثم سافرت واليس إلى انجلترا، لتتزوج هناك المرة الثانية من انجليزى، هو أرنست سمبسون . .

وتعددت دعوات ادوارد الثامن ـ بعد أن تولى العرش ـ لأسرة سمبسوت، فى حفلات خاصة وهامة، ولاحظ الجميع تطور العلاقة العاطفية بين الملك والسيدة سمبسون، برغم حضور زوجهاكل المناسبات التى دعيت إليها، وبدأت الصحف فى تأدية مهامها: تابعت رحلة الملك وصديقته فى البحر الأبيض المتوسط ونشرت جريدة «الديلى اسكتش»



البريطانية صورة للحبيبين، فضلا عن صور أخرى نشرتها صحف أمريكاوأوروبا . .

مادة مثيرة..

وعاد الملك إلى لندن ليواجه معركة مع الصحافة . .

لقد أصبح ملك انجلترا مادة مثيرة للصحافة ، تزيد بحكاية غرامه من مبيعاتها. وحاولت كل صحيفة أن تحقق السبق فيما تنشره من معلومات وصور. فالسيدة سمبسون ترافق الملك عند زيارته لطبيب أذن ،بالعاصمة النمساوية وترافقه فى القطار إلى لندن، وترافقه فى مناسبات أخرى كثيرة. . وصورة لهما وهما يرتديان ملابس الاستحمام. وذكرت إحدى الصحف أن الملك أهدى صديقته قلادة يبلغ ثمنها ١٢٥ ألف دولار، فضلا عن هدايا أخرى تزيد قيمتها عن المليونى دولار. بل إن بعض الصحف حددت أعداد ما أهداه الملك إلى صديقته من الثياب الداخلية . . وأكدت صحيفة أخرى أن بيت السيدة سمبسون أصبح من ممتلكات التاج البريطانى، وأنه يخضع لحراسة مشددة من رجال الشرطة. وطالع القارىء البريطانى تحقيقات بعناوين مثيرة، مثل: المرأة التى تجسدها الامبراطورية البريطانية. والمرأة التى يتحدث عنها العالم. . وعلقت ملصقات فى محطات السكك الحديدية، وعلى الجدران، وفى دور السينما، تبرز ما تتفرد به كل صحيفة فى قصة غرام الملك. .

أفردت الصحف مساحات هائلة من صفحاتها لنشر كل ما حصلت عليه من معلومات عن حياة حبيبة ولىّ العهد البريطانى ، وآراء الأمريكان



والإنجليز فى تطورات قصة الحب، وتصورهم لمستقبل العلاقة بين الملك العاشق والسيدة المتزوجة.. وهل تطلب الطلاق من زوجها، أم تظل مجرد عشيقة للملك..

وظلت الصحف البريطانية بعيدة عن المشاركة فى «المولد»، ربما لاعتبارات الرقابة، وخوفا من الاتهام بالعيب فى الذات الملكية، وربما للاتفاق «الجنتلمان» الذى عقده الملك مع رؤساء تحرير تلك الصحف..

لكن سكرتير الملك وجد فى نفسه الجرأة ـ ذات يوم ـ ليصارح مولاه أن صمت الصحافة البريطانية عن علاقته بالسيدة سمبسون قد لا يستمر..

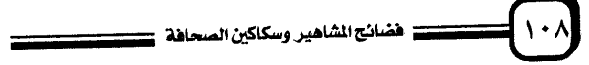
واقترح السكرتير على الملك أن يأمر بترحيل السيدة الأمريكية خارج المملكة المتحدة..

ولم يأبه الملك بكلمات سكرتيره، وانشغل بمتابعة قضية طلاق واليس من زوجها. وكتبت الصحف الأمريكية أن ملك انجلترا سيتزوج السيدة سمبسون بعد الحكم بطلاقها..

وظلت الصحافة البريطانية على صمتها. ثم بدأت فى نشر تطورات قضية الطلاق بين آليس وزوجها، مجرد مواطنة أمريكية تطلب الطلاق من زوجها الانجليزى..

ماذا فعلت الصحافة ؟

كانت الصحافة الأمريكية قد تناولت علاقة بالملك،وليس بشخص الملك.. لكن طبيعة تحقيقاتها ومقالاتها تغيرت كثيرا، بعد أن تقدمت المرأة



بطلب الطلاق من زوجها . .

وفى مذكراته، يتحدث الملك الأسبق ـ الدوق فيما بعد ـ عن تلك الفترة التى وجد فيها نفسه خصما للصحافة الأمريكية . . والبريطانية أيضا . .

لقد طلبت واليس سمبسون الطلاق من زوجها. وتحدد السابع والعشرون من أكتوبر ١٩٣٦ موعدا لنظر القضية . .

كان حبى لواليس قد بلغ ذروته فى رحلتنا الأسكتلندية. وتبادلت واليس الصداقة والإعجاب مع أخى برتى وابنته أليزابيث، أثناءتلك الرحلة أيضا . . وشعرت ـ وأظن أن هذا كان هو شعور الجميع أيضا ـ أن واليس أصبحت بعض «أفراد الأسرة» . .

وحرصت الصحف البريطانية على أن تنشر اسم « واليس» بين قائمة المدعوين من القصر الملكى لحفلات النصر، وإن لم تبرز اسم واليس باعتبارها مدعوة وحدها ، دون زوجها . . بعكس الصحف الأمريكية التى تناولت الموضوع بقسوة بالغة . .

والحق أن موقف الصحافة البريطانية لم يكن عن عدم معرفة أو لغياب المعلومات . . فقد كانت الأسرار مذاعة، ولكنهم ـ فيما أتصور ـ أرادوا أن يحتفظوا للقصر بهيبته أمام الشعب ، وألا يذيعوا ما يعد من أسراره الخاصة . .

فلما أصبح حكم الطلاق محتما، رأيت أنه من الأوفق أن أتصل



بالصحافة البريطانية، لتظل على موقفها، فلا تنجرف فيما انجرفت فيه الصحافة الأمريكية، والتى كانت تنشر يوميا سلسلة من الأخبار والتحقيقات بعنوان «الغرام الملكى» . .

استقبلت اثنين من كبار أصدقائى الصحفيين: لورد بيفربوك صاحب الديلى آكسبريس، والصنداى اكسبريس، الايفننج ستاندو . . وسير اومولها مثورت ابن لورد رود زمير صاحب الديلى ميل والايفننج نيوز . .

رويت للصحفيين الصديقين كل شىء ببساطة وصراحة، وطلبت منهما ـ بنفس البساطة والصراحة ـ ألا يحاكوا الصحافة الأمريكية فيما تكتبه، وأن تستمر الصحف البريطانية فى موقفها المتزن، أثناء نظر قضية الطلاق، وبعدها . .

وقال لى اللورد بيفر بروك:

ـ أنت تتعلم بالطبع ، أهمية الأخبار المثيرة للصحف . . ومع ذلك فإنى سأحاول . .

قلت: هل تريد مساعدة منى فى هذا الأمر . .

قال بسرعة: بالعكس . . إن أى تدخل من جانبك ربما أثار الصحفيين الشبان . أن تدخل القصر معناه الرقابة، وما تنطوى عليه من دلالات بغيضة . . اترك لى حرية التصرف . .

وعقد بيفربروك اجتماعا فى حى الصحافة بلندن، حضر لورد هاممثون ورؤساء تحرير الصحف البريطانية . .

وطرح الصحيفون فى الاجتماع مسألة حق الشعب فى أن يعرف كل شيء، وتحدثوا عن الأمانة الصحفية.. لكن بيفربروك وهارمثون استطاعا ـ بدبلوماسية متفوقة ـ أن يقنعا بقية الحضور ـ ومعظمهم من الشباب ـ أن يكتفوا بنشر تطورات الطلاق دون مبالغة أو تهويل.. مجرد قضية طلاق عادية.. فلا إشارة من قريب أو بعيد إلى أن السيدة التى تطلب الطلاق على علاقة بالقصر الملكى..

والواقع أن جميع رؤساء التحرير نفذوا ما التزموا به. نشرت الصحف نبأ الطلاق باعتباره نبأ عاديا نظرته المحاكم. بل ونشرت صحف بيفربروك النبأ فى أسفل إحدى صفحاتها. (وسأظل عمرى أدين للصحافة البريطانية بهذا الموقف الرائع الذى التزمت به فى تلك الأيام العصيبة من حياتى..).

لقاء عاصف!!

هذا هو موقف الصحف البريطانية فى تلك الفترة كما رواه الملك فى مذكراته.. لكن الصحف الأمريكية كان لها موقف آخر..

لقد ظلت تفضح وتكشف وتعود إلى بدايات قصة الحب، وتفاصيل طلب الطلاق.. وتخطيط العاشقين للزواج المرتقب.. كل شيء.. كل شيء..

وكان ما نشرته الصحف الأمريكية هو الدافع لأن يطلب رئيس الوزراء ستانلى بلدوين مقابلة الملك..

ونعود إلى مذكرات الملك : لقد طلب رئيس الوزراء أن تعلن أنباء هذه المقابلة فى تشريفات القصر وأن تجرى فى أى مكان بعيدا عن الأنظار . .

وأدرك الملك طبيعة القضية التى يريد المستر بلدوين محادثته فيها . . واختار مكانا للمبارزة ـ هذا هو تعبير الملك نفسه ـ قصر فورت بلدير، الذى تحميه الغابة البعيدة عن أعين الفضوليين . .

وأخفى الملك دهشته من أن رئيس الوزراء تجاهل قواعد البروتوكول منذ اللحظة الأولى للقاء، حتى إنه دعا نفسه على كأس من الوسكى وكانت الساعة العاشرة والربع صباحا . .

وطلب الملك من الخادم أن يأتى لرئيس الوزراء بالويسكى، وإن اعتذر بالقول : من عادتى ألا أتناول الخمر قبل الساعة السابعة صباحا . .

وقال رئيس الوزراء فى لهجة ذات مغزى: جلالتك متمسك ببعض ما كان يلتزم به والدك من تقاليد، وتهمل بعضها الآخر . . فوالدك لم يكن يشرب الخمر إلا لضرورة، وفى الحفلات التى تقام مساء فقط . .

وبعد أن أكد الرجل على أنه يجلس فى حضرة الملك، ويضع ساقا على ساق ، ويشرب الخمر فى الصباح، ويتحدث بلا كلفة . . يفعل ذلك كله باعتباره صديقا وليس رئيسا للوزراء . . تحدث مباشرة فيما قدم من أجله . .

كما تعلم جلالتك، فإن الصّحف الأمريكية نشرت ـ وتنشر الكثير



عن علاقتك بالسيدة واليس سمبسون، ومكتبى يتلقى آلاف الرسائل من المواطنين البريطانين والمواطنين الأمريكان ذوى الأصل البريطانى، يطلبون تفسير ما تكتبه تلك الصحف. وكما تعلم، فإن قضية طلاق المسز سمبسون من زوجها ستنظرها المحاكم خلال أسبوع.. وقد رأيت من واجبى - كصديق - أن أنبهك إلى خطورة الأمر.. فالصحف على الأقل لا ترحم..

وأفاض بلدوين فى التحدث عن واجبات الملك، والالتزامات التى يجب أن يحرص عليها، ثم قال بلهجة حاسمة:

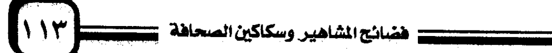
- أودّ أن أوضح لجلالتك أن تثبيت قوة العرش تقتضى مئات السنين لكن ضياع العرش يحتاج إلى وقت قصير.. أقصر مما تتصور.. بل إن العودة إلى العرش مسألة صعبة إن فقده صاحبه..

وقال الرجل: أوافقك على أن الشعب يخصك بحب عظيم.. لكن هذا الشعب يقدس التقاليد تماما، ويصر على أن تكون تصرفات القصر بلا شائبة..

ثم علا صوته متسائلا: هل يحسن بعد كل ذلك أن تمضى السيدة سمبسون فى إجراءات الطلاق..

وأردف دون أن ينتظر إجابة الملك: إذا طلقت السيدة سمبسون.. هل تنوى الزواج منها..

لكن رئيس الوزراء عرف إجابة الملك على اقتراحه بأن توقف السيدة





سمبسون إجراءات الطلاق، عندما سألها القاضى بعد أربعة أيام:

ـ ألا زلت مصرة على طلب الطلاق..

فأجابت بلا تردد :

ـ نعم يا سيدى..

وصدر الحكم بالطلاق.. والأسباب هى أن زوج السيدة واليس أقدم على خيانة زوجته فى فندق دى باريس..

تصاعد الأزمة

وبدأت الأزمة، ليس على المستوى الرسمى فحسب، بل بين الملك من ناحية ، وبين رئيس وزرائه وأسقف كانتربرى من ناحية ثانية، فضلا عن الصحف البريطانية التى أهملت اتزانها، وتطوعت بإلقاء المزيد من النفط على النيران المشتعلة..

كان هجوم الصحف الموالية لرئيس الوزراء، أقرب إلى اللكمات أسفل الحزام ، أو الضربات العنيفة من تحت المائدة..

وكتبت الديلى ميل تحقيقا مطولا عن العمال العاطلين فى جنوب ويلز، وقيام الملك بزيارة لهم..

ونشرت الديلى ميل ردا فى اليوم التالى أكدت فيه أن عطف الملك على العاطلين يعتبر مخالفا للدستور.. وأردفت قولها : إن الملك زار جنوب ويلز لنفسه فقط، وللتعرف على أحوال العمال بصفة شخصية..

أما «التايمز» فقد أعدت تحقيقا عن جنوب أفريقيا، قالت ضمن



كلماته «إن العرش وممثليه يجب أن يظلوا فى منأى عن الفضائح الشخصية، وبعيدا عن غضب الرأى العام وسخريته ورفضه..

ووصلت الرسائل الكلامية إلى الملك .. لكنه صمت عن التعقيب حتى لا يتحول الأمر إلى فضيحة ملكية..

ودخلت الصحف الصغرى بجرأة أشد.. فكتبت افتتاحية تحدثت فيها عن الاستقبال الرائع الذى لقيه ولى العهد دوق يورك ـ الملك جورج السادس فيما بعد ـ عند زيارته لأسكتلندة..

وكتبت جريدة «يوركشاير بوست» عن الشائعات التى بدأت فى الولايات المتحدة، ثم انتقلت إلى صحف الإثارة الإنجليزية، بما يعنى أن الرماد يخفى تحته وميض نار..

ثم توالت الحملات الصحفية بما لم تشهده انجلترا من قبل، نشرت «الديلى ميرور» صورة السيدة سمبسون، وأشارت «النيوز كرونيكل» إلى أنه من حق الملك أن يتزوج.. لكن اختيار الملكة هو من حق مجلس العموم.. ثم أضافت الجريدة فى كلمات محددة ،أنه من حق الملك أيضا أن يكتفى بلقب الدوق، وبذلك لن يصبح وليده المرتقب من السيدة سمبسون وليا للعهد..

إشارة واضحة ـ كما ترى ـ إلى وجوب استقالة الملك، إذا ما أصر على الزواج من عشيقته..

حتى الفيلسوف البريطانى الشهير هارولد لاسمى ، كتب فى «الديلى



هيرالد» أن الوزراة هى التى توجد الملك ، وعلى الملك أن يقبل ما تبذله له الوزارة من نصائح . . فهى المسئولة عن كل تصرفاته وتصريحاته أيضا . . وحذر لاسمى من أنه إذا أهمل الملك نصائح وزرائه فسيصبح ديكتاتورا . .

وكتبت «الايفتتج ستاندارد» محذرة من أن القانون الإنجليزى لا يعرف الزواج العرفى . وأردفت الصحيفة أن الملك وحده هو الذى يعلم ما إذا كان فى استطاعته أن يقف فى وجه رئيس الوزراء اعتمادا على تأييد الرأى العام له . .

وأكدت جريدة «ستار» أن العقبات فى طريق الزواج يمكن التغلب عليها . .

أما «الديلى اكسبريس» فقد كتبت فى صدر صفحتها الأولى :لا يمكن لحكومة أن تقف فى طريق الملك . دعوا الملك يطلع شعبه على وجهة نظره ! دعوه يحادث شعبه .

وزادت « «الصانداى أكسبريس» فطالبت باستبدال الوزارة . وأعلنت أن العصابة القديمة من الساسة تخشى وجود ملك قوى يسانده الشعب ويؤيده فى ممارسة الحياة التى يحبها

تمثال من الصلصال..

ولكن كفة الميزان الرافضة لزواج الملك من السيدة سمبسون مالت بشدة، بتأثير الهجوم الضارى الذى شنته العديد من الصحف البريطانية ، حتى تلك التى أخذت فى البداية موقفا معتدلا . وكما يقول الملك فى

مذكراته، فإن الصحافة الحرة تستطيع أن تبنى ، وتستطيع أيضا أن تهدم، ولقد صنعت منى الصحافة البريطانية تمثالا جميلا من الصلصال وها هى ذى اليوم تهوى بمعاولها فى محاولة لتحطيمه . .

وكانت إجابة رئيس الوزراء على احتجاجات الملك بأن الصحافة حرة، ومن حقها أن تنشر ما تحصل عليه من معلومات ، وما دامت المعلومات صحيحة . . وأنه ليس لدى أية سلطة تنفيذية أو رقابية ما يخوّل لهما مصادرة حرية الصحف . .

وقرأ الملك ذات صباح مقالة، تدعوه صراحه إلى الاستقالة . كتب اللور دومسون: إن النظام الملكى أبقى من شخص الملك. وقدآن الأوان ليصدر الملك بيانا يحدد فيه موقفه : العرش أو السيدة سمبسون . .

وهكذا أصبح حب الملك مادة رئيسية لكل الصحف البريطانية، وبالتالى فقد أصبح شاغل الرأي العام البريطانى. شغله حتى عن الأحداث العالمية المهمة، مثل عصبة الأمم، الحرب الأهلية الأسبانية والتسابق على التسلح، وحرب الحبشة . .

ثم جاءت المواجهة الحاسمة بين الملك ورئيس وزرائه . .

قال الملك: إن واليس هى أجمل امرأة فى العالم . .

قال رئيس الوزراء: أرجو أن تظل تلك هى نظرتك لها . .

وقرر الملك أن يعتزل العرش، فى مواجهة الحملات الصحفية وتحذيرات رئيس وزرائه ليتزوج بالسيدة التى يحبها . .



مبادرة من واليس

وفى مبادرة من السيدة سمبسون ، أصدرت بيانا قالت فيه: «أنا على استعداد لأن أقوم بأى إجراء من شأنه حل الأزمة بين الملك ومجلس وزرائه! وبداية، فإنى أعلن انسحابى من هذا الموقف الذى لم يفرض إلا الأزمة والتعاسة..

ومع أن جريدة «الديلى اكسبريس» كتبت عنوانا كبيرا يقول: نهاية الأزمة.. فإن الأزمة لم تنحّل شنت الصحف البريطانية الأخرى أقسى هجوم ضد شخص الملك وتصرفاته، وإنه لأكثر من رجل عابث مستهتر، ستؤدى تصرفاته إلى تفتيت الامبراطورية البريطانية. وقال رئيس الوزراء للملك: من المهم أن تعدل عن فكرة الزواج. ومن المهم كذلك أن تتنازل عن العرش..

وطرحت اقتراحات وراثة العرش .. هل تحل الملكة الأم مكان ابنها أم يؤلف مجلس وصاية حتى تبلغ الأميرة اليزابيث ـ الملكة الحالية ـ سن الرشد. ثم تنازل الملك عن العرش لشقيقه دوق يورك الملك جورج السادس فيما بعد..

وفى العاشر من ديسمبر ١٩٣٦ اجتمع مجلس العموم البريطانى ليستمع إلى وثيقة اعتزال الملك عن العرش: «يعلن جلالة الملك ادوارد الثامن أنه لم يعد يستطيع القيام بواجباته الملكية، وأنه قد اعتزل العرش ليتولاه شقيقه بدلا منه».

واكتفى الملك منذ تلك اللحظة بلقب جديد هو دوق وندسور .. إلى أن ودع الحياة.

ولا شك أن الصحافة كانت هى البطل الأهم فى تطورات الأحداث منذ بدأت كشائعة إلى انتهائها باعتزال الملك ومغادرة بلاده..

لقد تنافست فى تعرية الأسرار وتوضيح ما كان الملك الأنجليزى والسيدة الأمريكية حريصين على إخفائه ، فدخلت قصة الحب إلى كل بيت، وأصبحت محور كل نقاش، بحيث لم يعد أمام الزعامات البريطانية - مجلس الوزراء ومجلس العموم ورجال الدين - إلا التدخل لوضع نهاية تليق برأس الامبراطورية البريطانية ، وإن كانت قاسية بالنسبة للملك نفسه..

حتى لا تفقد ثقة القارىء..

تطورات الحكاية تؤكد أن الصحف الأمريكية هى التى بدأت المعركة لإسقاط ملك الإنجليز عن عرشه.. واستخدمت فى ذلك كل ما لديها من أسلحة ثقيلة، حتى أفلحت فى أحداث شروخ عميقة داخل القصر الملكى..

أما الصحف البريطانية، فقد ظلت على احترامها لاتفاق الجنتلمان بينهما وبين الملك. ثم أدركت أن عدم تدخلها فى المعركة يعنى فقدان ثقة القارىء الإنجليزى فيها، فهو يتابع الصحف الأمريكية، ويجد فيها ما لا يجده فى صحف بلاده، ومن ثم فإنه من السهل عليه أن يتهم الصحف

الإنجليزية بأنها تخونه، وأنها لا تعمل لحسابه، وإنما تعمل لحساب جهات أخرى ، حتى لو كانت القصر الملكى. .

والمعروف أن أخطر ما يخشاه الصحفى هو أن يتهمه قارئه بأنه لا يعبر عنه، ولا عن المجتمع الذى يعيش فيه. وخطورة الاتهام أنه لا يقف عند مجرد إبداء السخط أو الرفض، لكنه لا يتجاوز ذلك إلى الامتناع عن شراء الصحيفة، بما يعنيه ذلك من هبوط فى أرقام التوزيع. . وهو الخطر الأعظم الذى قد يسرع بإغلاق أية صحيفة. .

وبهذا أن تصاعدت الأحداث بصورة درامية، حاول الملك أن يتصل باللورد بيفربروك الذى سماه ملك الصحافة البريطانية. .

كان يريد أن يكسب الصحافة البريطانيةإلى جانبه وندسور الأمريكية فى كشف ما يدور داخل القصر الملكى، وخارجه أيضا، وإدانة الملك والسيدة سمبسون والملكة نفسها بقسوة شديدة. كان يريد من صحافة بلاده أن تستمر فى موقفها المؤيد له ، وخاصة بعد أن أخبر رئيس الوزراء فى آخر لهما أن الصحافة لن تسكت بعد الآن. .

وكما يروى الدوق وندسور فى مذكراته ، فإنه فوجىء بأن اللورد بيفر بروك قد أبحر إلى نيويورك ، وأنه لن يعود قبل أربعة أشهر. .

وسُقَط فى يد الملك . أحس أنه فقد عون رجل قوى وصديق مخلص، فى وقت حرج. وزاد من إحساسه بالإحباط أنه عندما أقدم سكرتيره الخاص ـ للمرة الأولى ـ على كتابة رسالة له، يؤكد فيها أن

صحف بيفربروك قررت هى أيضا تغيير موقفها، وكشف ما أضمرته طويلا عن علاقة ملك انجلترا بسيدة أمريكية، طلبت الطلاق من أجله..

الصحفى قد يطيل الصمت لاعتبارات خاصة ،لكنه لا يستطيع الاستمرار فى صمته إذا ما تحدثت الصحف الأخرى، بينما يحرص هو على اتفاقاته. .لأن القارىء لاتشغله إلا المعلومة. .فإذا وجدها فى الصفحة الأخرى،فإنه سيرفض متابعة الصحيفة التى اعتادها،بينما يقبل على الصحيفة الأخرى..

وبالمناسبة ، فعقب وفاة المطرب عبد الحليم فى العام ١٩٧٧ أفردت صحيفتا الأخبار والجمهورية معظم صفحاتهما للتحدث عن نجم الغناء الراحل. أما جريدة الأهرام فقد تمسكت بوقارها الشهير، واكتفت بأن تخصص لنبأ الوفاة ، وما يتصل به من مشوار حياة المطرب الراحل بروازا فى صدر الصفحة الأولى. وقد تسبب ذلك التصرف فى أن تحقق للأخبار والجمهورية أرقام توزيع أعلى من أرقام الأهرام ، ليس فى اليوم التالى للوفاة فحسب، ولا حتى فى الأيام التالية.. وإنما ظلت هى الظاهرة المميزة على مدى بضعة أشهر، قبل أن تفلح الأهرام فى استعادة «المتسرّبين!» من قرائها..

إن قارىء الصحيفة يريد منها أن تقدم له المعلومة التى يطلبها، وبالطريقة التى يريدها.. فإذا لم تحقق له ذلك، أنصرف عنها حالا .



ومع ذلك ، فقد اختصر بيفر بروك رحلته البحرية، وعاد إلى لندن ليقف إلى جوار صديقه الملك . .

وحاول بيفربروك أن يفعل شيئا . . لكن الصحيفة البريطانية كانت قد بدأت فى استخدام ما لديها من أسلحة! وكما يقول الملك فى مذكراته: «عندما طالعت الصحف فى صباح اليوم التالى لاجتماع مجلس الوزراء، الذى ناقش إمكانية تنازلى عن العرش . . كنت أتوقع أن تتحدث الصحف عن الأزمة فى صراحة قاسية . . لكنى فور قراءتى لها ـ أحسست بأسى حقيقى واشمئزاز . . أى ملك هذا الذى تتحدث عنه الصحف! هل هذا هو الشخص الذى طالما تحدثت عن حبه لشعبه ، وحب شعبه له . . أم أنه شىء آخر شائه الملامح والأخلاق . . لقد آمنت بأن حرية الصحافة تتيح لها أن تخلق وتتيح لها كذلك أن تهدم . .

وقد حاولت بعض الصحف المؤيدة للملك أن توضح وجهة نظره وتدافع عنها . . لكن هجوم الصحف الأخرى كان كاسحا إلى حد اجتذاب الصحف المؤيدة شيئا فشيئا، وتحولها جميعا إلى الهجوم ضد الملك .

وحسم رئيس الوزراء الأمر عندما ألقى أول تصريح رسمى عن النزاع بين الملك ومجلس الوزراء: إن الموضوع يتلخص فى عبارات محددة: إما الزواج من السيدة سمبسون والتنازل عن العرش ومغادرة البلاد نهائيا . وإما أصدار بيان رسمى قاطع يؤكد عدم نية الملك فى الزواج من هذه السيدة وبذلك يسدل الستار تماما على هذه القضية . .



ولم يفكر الملك طويلا.. فقد كان قد اتخذ قراره منذ فترة طويلة وبدأ فى الاستعداد للحظات التنازل عن العرش، ووداع أسرته وأصدقائه القريبين..

خسارة نصر صحفى

أخيرا، ولعله من الأسرار الصحفية التى لا يعرفها الكثيرون، وهو أن الصحفى المصرى الشاب ـ آنذاك ـ مصطفى أمين، استطاع أن يحصل على نبأ اعتزال ملك بريطانيا عن عرشه، وعلى تفصيلات الاعتزال، والجهة التى ينوى الملك السفر إليها.. ولم يكن القصر الملكى ولا مجلس الوزراء ولا الصحف ولا أية جهة بريطانية، قد أشارت إلى ذلك كله من قريب أو بعيد..

وكتب مصطفى أمين تحقيقا مثيرا حول اعتزال الملك، وقدمه إلى محمد التابعى مدير تحرير جريدة « المصرى.. وقرأ التابعى التحقيق جيدا، ثم أودعه ـ ببساطة ـ درج مكتبه..... ـ لماذا..؟!

صرخ مصطفى أمين بالسؤال وهو يغالب سخطه.. قال التابعى: لقد وقعنا معاهدة صداقة مع بريطانيا (معاهدة ١٩٣٦) ومن غير اللائق أن ننشر هذا التحقيق فى هذه الفترة تحديدا..

وانصرف مصطفى أمين، يتعثر فى خطواته، وظل التحقيق فى درج مكتب التابعى، حتى فوجىء العالم بنبأ اعتزال ملك بريطانيا، ونقلت الأهرام النبأ عن الصحف الإنجليزية. أما المصرى فقد كانت اعتبارات الصداقة بين مصر وبريطانيا سببا فى خسارتها نصرا صحفيا عالميا!...

ألمافيا... ويدها الطويلة

ألمافيا هى مرض إيطاليا الأول..

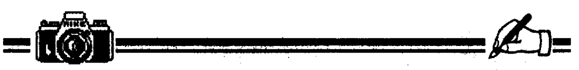
وإذا كان الحكم هناك قد تغاضى أحيانا ـ عن ممارسات عصابات المافيا، واتقاء لشرورها، أو تورط بعض القيادات فى جرائمها.. فإن الصحافة كانت هى الناقوس الذى اضطر الحكم ـ ولو لإسكاته ـ إلى التحرك الإيجابى نحو التخلص من المافيا وتأثيراتها فى المجتمع الإيطالى.

لقد شكلت الحكومة الإيطالية جهازا مستقلا لمحاربة المافيا باسم «أنتى مافيا» بمعنى« المضاد للمافيا».. لكن نشاط عصابات المافيا ظل على تعاظمه واتساعه..

الغريب أن المافيا نشأت كجماعة **لحماية الثائرين ضد الحكم الاستبدادى** الذى عانته جزيرة صقلية، فيما يزيد على القرون العشرة فهى تحميهم وتيسر لهم سبل الاختفاء، وتزودهم بالطعام والدواء الخ..

ثم بدأت الجماعة فى الانحراف عن السبيل الذى بدأت فيه أولى خطواتها. اخترعت تقاليد وقوانين خاصة ، تتسم بالحرية المطلقة، من يفشى سرا، فإن الموت كان جزاءه.. ومن يدل على عملية قامت بها الجماعة، فلابد أن يطارده أعضاؤها حتى يغيبوه تماما..

إن كلمة « **مافيا**» باللهجة المحلية الصقلية، تعنى **الفروسية والنبل والشجاعة**.. لكن المعنى تبدل تماما عندما استخدمته عصابات الجرائم التى



جعلت من المدينة مقرا لها، ثم ما لبث أن نقلت نشاطها إلى مدن إيطاليا الأخرى، ثم بقية مدن وبلاد العالم لتتحول المافيا إلى أخطر الظواهر الإجرامية فى هذا العصر . .

ماذا تفعل الصحافة..

ومع أن أبناء صقلية كانوا لا يجرؤن على إفشاء الأسرار التى يلتقون بها فى كل مكان، عن نشاط المافيا . . فإنهم كانوا يأملون أن تقوم الصحافة بهذا الدور، أن تكشف ما لا يستطيعون البوح به . .

لقد حولت عصابات المافيا مدن صقلية، إلى دولة داخل الدولة، يمارسون فيها الأنشطة غير المشروعة، كتهريب المخدرات وتجارة الأسلحة وتجارة الرقيق الأبيض والسطو على البنوك واختطاف الأشخاص مقابل فدية، واستثمار الأموال المتجمعة من ذلك كله فى إنشاء شركات ذات واجهة طبيعية . .

الأرقام تؤكد أن المافيا تساهم فى إجمالى الناتج القومى الإيطالى بنسبة ١٤٪ أما عدد العاملين لحسابها، فيبلغون أكثر من مليون شخص. بل إن بعض الصحف ـ عندما خاضت الصحافة حربها ضد عصابات المافيا ـ أكدت أن عددا من أفراد المافيا يحتلون مقاعد فى البرلمانين الإيطالى، والأوروبى. وكان بعض الوزراء فى الحكومات المتعاقبة منذ الخمسينيات، ينتمون إلى عصابات المافيا . .

وغالبا فإن المواطنين العاديين هم الذين يدفعون ثمن معارك المافيا، تتربص كل عصابة بالأخرى، وتنطلق الرشاشات، وتنهمر القنابل اليدوية،

ويفلح أفراد كل عصابة ـ بالممارسة ـ فى الاحتماء بالسواتر، بينما يقتل الأبرياء الذين يتصادف وجودهم فى مكان المعركة . .

اليد الطويلة..

المشكلة التى ظلت الصحافة تعانيها لأعوام طويلة، هى صعوبة الهجوم ـ بصورة معلنة ـ على عصابات المافيا . . لأن يد المافيا طويلة، تستطيع الملاحقة . . والأمر الوحيد الذى تملكه تلك الصحف هو التلميح، والدوران حول الوقائع، وإغفال الأسماء، ونسبة الشكاوى إلى مواطنين عاديين تتعمد الصحف إغفال أسمائهم أيضا . .

ضاعف من مسئولية الصحفيين، وإحساسهم بالخطر، عند محاولة التصدى لخطر المافيا، أنها شكلت بالفعل دولة داخل الدولة الإيطالية، واستطاعت أن تتجنب أعدادًا من كبار المسئولين، سواء بالإبتزاز أو بالإغراء المادى . .

وقد كشفت الصحف ـ فيما بعد ـ أن رئيس الشرطة الإيطالية، واسمه كونترادا، هو واحد من كبار عملاء المافيا، ظل طيلة حياته الوظيفية يعمل لحسابها، حتى إنه كان يسرب إليها ما أعدته الشرطة من خطط لمقاومتها، فتعد العصابة خططا مضادة، بل إن بعض زعماء المافيا كانوا يختبئون ـ عند حصار الشرطة لهم ـ فى المقر الوظيفى للشرطة!

لقد كان هجوم الصحافة على المافيا يواجه عقبتين: **الأولى هى** انتشار عملاء المافيا داخل الصحافة الإيطالية، فضلا عن اجتذابها لأعداد هائلة من الساسة وأساتذة الجامعات والمسئولين التنفيذيين، واستطاعت أن



تفرض ما تفرض!

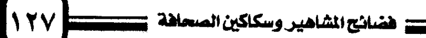
والثانية: خوف الصحفيين من ردود الأفعال التى قد تصل إلى حد التصفية الجسدية إذا ما أثيرت قضية سيطرة المافيا على الحياة الإيطالية.. لكن القلة من الصحفيين الإيطاليين أفلحوا فى الإفلات من عنق الزجاجة، وفى كتابة تحقيقات مطولة تفضح نشاط المافيا، وتدينه.

خارج الحدود..

والحق أن نشاط المافيا لم يقتصر على جرائم القتل والدعارة وتهريب المخدرات والعملة، لكنه امتد إلى النشاط الإقتصادى لإيطاليا، فأثر على حركة السياحة ـ إيطاليا دولة سياحية ـ وعلى المعاملات الإقتصادية، فازداد التضخم، وارتفعت الأسعار، فى مقابل تدنى القيمة الشرائية للأجور..

وبعد أن بدأت الصحف حملاتها الواسعة ضد المافيا، نشرت الكثير من التحقيقات التى تؤكد أن كل ما بذلته الحكومة من جهود لتقليص إجمالى النفقات، يتبدد فى تمويل المشروعات التى تقوم بها المافيا فى الجنوب، وفى الرشاوى والهبات التى يحصل عليها كبار الموظفين فى الشمال..

وطالبت الصحف بضرورة التخلص من كل المتسببين فى ذلك الوضع الغريب الذى تحياه إيطاليا.. فهى تحتل الترتيب الخامس بين الدول الصناعية بعد الولايات المتحدة وألمانيا واليابان وفرنسا.. لكن صورة وضعها الإقتصادى تكشف حقيقة إقتصادها المأزوم..





غلطة الشاطر..

لقد ارتكبت المافيا غلطة الشاطر إذ لم تتنبه إلى السخط المتزايد بين الرأى العام الإيطالى، نتيجة لتفاقم عملياتها، واتساعها بصورة خطيرة.. فأقدمت على قتل اثنين من كبار القضاة الذين أصدروا أحكاما ضد أعضائها..

اغتيل القاضى فلكونى فى سيارته المصفحة، وسيارة الحرس التابعين له، بتأثير متفجرات تزيد على الألف كيلو جرام، وضعت تحت نفق موصل إلى مدينة باليرمو عاصمة صقلية.. واستخدم الكونترول بتفجير السيارة عن بعد لحظة مرور القاضى داخل النفق، ومات الرجل وزوجته وثلاثة من رجال الحراسة، فى عملية لم يسبق لها مثيل..

أحدثت تلك الجريمة البشعة رد فعل هائلا.. ثار الرأى العام الإيطالى، واتجهت اتهاماته حالا إلى جماعة المافيا.. فالرجل وزوجته من القضاة، بل إن الرجل يعد أهم القضاة الإيطاليين.. وقد عرف عنه إدانته لجرائم المافيا، وبذل مجهودات فعلية، ليس على مستوى إيطاليا فحسب، ولكن مع الحكومة الأمريكية وحكومات أوروبا، للقضاء على نفوذ المافيا، وتصفيته تماما، وسبق له أن أصدر أحكاما قاسية ضد مجموعة من عصابات المافيا. وقيل إنه كان وراء الخطة التى نفذتها الشرطة فيما بعد للقبض على زعماء الجماعة..

المهم أن الصحف ـ حتى تلك التى إعتادت التردد فى مهاجمة المافيا

لسبب أو لآخر - لم يعد أمامها إلا أن تعكس صدمة الرأى العام فى هذه الجريمة البشعة . .

لقد علت التساؤلات الخائفة: ماذا بعد . . كيف يطمئن المواطن الإيطالى إلى حاضره ومستقبله فى ظل عربدة عصابات المافيا وسيطرتها على الأوضاع السياسية والإجتماعية فى كل مدن إيطاليا . .

وعبرت الصحف عن غضبة المواطنين بمقالات وتحقيقات، ودعت المسئولين فى الحكومة إما إلى إجتثاث المافيا من مدن إيطاليا، أو تقديم استقالاتهم . .

واضطرت الحكومة إلى التحرك . . فشنت الشرطة الإيطالية حملة واسعة ضد كل أوكار المافيا، واعتقلت العشرات من أعضائها . . ومن بينهم شخصيات مهمة، لم يكن من المتصور أنه سيلقى القبض عليها . .

مهنة بلا مستقبل..

لقد زاد من اشتعال نيران الحرب، أن عمليات المافيا لم تعد تقتصر على مناوئيها من رجال السلطة أو غيرهم . . لكنها شملت كل إنسان وكل شىء، حتى النساء والأطفال . . جعلوا المدن الإيطالية فى حالة استباحة، ولجأوا إلى أبشع الوسائل للإنتقام ولتصفية الخصوم، وأهملوا التوفيق فى عملياتهم، وما إذا كانت ستؤذى أبرياء أم لا . .

كانت للمافيا القديمة بعض التقاليد التى تحرص على احترامها . . لكن تلك التقاليد زالت من خلال الأجيال الجديدة لعصابات المافيا . . إن حياة

الإنسان أو موته لا تعنيها فى قليل ولا كثير، كل ما يهمها هو تحقيق أهدافها القذرة. .

وقد أفادت الشرطة من التحقيقات التى نشرتها الصحف، وضمنتها اعترافات لبعض الأعضاء المعتزلين فى جماعات المافيا، حتى إن أحد هؤلاء ـ واسمه توماس بوسيتا ـ أعلن أن المافيا قد أصبحت بلا مستقبل، ونصح أعضاء اللجنة البرلمانية لمكافحة المافيا بسرعة الانقضاض على المارد الذى أصابه الترهل والعجز، وأصبح متأهبا للسقوط. .

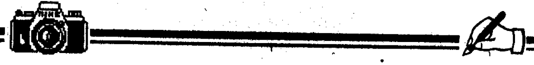
وخوفا من السياسيين على مستقبلهم السياسى، فقد لاحظت الصحف نشوء قطيعة واضحة بين أعضاء الأحزاب السياسية وعصابات المافيا، و خاصة فى جنوب البلاد. .

إن المافيا الآن فى حالة مطاردة من الشرطة، يدفعها الرأى العام الإيطالى والصحافة. . ومجرد الشك بأن أحد السياسيين على صلة بالمافيا، قد يؤدى إلى ضياع مستقبله تماما، وفقدان ثقة ناخبيه وربما أدين بتهمة التواطؤ أو تقاضى العمولات والرشاوى، أو بتهمة التعاون مع منظمات إجرامية. .

صراع معلن..

لقد تفجر الصراع علانية بين عصابات المافيا والمواطنين العاديين. .

لم يعد المواطن هو ذلك الذى يكتفى بالمقولة الشهيرة: **لا أرى.. لا أسمع.. لا أتكلم..** لكنه يشارك فى المظاهرات الصاخبة التى تدعو إلى



وجوب تطهير البلاد من عصابات المافيا، وأيضا إلى تصفية الأحزاب للعناصر المتعاونة مع المافيا، وضرورة أن تقوم الصحف بدورها فى كشف كل صور التآمر على حاضر البلاد ومستقبلها، من خلال تدمير اقتصادها ـ المهتز بالفعل ـ بعمليات مشبوهة . .

وتعالت احتجاجات المواطنين: لماذا تنفرد إيطاليا دون بلدان العالم بأن تكون مركزا للمافيا العالمية . . وما ذنب المواطن الإيطالى، ليدفع حياته واستقراره ثمنا لعمليات مجرمة لا ذنب له فيها . . وما جدوى الحياة السياسية إذا ما أصابها مرض المافيا، فحولها إلى أدوات للفساد . .

واستعادت بعض الصحف مالقيته عصابات المافيا من مصير مؤلم، وإن استحقته، فى العشرينيات من هذا القرن، بأمر من موسولينى شخصيا . . علق فى المشانق فى مايو ١٩٣٦ أربعمائة وخمسين من أفراد المافيا، ليقضى على نشاط المافيا، وتتوقف ممارساتها لأعوام طويلة، قبل أن يعودوا إلى الحياة لأسباب سياسية واجتماعية، ثم تنتهر أعضاء السلطة الحاكمة بشأن ممارساتها، واجتذابها لأعداد هائلة من كبار الموظفين، فى مختلف الجهات الحكومية، ليصبحوا قوة، يجاوز تأثيرها باليرمو وصقلية وإيطاليا إلى العالم كله . .

نافست الصحافة، رجال الأمن ـ أو دفعتهم ـ فى سبيل الحصول على اعترافات كاملة من الخارجين على عصابات المافيا . أسقطوا القَسَمَ الذى التزموا به، ألا يفشوا أسرار الجماعات التى ينتمون إليها، وباحوا بكل ما شاهدوه أو سمعوه، وذكروا أسماء زعماء الجماعات، ومصادر تمويلهم،



وأنواع نشاطهم، وأين يقيمون..

لم تنشر الصحف كل شيء.. لكنها اكتفت بذكر الخطوط الرئيسة، بما يعنى تعرف الحقائق جيدا. كما أنها لم تنشر أسماء الذين تطوعوا بإبلاغها.. وهو ما فعلته الشرطة الإيطالية.. **لأن تعرف العصابات إلى أسماء هؤلاء الذين خرجوا عليها تعنى تصفيتهم بلا تردد..**

وكان عدد من الصحفيين الشبان وراء تفجير فضائح الرشوة والعمولات التى شملت كل الأحزاب السياسية الإيطالية وبالذات فى مدينة ميلانو.. مما اضطر الحكومة إلى إجراء تحقيقات علنية، انتهت بالقبض على اثنين من العمد السابقين للمدينة بتهمة استغلال النفوذ، والحصول على مبالغ كبيرة على سبيل الرشوة..

كما ألقى القبض على ستة من أعضاء البرلمان بتهمة مماثلة..

أسماء مستعارة..

الطريف أن عددا من الصحفيين هاجم المافيا الإيطالية بأسماء مستعارة، وفى صحف تصدر خارج إيطاليا.. كشفوا أسماء الزعماء والعمليات القذرة التى قامت بها عصابات المافيا، سواء فى إيطاليا أو خارجها.. ونددوا بالصمت الحكومى إزاء النشاط الإجرامى الذى لم يقتصر خطره على الشرفاء من المسئولين، لكنه امتد إلى المواطنين العاديين الذين تحولت حياتهم إلى كابوس ثقيل، فهم لا يستطيعون الاعتراض أو التبليغ، وربما تعرضوا للموت فى إحدى عمليات المافيا ضد المسئولين

والمؤسسات الحكومية . .

وبالطبع، فإنه لو كانت التفصيلات المثيرة قد نشرت فى الصحف الإيطالية . . فمن المؤكد أنها كانت ستواجه العمليات القذرة للمافيا .

أما النشر خارج إيطاليا، فقد دفع زعماء العصابات إلى تطبيق القول: دعه يمر . . تحسبا لردود الأفعال الدولية إذا امتدت عملياتهم إلى الدول الأخرى . .

لكن التنبيه من خارج الحدود، أحدث صداه المطلوب . . وهو صدى شمل أوروبا وأمريكا، وخاصة بعد أن تبين للجميع إتساع العلاقات وترابطها وتشابكها بين عصابات المافيا فى إيطاليا، وبين عصابات مماثلة فى بلاد أخرى من العالم . .

لقد تحولت المافيا إلى خطر عالمى، يهدد الإنسان فى أماكن مختلفة على امتداد خريطة العالم، ومن ثم فقد أصبح من الواجب ليس مجرد التصدى له، وإنما اجتثاثه تماما . .

وكان أخطر ما وجهته الصحف من اتهامات إلى الأحزاب، أنها تحولت إلى ما يشبه عصابات المافيا من حيث قبول الرشاوى وإجراء الصفقات المريبة . . وفجرت الصحف قضية موارد الأحزاب، وأنها تعتمد على مصادر مشبوهة . . قد تكون المافيا من بينها . .

وقدمت الصحف وقائع محددة، تدين عددا كبيرا من رجال الأحزاب، بتقاضى الرشاوى مقابل تسهيل أعمال مشبوهة . . وتحول ما

نشرته الصحف إلى بلاغات، أصابت الكثير من الساسة ورجال المال والاقتصاد، وظهرت قوائم كاملة بأسماء المئات من الزعامات السياسية، بتلقى أصحابها مبالغ منظمة على سبيل الإكراميات، لتسهيل إقامة مشروعات كبرى فى المدن الإيطالية..

مذكرات فالكونى..

وقد نشرت الصحف الإيطالية فصولا من كتاب، كان قد وضعه القاضى فالكونى قبل اغتياله، يوضح فيه أساليب المافيا، فى مراحل عملها المختلفة.. بدءا بانضمام الأعضاء الجدد إليها، فالزعماء الكبار يجلسون فى مكان مغلق، محاط بحراسة مشددة يصعب اختراقها.. وفى إحدى الحجرات يجلس العضو الحديث العضوية نسبيا، ويقرأ أحدهم قانون المافيا بصوت مرتفع، ونبرات واضحة، على العضو الجديد وتتلخص أهم بنودها فى تحذيرات حاسمة مثل: لا تفش أسرار الجماعة.. لا تنظر برغبة إلى امرأة زميل لك فى الجماعة.. لا تستخدم قوتك فى إرغام النساء على ممارسة الرذيلة.. لا تسرق كأى لص صغير.. إلخ..

وعلى العضو أن يدرك أن سماعه لتلك التحذيرات، قبل أداء يمين الولاء للجماعة، يعنى قبوله لها.. فإذا حاول انتهاكها، عرّض نفسه لعقوبات كثيرة، قد تصل إلى التصفية الجسدية..

وبعد أن يبدى العضو الجديد موافقته على قانون الجماعة، يقسم على الكتاب المقدس بأن يكون عضوا مخلصا، ويتحمل وخز أحد الأعضاء الأقدم منه فى أصبعه بدبوس من الذهب، ويسقط الدم على دمية من

الورق ترمز إلى أحد القديسين ممسكا بصليب، ثم تحرق الدمية، ويعلو صوته بالقسم مرة ثانية: أقسم بأن ألتزم بالقواعد المعمول بها، وإلا حرقت كما حرق هذا القديس!!..

وأعلن ليولوتشا أولاندو رئيس حزب الشبكة الإيطالى وعضو البرلمان، أن السياسة الإيطالية قد غرقت فى فساد المافيا إلى أذنيها، وأن نشاط المافيا قد شمل العديد من الأنشطة المحرمة التى تشمل عمليات الإغتيال وتهريب الأسلحة وتهريب المخدّرات والدعارة، بل وتهريب الأسلحة ذات التقنية المرتفعة العالية..

وكان اورلاندو يشغل منصب عمدة مدينة باليرمو الصقلية، ويعد فى مقدمة من تستهدف عصابات المافيا اغتيالهم..

ودعا السياسى الإيطالى حكومة واشنطن إلى تغيير موقفها من حكومة بلاده، لأنها - على حد تعبيره - تساعد نظاما فاسدا..

وأكد اورلاو أنه بعد تفكك الإتحاد السوفيتى، وحلف وارسو، انفتح الباب على مصراعيه لتجارة الأسلحة، وأصبح لعصابات المافيا النصيب الأكبر فى ذلك المجال، خاصة بعد أن واجهت تجارة المخدرات ضغوطا متزايدة من الشرطة الأوروبية.. ومن بين صفقات الأسلحة التى عقدتها عصابات المافيا، مبيعات من اليورانيوم اللازم لصناعة القنبلة الذرية..

عسكر وصحفيون..





لم يكن من الغريب أن ترافق حملات الشرطة على قيادات المافيا فى جزيرة صقلية وغيرها من المدن الإيطالية بعثات من المحررين والمصورين الصحفيين.. لأن الحملات قد تمت بتحريض من الصحافة. كشفت وأدانت وأوضحت الملابسات والعلاقات المريبة، وطالبت بإتخاذ اجراءات حاسمة لإقتلاع جذور المافيا من التربة الإيطالية..

أما أخطر الشخصيات التى ألقت الشرطة القبض عليها، فهو «سلفتورى ريينا» الملقب بتوتو فيينا، والذى يعد الزعيم الأول لعصابات المافيا، والمسئول عن الجرائم التى ارتكبتها فى السنوات الأخيرة.. ومن بينها عمليات اغتيال القاضيين « جوڤانى فالكونى» و«باولو بورسيلينو» اللذين أسهما فى مكافحة عصابات المافيا بأحكام قاسية شملت كل الأعضاء الذين وقعوا فى قبضة الشرطة..

وقد احتل نبأ القبض على توتو فيينا صدر الصفحات الأولى لصحف العالم، ونشرات الأخبار فى الإذاعات والشبكات التليفيزيونية، بإعتباره حدثا مهما يوضح جدية الحكومة الإيطالية فى مقاومة النفوذ المتزايد لعصابات المافيا..

بل إن الوزراء الايطاليين استقبلوا نبأ القبض على توتو بالتصفيق الحاد، عند تلقيهم النبأ أثناء اجتماع مجلس الوزراء.. وكان مصدر النبأ هو الرئيس الإيطالى نفسه..

ومع أن وزير الداخلية الإيطالى تلقى برقيات تهنئة من مكتب

التحقيقات الفيدرالى الأمريكى، ومن شرطة سكوتلانديا رد، فإن نيكولا مانشينوى وزير داخلية إيطاليا، أكد أنه من الصعب تصور أن القضاء على المافيا قد انتهى بالقبض على أكبر زعمائها.. فلا يزال هناك عدد كبير من المجرمين، وهم أقوياء، وأذكياء، ويملكون أسلحة مؤثرة..

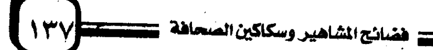
وأردف مانشينوى قائلا: لقد انتصرت الشرطة الإيطالية فى معركة مهمة.. لكن الحرب ضد عصابات المافيا مستمرة..

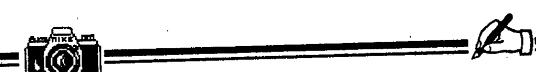
أما بقية الوزراء، فقد حذروا الصحف من أن تسرف فى طمأنة الناس بدعوى أن القبض على توتو قد أنهى اللعبة تماما، ذلك لأن المافيا قد تعيد ترتيب صفوفها، ومحاولة إظهار قوتها، وإنها لم تفقد الكثير باعتقال أكبر زعمائها..

وعموما، فإن القبض على توتو فيينا يمثل أهم ما حققته الشرطة الإيطالية فى نشاطها ضد عصابات المافيا.. لأن توتو يعتبر أخطر زعماء المافيا بالفعل.. وقد مارس كل أنواع الجريمة. وكان بقاؤه خارج السجن يعنى استمرار نشاط المافيا..

تعاون دولى..

وفى محاولة للقضاء على المافيا وتصفيتها تماما، تعاونت الحكومة الإيطالية مع حكومات أخرى، للقبض على زعماء المافيا لا الفارين إلى تلك الدول.. وسلمت الأرجنتين واحدا من كبار زعماء المافيا، هو «جوشبى فيدا نزانتى»، وسلمت بعد ذلك زعيما آخر هو «جوشبى





مادونيا» .

كما تسلمت الشرطة الإيطالية من البرازيل ثلاثة أشقاء يملكون امبراطورية اقتصادية هائلة، يمتد نشاطها فى الأمريكتين الشمالية والجنوبية . .

وأرسلت ألمانيا على طائرة خاصة، خمسة من زعماء المافيا الفارين إليها . .

أما آخر ما كشفت عنه بعض الصحف الإيطالية، **فهو وجود صلة** بين عصابات المافيا **والمحافل الصهيونية السرية**..

إن للنشاط المشترك بين المافيا والماسونية يشمل غسل الأموال الملوثة، المتحصلة من تجارة المخدرات، وتجارة الأسلحة إلى العديد من دول العالم الثالث، ونقل نفايات سامة إلى الصومال وغيره من دول العالم دون علم حكومات تلك الدول..

وقد علق وزير الداخلية على تلميحات الصحافة، بأن الصلة بين المافيا والماسونية فى صقلية ثابتة تاريخيا. وثمة عدد كبير من رجال المافيا سجلت أسماؤهم فى قائمة المحفل الماسونى بمدينة « ترابنى» الصقلية .

****

حقيقة، نسيها الجميع فى توالى الأحداث: أن الصحافة البريطانية لم تكن - إلى وقت قريب - تُعْنَى كثيرا بنشر أخبار العائلة المالكة، ذلك لأن الناس ألفوا النظام الملكى منذ عشرات السنين، وألفوا الملكة اليزابيث منذ ما يزيد على الربع القرن. .

والذى لا يعرفه الكثيرون، أو ربما تناسوه، أن الملكة اليزابيث، كانت أول من فتح أبواب القصور الملكية أمام الصحفيين، يصورون ويدونون ملاحظاتهم، ويلتقون بأفراد العائلة المالكة. . وكان رأيها أن تعرّف الصحافة إلى بعض الجوانب الخاصة في حياة أفراد العائلة المالكة سيزيل الجدران غير المرئية بينهم وبين بقية المواطنين، وأن الجميع ينتمون إلى وطن واحد هو بريطانيا. .



ولأن الباب قد فتح ، فمن الصعب إغلاقه، ومن الصعب على الملكة أيضا، أن تتحكم فيما ينبغى وما لا ينبغى نشره من أسرار العائلة المالكة وخصوصياتها. . وسجلت أقلام الصحفيين وعدساتهم عشرات المواقف والهزائم والفضائح والشائعات، التى تتناول أفراد العائلة المالكة، بدءا بالأميرة مرجريت وحكاياتها الغرامية والأميرة آن وانفصالها عن

زوجها.. ثم حكايات اندرو وسارة وتشارلز وديانا وغيرها..

وقد وصفت بعض الصحف الجيل الصاعد من العائلة المالكة أنه لن يسهم فى المجتمع البريطانى إلا فى زيادة توزيع صحف الإثارة، فضلا عن وضع النظام الملكى كله فى مأزق، قد يودى بالملكية فى المستقبل. واستندت الصحف إلى الإستفتاءات التى أجرتها مراكز المعلومات حول مستقبل العائلة المالكة.. فقد تنبأ ٤٢٪ من المشتركين فى الإستبيان، أن الملكية فى بريطانيا لن تستمر أكثر من ٥٠ عاما أخرى قادمة..

وتعالت أصوات تطالب بأن تكون الملكية البريطانية، على غرار الملكية فى دول اسكندنافيا..

وقال نائب فى حزب الأحرار - وهو الحزب الذى يحتل الترتيب الثالث فى قائمة الأحزاب البريطانية - إنه يجب على الملكة اليزابيث أن تستشرف لنفسها دورا جديدا، أكثر إيجابية، بحيث تشارك فى دفع مستقبل بريطانيا إلى قلب أوروبا..

عام نحس..

أما الملكة فقد قالت إنها تعتبر ١٩٩٢ عام نحس، تأمل أن تنساه، ولا تعود إليه بذاكرتها..

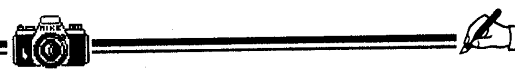
وأردفت الملكة، فى كلمة مرتجلة ألقتها فى حفل أقيم بمناسبة مرور ٤٠ عاما على إعتلائها العرش ـ أن النقد شيء جيد ومطلوب.. لكن على النقاد أن يلتزموا بقدر من الموضوعية والتعاطف. النقد يفيد أفراد العائلة المالكة، والعاملين فى البلاط الملكى.. ويجب ألا يتوقع أى منهم أنه فوق النقد ولا فوق المساءلة من هؤلاء الذين يحملون له الولاء والتأييد.

وبعد تصريح الملكة، نشرت « ديلى ستار» رسما كاريكاتوريا لأسرة فقيرة، أحاطت بها فواتير تنتظر السداد، فى حين يقول الزوج لزوجته: هناك ما هو أسوأ.. فقد كان يمكن أن تصبحى ملكة بريطانيا!

أما بقية الصحف فقد اتسمت تعليقاتها ـ على تصريح الملكة ـ بالسخرية اللاذعة..

ومن المألوف الآن لقراء الصحف البريطانية، أن يطالعوا إنتقادات حادة لأفراد العائلة، بدءا بالملكة نفسها.. وهى انتقادات أسفرت ـ مؤخرا ـ عن التزام الملكة بتقديم إقرارها الضريبى مثل كل المواطنين.. وهو ما لم يكن يتصور أحد حدوثه من قبل..

وقد توقفت الصحف طويلا أمام فشل زيجات أفراد العائلة المالكة.. فقد فشل زواج الأميرة مرجريت شقيقة الملكة مع لورد سنون، وفشل



زواج الأميرة آن ابنة الملكه من زوجها مارك فيللى، وفشل زواج أندور من سارة. . وأخيرا إنفصال تشارلز وديانا، كمحطة أخيرة لخلافاتهما الزوجية قبل الطلاق. .

واضطر القصر الملكى إلى إصدار بيان عنيف اللهجة، يتهم فيه صحف الإثارة بأنها تحاول إستغلال أخبار العائلة المالكة فى زيادة توزيعها. .

وهذا البيان يعد تطورا خطيرا فى علاقة القصر بالصحافة. . فالمعتاد أن مجلس الوزراء هو جسر الصلة بين القصر والصحافة. .

وعندما اتصلَ الملك إدوارد الثامن بأصدقائه من الصحفيين، لمناصرته ضد تعسف رئيس الوزراء والحملات التى كانت تشنها عليه الصحافة الأمريكية. .دفع القصر إلى إصدار بيانه، تحول الصحف من ذكر ما جرى إلى ذكر ما سيجرى.. فهى تتوقع المستقبل ، وترسم ملامحه، مثل التأكيد على أن ديانا تسعى للحصول على طلاق رسمى من زوجها، وأنها تزهد فى منصب الملكة، بل أنها تنوى الانسحاب الشامل من الحياة العامة، والتفرغ لوظيفتها الأولى كأم. حتى المعركة المتوقعة حول حضانة ولديها وليام، وهارى، قيل إن ديانا أزمعت العزوف عن خوضها، وأنها ستقبل بما يمليه الدستور عليها. .

أعمال درامية..

ثمة مسرحية عرضت - مؤخرا - فى دار الأوبرا البريطانية بلندن، يقول الممثلون خلال الحوار إنه بحلول عام ألفين سيتحول قصر باكنجهام إلى قصر باكين ين.. فى إشارة واضحة إلى العلاقات الوثيقة التى تربط بين الملكة اليزابيث، وامبراطور اليابان..

وقام المخرج الإنجليزى الشهير كين روسل بإعادة أوبريت «الأميرة أيدا» الذى عرض للمرة الأولى فى للقرن الماضى، وأظهر فى العرض ممثلين لدور الأمير تشارلز وأبنائه الثلاثة..

أما آخر الأعمال الدرامية عن تشارلز وديانا، فهو الفلم التليفزيونى الذى يعرض لحياة ديانا منذ طفولتها إلى الانفصال عن زوجها ولى العهد البريطانى..

وقد فضلت الأميرة آن أن تنتقل مع زوجها الجديد إلى شقة فى مجّمع هائل اسمه «لندن هوم» فى قلب العاصمة البريطانية..

وأكد الزوج أنه هو صاحب هذا القرار، حتى لا يتهم بالعيش على نفقة زوجته..

لكن الصحف أكدت - فى المقابل - أن الأميرة حرصت على الابتعاد

عن قصر باكنجهام ، الذى يصدّر إلى الصحافة وجبات شهية متتالية من الفضائح التى يقوم ببطولتها أفراد العائلة المالكة ، بما دفع الصحافة إلى اعتبار القصر مصدرا مهما لأخباره وتحقيقاتها المثيرة.

وكان الدافع لاختيار الأميرة الحياة فى شقة.. بدلا من القصر الملكى، هو الابتعاد عن مطاردات الصحافة، وملاحقتها.. والتمتع بالحياة الهادئة مثل بقية المواطنين..

والمعروف أن الرسائل المتبادلة بين آن وأحد ضباط حرس القصر الملكى، كانت سببا فى طلاق الأميرة من زوجها السابق الكابتن مارك فيليب، بل إن العلاقة بين الأميرة والكوماندر تعود إلى العام ١٩٨٦ ـ أى عندما كانت الأميرة زوجا للكابتن مارك فيليب، والذى طلقت منه فى أبريل ١٩٩٢، بعد أن أنجبا ولدين ـ وقد ظلت العلاقة بين الحبيبين محاطة بالسرية الشديدة، حتى لا تتسرب إلى صحف الإثارة، فتلصق تهمة الخيانة الزوجية بالأميرة..

الملكة تدفع الثمن..

النغمة السائدة الآن ـ وهى نغمة يشارك فى ترديدها الصحف وقادة الأحزاب السياسية والمواطنون العاديون ـ أنه يجب التقليل من الامتيازات المخولة لأفراد العائلة المالكة، وإخضاع تصرفاتهم لمراقبة مجلس العموم،



والزامهم بما يجرى على مجموع الشعب البريطانى..

وعندما أعلن جون ميجور رئيس الوزراء قرار الملكة باعتزامها تقديم إقرارها الضريبى، لقى القرار إعجابا وتأييدا من الصحف، ومن أوساط المعارضة والرأى العام البريطانى. وقلل إلى حد كبير من موجة الانتقادات الحادة التى كان أفراد العائلة المالكة قد تعرضوا لها..

وكان ميجور قد أوضح أن ضرائب الملكة ستعامل بالسرية التى يتعامل بها أى مواطن بريطانى، فى محاولة للرد على تساؤلات البعض عن قيمة الضرائب التى ستدفعها الملكة.. وإن أردف أن نسبة ما ستدفعه الملكة من الضرائب يتراوح بين ٢٥ إلى ٤٠ فى المائة..

ومع ذلك، فقد أعلن جيرمى نورين العضو البرلمانى لحزب العمال المعارض، أن العائلة المالكة لم تقرر أن تدفع عليها من ضرائب، إلا بعد أن واجهت ضغوطا صحفية وشعبية لا قبَل لها بها.. وأضاف قوله: إنه يجب أن تكون الضرائب المفروضة على أفراد العائلة المالكة إجبارية، وليست اختيارية.. كما هو الحال الآن..

أما جيس كالاهان زعيم حزب العمال فقد وثق قرار الملكة بتقديم إقرارها الضريبى بأنه يضعها على قدم المساواة مع أى مواطن بريطانى. وقال: إن الملكة بهذا التصرف تعلن اعتزامها تحمل نصيبها من الأعباء التى

تثقل كاهل البريطانيين . .

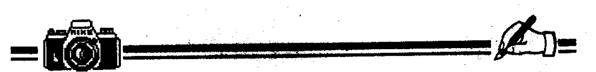
ويقدر الخبراء قيمة ممتلكات الملكة بعشرة مليارات دولار، لا تخضع كلها للضريبة . . فالقصور ومجوهرات التاج واللوحات الفنية وغيرها من الثروات «الثابتة» ، أى التى لا تستطيع الملكة التصرف فيها، لا تخضع لضرائب من أى نوع . .

ومع ذلك ، فإن الضرائب التى يتوقع أن تدفعها الملكة، تقدر بملايين الجنيهات . .

والملاحظ أن الرأى العام البريطانى، بمن فيهم أصدقاء الملكة وأفراد العائلة المالكة قد استقبلوا قرار الملكة بالتقدير، ووصفوه بأنه قرار حكيم، يهدف بالفعل إلى إعادة الملكية إلى عامة الشعب .

الواقع أن الملكة غير ملزمة ـ طبقًا للقانون ـ بدفع ضريبة الدخل . . لكن قرارها «الطوعى» جاء بفعل الانتقادات القاسية من الصحافة . . وكان قد سبقها إلى ذلك ـ بلا حملات صحفية ـ الملك جورج الخامس والملك إدوارد السابع والملكة فيكتوريا .

وقد أبلغت الملكة رئيس الوزراء، أنها توافق ـ للمرة الأولى ـ على إعادة النظر فى المخصصات التى تحصل عليها العائلة المالكة من الدولة، والتى تبلغ حوالى ٢٠ مليون جنيه إسترلينى سنويا . .

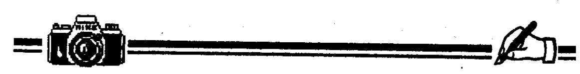


تقديرات..

السادس من أبريل القادم هو بداية السنة المالية الجديدة فى بريطانيا.. وهو الموعد الذى تبدأ فيه الملكة دفع ما عليها من ضرائب لأرباح الدخل ورأس المال. والمفروض أن قيمة الضرائب ستحدد طبقا لأسعار الأسهم فى اليوم نفسه، وليس بتاريخ يوم شرائها، لتفادى حدوث تذبذب كبير فى سوق الأوراق المالية..

وقد حددت اللجنة التى أمرت الملكية بتكوينها ما يُعْفَى من الضرائب، بأنه : القصور الملكية، وأملاك الدولة، ومجوهرات التاج، ومجموعة الملكة الفنية، والمجوهرات الموروثة، والدخل من القائمة المدنية، فضلا عن أى شىء يورث للملك التالى فإنه يعفى من ضرائب الميراث..

أما الخصومات من الضرائب ، فتشمل مليونا ونصف المليون جنيه، تدفعها الملكة لمساندة أفراد العائلة الذين لا تشملهم القائمة المدنية مثل دوق يورك والأمير ادوارد والأميرة مرجريت والأميرة « اليس» وأجور العاملين للأغراض الرسمية، والمصاريف الطبية ، والتأمين المتعلق بالمهام الرسمية، والتبرعات والجوائز والهدايا التى تقدم فى المناسبات الرسمية، والنفقات الطارئة ، والمصروفات المخصصة للمهام الرسمية ، ونفقات الملابس المخصصة للأغراض الرسمية..



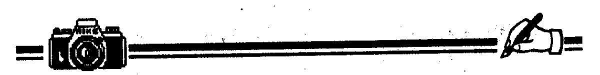
أما أعضاء اللجنة فهم : السير روبرت فيللور سكرتير الملكة، ومايكل بيت المدير الإقتصادى للبلاط الملكى، وريتشارد ايلارد سكرتير أمير ويلز . .

ومهمة اللجنة هى تحديد الفارق بين المصاريف المهنية، وغيرها من أنواع المصاريف . .

وكانت المفاجأة حين أعلن اللورد إيرلى ،أن تقديره لثروة الملكة الخاصة بمبلغ مائة مليون جنيه يعد مبالغا فيه جدا، بما يدحض الادعاءات التى قفزت بالمبلغ إلى المليارات الستة . .

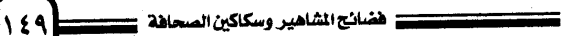
وقدرت بعض الصحف أصول ثروة الملكة بما يزيد على المليار ونصف المليار جنيه إسترلينى، تشمل قصر سارينداهام وقصر بالموراك وغيرهما من العقارات . . ذلك أنه من المتوقع أن تدفع الملكة ضريبة الملكية أيضا . . ومن المتوقع كذلك أن يدفع ضرائب الدخل والملكية الأمير فيليب زوج الملكة والملكة اليزابيث والأمير تشارلز والأمير اندرو . .

ووفقا لما كتبته «التايمز» فإن ثروة الملكة من الأوراق والسندات تبلغ ٤٥ مليون جنيه . . وهو ما يشكل الجزء الأساسى الذى ستدفع عنه الملكة الضرائب . أما الأماكن التى تتولى استثمار هذه الأرصدة، فهى بنك إنجلترا



- هو شركة تعنى باستثمار أرصدة رؤساء الدول، وتبلغ قيمة أسهمها أكثر من ٥٧ مليون جنيه استرليني. والمعتقد أن الملكة تملك ٧٥٪ من هذه الأسهم، فضلا عن استثمارات أخرى فى سوق المال، تبلغ بضعة مليارات من الجنيهات الإسترلينية..

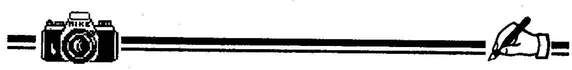
ومع أن الأمير تشارلز يدفع - اختياريا - ٢٥٪ من ايرادات دوقية كورنيل للضرائب، حيث تعتبر هذه الدوقية مصدر دخله الرئيسى لأنه لا يتلقى أى مبالغ من القائمة المدنية.. فإن الأمير سيدفع ضريبة أعلى تصل إلى ٤٠٪ وإن كان من حقه طلب بعض التخفيضات الضريبية التى قد ينصح بها مستشاروه..



عندما احترق القصر!!؟؟

كان حريق قصر وندسور هو انفراجة الباب نحو عشرات التساؤلات عن الوضع الإقتصادى للعائلة المالكة.. من يدفع تكاليف ترميم القصر؟ هل هى الملكة، أم الشعب الذى أرهقته الأوضاع الإقتصادية!. وهل تظل العائلة المالكة، والملكة نفسها، فى منأى عن الظروف القاسية التى يحياها دافع الضرائب البريطانى.. وهل «الملكية» أن تأخذ الملكة ولا تعطى..

وعقب الحريق الذى أثر على مبانى القصر، وأتى على معظم ما به



من مفروشات . . أثير السؤال: من الذى يتكلف عملية إعادة القصر إلى حالته الأولى . .

لقد أثار البريطانيون ما أعلنه بيتر بروك وزير التراث القومى أن وزراته ستنفق من خزانة الدولة فى إعادة ترميم القصر . . وأموال الخزانة - بالطبع - هى أموال دافعى الضرائب الذين أعلنوا استياءهم من هذا التصريح . .

ورغم الحزن الذى أصاب قلب الملكة اليزابيث شخصيا بحريق القصر، فإن الصحف أبدت انزعاجها من فكرة أن يتكفل دافعو الضرائب بدفع نفقات الترميم. حددت الصحف التكاليف بما يصل إلى ٦٠ مليون إسترلينى، وهو ما يساوى خمسة أضعاف نفقات إعادة تأثيث قصر همبتون الذى كان قد تعرض لحريق فى العام ١٩٨٦ .

شارك فى إخماد حريق قصر وندسور أكثر من مائتين من رجال الإطفاء، وأتى الحريق على جناح كامل بالقصر وتسبب فى خسائر مادية وتراثية يصعب تعويضها، فضلا عن تدمير الجناح الشخصى للملكة والذى تحتفظ له بذكريات جميلة . .

لكن الصحف أهملت القضايا الوجدانية، ونظرت إلى ما حدث ،

وما ينتظر حدوثه، من زاوية أخرى ، وهى ضرورة أن تدفع الملكة نفقات القصور التى تقيم فيها، بالإضافة إلى إسهامها فى تخفيف العبء على دافعى الضرائب . .

وأثارت الصحف مشكلة الضرائب التى يجب على العائلة المالكة أن تدفعها . .

المفروض أن الدولة هى التى تتكفل بدفع مثل تلك النفقات . . لكن الصورة التى أفلحت الصحف البريطانية فى تقديمها إلى قرائها، عن الأموال الهائلة التى تحصّل بلا عمل ، والتى تحصل عليها الملكة وبقية أفراد العائلة الملكة، وليالى الأنس والحظ والفرفشة داخل القصور الملكية، وقصص الحب والعلاقات المشبوهة، والفراغ الذى لا يجد ما يملئوه، والإعفاء من الضرائب . . ذلك كله شكّل صورة جديدة أمام الرأى العام البريطانى، فأصبح من «المفروض» أن يكون موضع مناقشة . .

ووجدت الصحف مجالا جديدا لمغامراتها، وللتعبير عما يشعر به المواطن البريطانى إزاء العائلة المالكة . . وأكدت أنه من غير المقبول أن تدفع الدولة نفقات إعادة القصر إلى حالته الأولى من أموال دافعى الضرائب، وأن على الملكة - باعتبارها أغنى سيدة فى العالم - أن تتكفل بمصروفات

ترميم القصر الذى تحيا فيه . .

الملكة فى مأزق..

صدرت مؤخرا رواية للكاتبة البريطانية سوتاونسند، تتخيل فيها ما يمكن أن يحدث للعائلة المالكة إذا ما قامت جمهورية منتخبة، وألغت النظام الملكى . .

أن أفراد العائلة - بربطة المعلم - سيهجرون قصورهم الحالية، ويقيمون فى شقق الإسكان الشعبى منخفض الإيجار . . ثم يبدأ هؤلاء الذين لما يمارسوا عملا من قبل، وكانوا يحيون على ما يدفعه لهم دافعو الضرائب فى البحث عن وظائف يتكسبون منها، يواجهون مواقف تذكرنا بما واجهه بطل مسرحية توفيق الحكيم **«الأيدى الناعمة»** . .

الرواية تقوم على الخيال . . لكى توالى الانتقادات والفضائح والتشهير فى حياة العائلة المالكة، يؤكد - فى تقدير البعض - وجود مؤامرة تنسج خيوطها الآن لإسقاط النظام الملكى، وإحلال النظام الجمهورى بدلا منه . .

والواقع أن طرح قضية استمرار الملكية لا يستهدف زيادة أرقام توزيع الصحف ولاهو للتسلية. فالأمر المؤكد أن القطاعات التى تؤمن بفكرة

الوحدة الأوروبية ليست متحمسة للنظام الملكى، أو أنها لم تعد متحمسة، اتساقا مع التطورات التى يجب أن تشمل كل دول أوروبا..

إن هذه القطاعات تعنى بمصالحها المالية والاقتصادية بأكثر مما تعنى بالنظام الملكى.. وفى ضوء هذه «الحقيقة» يجب أن تتغير النظرة الثابتة إلى تلك الحملات المتوالية التى تستهدف أفراد الأسرة المالكة، وأنها ليست مجرد حملات صحفية تعنى بزيادة التوزيع، لكن «وراء الأكمة ما وراءها»، كما يقول المثل الشهير..

الآراء الآن تتعدد بين نسبة كبيرة من الشعب البريطانى، تطالب بإلغاء النظام الملكى.. وترى أن العائلة المالكة مجرد عالة تقبض ولا تؤدى شيئا، مجرد عاطلين بالوراثة، يحيون فى ترف.. بينما الشعب يعانى الكساد والظروف الإقتصادية الصعبة..

أما الداعون إلى وجوب إبقاء النظام الملكى، فإنهم يرون فى النظام استمراراً لتاريخ طويل عاشته بريطانيا لقرون طويلة.. ومن الخطأ إلغاء ذلك كله نتيجة لحملات الصحافة، أو لأخطاء بعض أفراد العائلة المالكة، أو حتى لسخط الشعب «الوقتى» على الهوة التى تفصل بينه وبين العائلة. ويطلب هؤلاء تعديل بعض القواعد الخاصة بوضع العائلة المالكة، بحيث

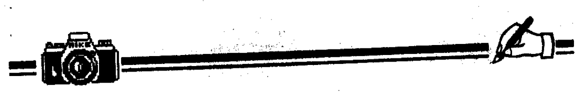
تجاوز التزامها الحالى بالحياة على هامش الحياة الشعبية البريطانية، لتحيا داخل تلك الحياة، وتعانى مشكلاتها وتشارك فيها . .

وأشاروا - فى ذلك - إلى عدم مشاركة أفراد العائلة المالكة فى حرب **الخليج**، بينما سافر إلى جبهات القتال **آلاف الجنود من أبناء الشعب** البريطانى.

وقد وجد دعاة الجمهورية فى مسلسل الفضائح الذى تابعه الشعب خلال العام الماضى، ويقدر عددهم بالمئات، ما دفعهم إلى استعادة مطالبهم بتحويل نظام الحكم فى البلاد إلى **جمهورية** . .

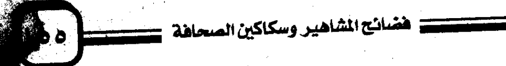
وإذا كانت جمهورية كرومويل قد جاءت منذ ٣٥٠ عاما نتيجة للحرب الأهلية التى أطيح بها برأس ملك بريطانيا شارل الأول فإن العائلة المالكة الحالية تسهل الأمر على دعاة الجمهورية . . فالفضائح التى تشهدها القصور الملكية تجعل من إسقاط النظام الملكى أمرا مطلوبا وملحا دون الحاجة إلى حرب من أى نوع . .

اتهامات أخرى توجه إلى قيادات صناعة السيارات والبترول . إنهم يرون فى تصدى تشارلز لمشكلات البيئة خطرا عليهم، ومن ثم فهم يحاولون صرف انتباهه، ودفعه إلى الاشتغال بهمومه الأسرية ، وإن



أمكن فإسقاطه . .

وأشارت بعض التحقيقات الصحيفة إلى الشائعة التى رددها رجال صناعة السيارات والبترول ، منذ عدة سنوات ، عن معاناة ولى العهد البريطانى من اضطراب ذهنى . . وادّعوا أنه يحلم بصوت عال، ويتحدث إلى الأزهار والورود فى حدائق القصر . . وقد نشروا ذلك بالفعل فى الصحف الخاضعة لنفوذهم . .



الحظر عن الصحافة..

وتظل الصحافة البريطانية ـ وصحافة الإثارة على وجه التحديد ـ هى الخطر الأشد الذى تعانيه العائلة المالكة، بما تنشره من حكايات الغرام والفضائح بين أفرادها، وبين رجال ونساء فى أعلى سلم المجتمع البريطانى، وفى أسفله . .

ثمة اقتراحات قدمت إلى مجلس العموم ،لإصدار تشريع بمنع نشر أنباء العائلة المالكة . . لكن مثل هذا التشريع يتنافى مع الدستور البريطانى، لأن الصحافة حرة . .

وقد اتهمت الملكة الصحافة بأنها هى السبب المباشر فيما تعانيه العائلة المالكة. أصبح للخبر المثير أولوية على ما عداه، والتدخل فى أمور

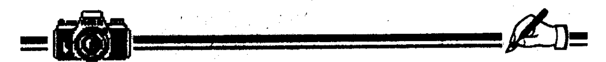


العائلة سمة لكل الصحف البريطانية، حتى التى اشتهرت بالاعتدال . .

وترى الملكةأنه لولا تدخل الصحافة فى حياة الزوجين تشارلز وديانا لأمكن تطويق هذه الخلافات . إنها ظاهرة أسرية . . والمهم أن يتم تجاوزها بتدخل الوسطاء الذين يسعون لإصلاح ذات البين، لا تدخل الطفيليين الذين ينشدون الإثارة والفضائح دون مراعاة لأى شىء . .

أما دنيس سكينيرز أحد زعماء حزب العمل فقد أكد أن تشالز وديانا حين أعلنا انفصالهما، فإنهما قد ضغطا على زر التدمير الذاتى للعائلة المالكة البريطانية، وأن الملكة اليزابيث قد تكون هى آخر الملكات فى حياة الشعب البريطانى . .

ومع كل الانتقادات التى توجه إلى العائلة المالكة، فإنه من الصعب تصور ميل كفة المعارضين للنظام الملكى على المؤيدين لهذا النظام فى قادم الأعوام . . ذلك لأن الملكة تحظى ـ منذ كانت ولية للعهد ـ بقدر كبير من الاحترام والتوقير. وكانت على الدوام مثلا، ورمزا رائعا للملكية التى تملك ولا تحكم . . وكانت ـ فى الوقت نفسه ـ مثلا للمرأة التى أخلصت لزوجها ولبيتها وعائلتها . . ورغم النبش المتوالى من الصحافة فى حياة العائلة المالكة، فإن الحياة الشخصية للملكة ظلت دائما فوق مستوى الشبهات . .



ملكة بلا مشاكل..

والحق أنه منذ تولت اليزابيث عرش بريطانيا فى أكتوبر ١٩٥٢، وهى تحتفظ لنفسها بصورة طيبة أمام الرأى العام فى بلادها. وكما وصفتها الصحف البريطانية، فإنها ملكة بلا مشاكل، وعاشت وما زالت فى اتزان ووقار لا مثيل لهما..

لكن المشكلة تكمن فى أفراد العائلة المالكة، ولا يخفى الرأى العام تعاطفه مع الملكة التى صدمت فى فشل الحياة الزوجية لشقيقتها، ثم لابنتها آن، ثم خيانة سارة، وأخيرا ذلك الانفصال بين تشارلز وديانا..

وكما تقول اللوموند الفرنسية، فإنه إذا كانت الملكية فى بريطانيا قد استطاعت البقاء حتى الآن، فلأن هذه العائلة المالكة كانت تتسم على الدوام بالمثالية والاتزان، بحيث تعد صورة متفردة للأسرة البريطانية بعامة.. لكن الصورة لحقتها تشوهات بفعل أفرادها أنفسهم. ولاشك أن الملكة بعيدة تماما عن كل ما يشين.. لكن المؤسف أن هؤلاء اللاعبين بالنار هم من أفراد أسرتها القريبين!..

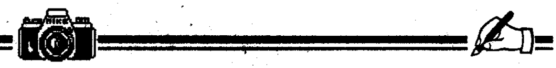
المؤيدون للنظام الملكى، والمتعاطفون مع الملكة شخصيا، يرون أن مستقبل العائلة المالكة يجب أن ينبع من داخلها، ولا يمليها عليها أحد،



حتى لو كان مجلس الوزراء أو مجلس العموم. . وحتى لو أسرفت الصحافة فى تشنيعاتها وانتقاداتها. .

وإن استجابة العائلة لتطورات الحياة فى المجتمع، ولظروفه الاقتصادية، مسألة بديهية. وينبغى أن تترك لتقدير الملكة ولأفراد عائلتها ، بحيث يقررون المدى الذى يجب عليهم أن يتحركوا فيه، أو يقدمون إسهاماتهم المتوقعة. .

*****



مشكلات ديانا

فى العام ١٩٨١ أطلق على زفاف ولى العهد البريطانى الأمير تشارلز وزوجته الحسناء ديانا «زفاف القرن»، وتمنت كل فتاة فى هذا العالم لو أنها كانت موضع ديانا التى ستصبح ملكة عندما ترحل اليزابيث ويتولى تشارلز العرش بدلا منها . .

ثم مضت الأعوام، وتحول الحلم الوردى إلى واقع يزخر بالمنغصات والمشكلات والاتهامات المتبادلة . . واختار بطلا زفاف العصر ـ فى النهاية ـ أن ينفصلا، فى محاولة لاسترداد الأنفاس والمراجعة، قبل أن تنتهى حياتهما الزوجية بالطلاق . .

التقى تشارلز وديانا للمرة الأولى على ظهر الباخرة بريتانيا، فى أواخر صيف ١٩٨٠ . كانت واحدة من شلة أخيه الأصغر اندور. جاءت بصحبة السيدة سارة ارمسترونج جونر، ابنة عمه التى تصغره بستة عشر عاما . . لكن الفتاة الصغيرة أصرت على أن تحصل على قلب ولى العهد.

قالت العبارة نفسها: سأحصل عليه. واعتبرها أصدقاؤها من قبيل الدعابة . . لكن المسألة كانت أبعد من ذلك . .

وكما قال ستيفن بارى، الخادم الراحل للأمير: لقد مضت ديانا وراء الأمير باصرار كامل. كانت تريده، وحصلت عليه ! . .

.. ثم بدأ الخلاف

يقول أحد كبار موظفى القصر الملكى: لقد واجهتنا مشكلات كثيرة



مع ديانا فى البداية. كانت قد جاءت مباشرة من مدرسة للحضانة - حيث كانت تعمل - إلى القصر.. أحيانا ما كانت تسأم كل شئ. وكان علينا أن نقوم بتهدئتها، وأن نعلمها الفارق بين أن تكون نجمة سينمائية تلوح بيدها للجماهير، وبين أن تكون عضوا فى العائلة المالكة. إنها فى الحالة الأخيرة يجب أن تكون أكثر اتزانا وحكمة..

أرجعت بعض الصحف بواعث الخلاف بين الزوجين إلى فارق السن، وهو الأمر الذى أثار ديانا قبل الزواج، ودافعت عنه بالقول: لا أهمية لهذا الفارق..

أما تشارلز، فقد قال ممازحا: إنى على ثقة من أن ديانا ستبقينى شابا إلى الأبد!..

لكن الأمر جاوز حد الأمنيات الطيبة، فلم يفلح تشارلز فى أن يجعل منها امرأة رزينة، تشعر بمسئوليتها إزاء وضعها الأسرى والإجتماعى، وظلت ديانا - من ناحيتها - مقبلة على موسيقا الديسكو وأندية الرقص، والالتقاء بصديقاتها فى المطاعم التى تمتلئ بالمرتادين.. وهو ما يكرهه تشارلز عادة..

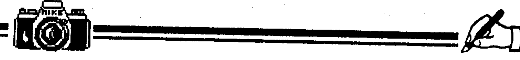
وحسب تحليل الصحافة البريطانية، فإن تشارلز أقرب فى نفسيته وعاداته إلى رجل القرية، يفضل البقاء فى بيته، وقراءة كتب التاريخ والفلسفة: أما ديانا فهى تفضل الروايات الرومانسية، وتحب التمتع بزحام المدينة وضوضائها..

بالإضافة إلى ذلك، فقد كانت هناك فوارق غير مرئية، ما لبثت أن توضحت، وفرضت نفسها على العلاقة بين الزوجين.. فديانا عنيدة، وتصر على أسلوب خاص فى حياتها، وتقاوم أية محاولة لإثنائها عن ذلك الأسلوب. الأمر نفسه تقريبا بالنسبة لتشارلز، فقد كان عليه للمرة الأولى - كما قال خادمه - أن يفكر فى شخص آخر فى حياته.. غير نفسه.. لذلك كان يبدى انزعاجه من التغير الذى طرأ على حياته، وكان يبدى ملاحظاته لزوجته أمام الآخرين..

وإذا كانت سارة فرجسون زوجة الأمير اندرو، قد حاولت أن تحتفظ باستقلاليتها فى علاقتها بزوجها، فإن ديانا حاولت أن تقلدها فى ذلك، مما أضيف إلى تأزم العلاقة بينها وبين زوجها. أصرت أن تجاوز دور طالبة المدرسة، إلى دور آخر أكثر ثقة، ولا تمضى - بتلقائية - وراء زوجها إلى المكان الذى يختاره..

والواقع أن المكتب الصحفى تصرف أحيانا، بما أكد أزمة الثقة بين القصر الملكى والصحافة.. فقد التزم الصمت ازاء كل الشائعات، بينما تحتل أنباء خلافات الزوجين الصدارة فى شبكات الأخبار التليفزيونية الأمريكية، والصفحات الأولى فى جريدتى «الصنداى تايمز» و «الصنداى تليجراف» اللتين تتميزان بالرزانة والجدية، وعدم الجرى وراء الإثارة.

حتى **علم النفس** تدخل فى العلاقة بين الزوجين، فقال العالم النفسى رانييس لويس، بعد أن ألقى نظرة على مشاهد تليفزيونية تجمع



بين ديانا وتشارلز: من الواضح أن العلاقة بين الزوجين فاترة جدا. إنها تحاول أن تبعده عن الصورة، والتظاهر بأنه لا يقف إلى جوارها، وهذا سلوك لا يتوقعه المرء من زوجين سعيدين ! . .

بل إن العرَّافين أيضا - تصوروا! لقد- تدخلوا فى العلاقة بين الزوجين الملكيين. وأعلن أحدهم - واسمه لايك - عن شخصية ديانا أنها تميل لفقدان الثقة والإحباط، وأنها تتصرف - بانكساز - أمام أصحاب الشخصيات القوية، وربما أثارها البعض فصرخت فيه: فلتذهب إلى الجحيم ! . .

وحاول أحد نواب المحافظين أن يثير قضية الخلاف بين الزوجين، عندما طرح سؤالا فى مجلس العموم عما إذا كان من حق أمير ويلز أن يرتقى العرش - كأكبر الأبناء - بصورة أوتوماتيكية . .

ولم تحاول الحكومة البريطانية أن تجيب على السؤال، ارتكازا إلى أن الإجراءات البرلمانية تمنع النقاش حول خصوصيات العائلة المالكة.

مطاردات صحفية..

قبل أن تلد ديانا الأمير وليم بأقل من خمسة أسابيع، انتقلت الأميرة إلى القصر كنجستون لتقيم مع أفراد الأسرة المالكة، بينما استدعت الملكة الصحفيين، وطلبت منهم أن يتركوا الأميرة فى سلام، ويحترموا خصوصيتها. . لكن الأميرة - فى الواقع - كانت تتيح للصحفيين فرصة الحصول على مادة مثيرة. .



فقد فوجئ الصحفيون بالأميرة فى إحدى جزر البهاما، وهى تسبح بالقرب من الشاطئ، وترتدى المايوه البكينى، بينما كانت حاملا فى الشهر الخامس..

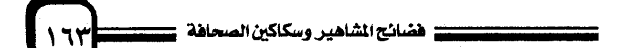
والتقطت مئات الصور للأميرة التى كانت ترافق زوجها فى رحلة ترفيهية..

وأعلن القصر الملكى غضبه على سلوك المصورين والصحفيين. وحدثت أزمة حقيقية بين القصر والصحافة. واعتبر ذلك اليوم من أسوأ الأيام فى تاريخ الصحافة البريطانية..

والواقع أن ديانا عانت كثيرا من تدخلات الصحافة وملاحقاتها. وقد أعلنت غضبها بشدة، وانخرطت فى البكاء، لما نشرت إحدى الصحف صورة لها مع المغنى المعروف ديفيد بوى، وثبت أن الصورة كانت تجمعهما بأحد أعضاء الأسرة المالكة.. لكن الصحيفة قطعت الصورة، وأبقت على ديانا وديفيد وحدهما، لهدف واضح !..

وانتقدت الصحف ظهور ديانا فى حفل عام وهى ترتدى بنطلونا من الجلد.. واعتبرت ذلك التصرف «جليطة» وقلة ذوق .

والتقطت عدسات المصورين عشرات الصور لديانا مع أصدقاء من الرجال. ومع أنه لم يكن فى الصور ما يدعو إلى المؤاخذة، فإن إلحاح الصحف على نشرها بدا وكأنه يستهدف أميرة ويلز، حتى اضطرت ديانا إلى اعلان عدم قدرتها على أداء أعمالها فى ظل مطاردة الصحفيين لها.





الأميرة مصدر صحفى..

ثم كانت المفاجأة التى ذهل لها رجال القصر الملكى.

لقد تحولت الأميرة ديانا إلى مصدر للصحافة.. فهى تسرب الحكايات التى تعبر عن وحدتها وإحساسها بالظلم، وضيقها وتبرمها بالبروتوكولات. والهدف ـ بالطبع ـ هو كسب الرأى العام داخل بريطانيا.. وخارجها أيضا.

التحقيقات كثيرة عن الأميرة التى تمنت كل فتيات الدنيا أن يكن بدلا منها فى ليلة زفاف القرن العشرين.. لكنها الآن ـ من خلال ما سرّبته إلى الصحف ـ تعانى غربة قاسية داخل العائلة المالكة، وقواعد البروتوكول تفرض عليها التزامات لا تحبها.

وعندما بلغ الطفلان سن الدراسة، قرر الأمير أن يعهد بهما إلى المربية ما بل اندرسون، التى عنيت به فى طفولته، على أن ينتقلا فيما بعد إلى حاضنة أخرى تتولى رعاية سنواتهما الأولى فى قصر كنسنجتون.. لكن ديانا أصرت أن تلحق طفليها بمدرسة عادية، ليزاملا الأطفال الآخرين، ويتمتعا بالحياة بعيدا عن قواعد البروتوكول وقيوده.

أما أخطر ما سربته الأميرة إلى الصحف، فهو علاقات تشارلز النسائية.. فالأمير يقيم علاقة خاصة جدا مع الليدى كاميلا باركر باولز.. وينعكس ذلك على سلوك الأمير وتصرفاته فى القصر، ومع زوجته تحديدا. والزوجة تقضى الليالى ساهرة تبكى، تنتظر عودة الزوج من

مغامراته الليلية (والواضح أن سهر الزوجة الباكية أمر يصعب أن تعرفه الصحافة إلا إذا كان المصدر من داخل القصر، ومن داخل غرفة نوم ديانا شخصيا).

وروى أن الأميرة التقطت مكالمة تليفونية من زوجها أثناء استحمامه. وكان يقول لمحدثته فى الجانب الآخر: مهما حدث، فسأحبك إلى نهاية العمر.. وكانت المقصودة بالكلمات، هى الليدى كاميلا .

وروى كذلك أن الأمير صارح زوجته بأنه قد حصل على موافقة أبيه بأن يعود إلى الليدى كاميلا إذا لم يوفق فى زواجه أثناء الأعوام الخمسة الأولى .

وتأثر قراء الصحف لما نشر عن تردد الأميرة بصفة منتظمة على الأطباء النفسيين، وهو ما يعنى قسوة حياتها الزوجية .

وأكدت «الصنداى تايمز» أن ديانا أقدمت على محاولة الانتحار أكثر من مرة، بسبب سلوك زوجها معها، وانغماسه فى علاقات لا تنتهى مع الكثيرات من النساء .

التاريخ يعيد نفسه..

«الفارق» بين عمر كاميلا وعمر ديانا «حوالى أربعة عشر عاما». وديانا - باعتراف تشارلز نفسه - سيدة جميلة، أو «ليدى» بالتعبير الانجليزى» أما كاميلا فهى تكاد تكون خلوا من الجمال.. وهو ما أعاد إلى الأذهان حكاية غرام إدوارد الثامن، ومسز سمبسون.



كانت واليس مطلقة، وتفوق الملك الراحل سنا. وتعرض الملك لضغوط عنيفة من الصحافة الأمريكية والانجليزية، ومن رئيس الوزراء، وأسقف كانتربرى.. لكنه واجه العاصفة، واختار القرار الصعب. تنازل عن العرش ليقضى بقية حياته فى عزلة هادئة، مع المرأة التى أحبها.

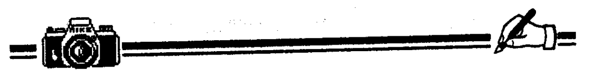
فهل تتكرر حكاية الغرام القديمة ـ مع اختلاف فى التفاصيل ـ بين تشارلز، وكاميلا.

لقد أجابت الصحف البريطانية ـ صحف الإثارة تحديدا ـ على السؤال: لماذا فضل تشارلز المرأة الأكبر سنا، والأقل جمالا.. على المرأة الأصغر سنا، والأكثر جمالا.

وأجابت الصحف على السؤال بأن تشارلز كان مبهورا بشخصية كاميلا منذ تعرف إليها فى العشرين من عمره. وقد أذهله ـ وأعجبه فى الوقت نفسه ـ قولها له، وهما يرقصان فى إحدى الحفلات: إن جدتى أليس كابيل كانت عشيقة لجدك إدوارد السابع.

ومضى تشارلز فى حكاية غرامه بكاميلا دون أن تشغله التحذيرات المعلنة أو الملمزة. بل لقد فرض على ديانا فى بعض المناسبات، أن تلتقى بعشيقته. ووجدت الصحف فى لقاءات الزوجة والعشيقة مناسبة لالتقاط مئات الصور.. وأكد البعض أن تشارلز يجد فى كاميلا الأم، والعشيقة.

الطريف أن كاميلا كانت هى التى رشحت ديانا لتكون عروسا لتشارلز. ثم أصبحت ـ بعد الزواج ـ صديقة حميمة لديانا التى لم تشعر



بالغيرة من سيدة أكبر منها سنا وأقل جمالا.

أما لماذا لم يكن تشارلز هو «العريس» الذى تختاره كاميلا لنفسها، فلأن تشارلز كان ـ قبل زواجه ـ من ديانا ـ مشغولا فى عمله بالبحرية البريطانية، وكانت كاميلا ـ فى الوقت نفسه ـ مشغولة بصداقتها مع شاب رياضى من هواة ركوب الخيل. وعرض عليها الشاب أن تتزوجه.. فوافقت، وأنجبت منه طفلين.

تقول إحدى صديقات كاميلا: لقد تصورت كاميلا أن تشارلز، عندما سافر إلى جزر الهند الغربية، تخلى عنها للأبد، ولا يرغب فى الارتباط بها، ومن ثم فقد وجدت فى زوجها الحالى أندرو فرصة ينبغى ألا تفلتها.. لكن تشرلز أدرك بعد أشهر قليلة، أنه ارتكب غلطة عمره.

وظهر تشارلز من جديد فى حياة كاميلا. وزاد من توثق علاقته بها أن «الغيرة» لم تكن نسيجا فى شخصية زوجها. بل أنه اختار تشارلز «اشبينا» أو «أبا روحيا» لطفله الأول، عند تعميده فى الكنيسة. وكان الزوج يسافر إلى عمله فى روديسيا ـ موزمبيق ـ ويعود ليروى لزوجته المغامرات التى خاضها. أما تشارلز فكان يتولى مهمة رعاية الزوجة فى غيبة زوجها !.

اللافت أن زوج كاميلا ـ بعد أن أذيع نص الشريط بين زوجته وتشارلز رفض عروضا للعمل خارج الحدود. وقال إن مهمته الآن هى حماية سمعة زوجته، وإنه يطمئن إلى وجود تشارلز إلى جانب زوجته، فهو صديق قديم ومخلص!



إنى أعبدك

الديلى ميرور هى صاحبة المفاجأة فى تقديم شريط المحادثة التليفونية بين تشارلز وصديقته كاميلا . .

أكدت الجريدة أن المحادثة جرت فى ١٩٨٩ ،وفى اليوم الرابع بدأت الجريدة فى نشر التفاصيل المتصلة بالمحادثة، وإن لم تنشر المحادثة نفسها. ونسبت الجريدة إلى تشارلز قوله لكاميلا عبر أسلاك التليفون: إنى أحبك . . إنى أعبدك! . .

المفاجأة الأغرب أن جريدة «صن» نشرت فى نفس ذلك اليوم، تفاصيل أخرى حول مكالمة تشالز وكاميلا، بما يعنى أن المحادثة قد جرى توزيعها على أكثر من صحيفة . .

وتنافست الصحف الاسترالية والأوروبية فى التأكيد على أنها تحوز شريط المحادثة، وتراوحت تعليقات الصحف حول مضمون المحادثة، بأنه سّيىء ومثير للغثيان، أو أنه لا يعدو أن يكون تلميحات جنسية قذرة . .

قال تشارلز لكاميلا كلمة أحبك ١٦ مرة، وكلمة حبيبتى ٢٦ مرة وبين كل كلمة وأخرى تطول لحظات الصمت بايحاءات يعاقب عليها قانون الآداب العامة.

وقالت كاميلا فى حديثها: لا أستطيع أن أتحمل ليالى الأحد بدونك. إن هذا يبدو مثل برنامج «لنبدأ الأسبوع». صدقنى، لا أستطيع أن أبدأ الأسبوع بدونك .

وقال لها تشارلز: طبعا.. فأنا أشحن بطاريتك.

وكلام كثير، سخيف.. وبينه لحظات صمت أسخف منه.

أما آخر المفاجآت فى ذلك الشريط الذى كان عاملا حاسما فى السير بعلاقة الزوجين تشارلز وديانا إلى طريق مسدود، فهى أن المخابرات البريطانية أم - آى - ١٥ كما يؤكد الخبثاء - هى التى سجلت على شرائطها مكالمة تشارلز وديانا.

ولماذا أقدمت المخابرات البريطانية على هذا التصرف. ولماذا طبعت منه العديد من النسخ، ووزعتها على دور الصحف فى بريطانيا وخارجها ولحساب من حدث ذلك كله. وهل هو تصرف فردى، أم أنه ينطوى على مؤامرة من مؤسسة حكومية بهدف فضح العائلة المالكة.

- ويثور السؤال مجددا لماذا؟!

ويظل الجواب معلقا، حتى إشعار آخر، وإن كان لا يخلو من دلالة ذلك الاستفتاء الذى أجرته «الديلى ميرور» عقب نشر الصحف البريطانية والاسترالية والأوروبية، لما زعم أنه شريط المحادثة بين تشارلز وكاميلا. وكان من بين أسئلة الاستفتاء: هل تؤيد استمرار الملكية. وقد أجاب ٥٤٪ من المشاركين فى الإستفتاء بالقول: نعم.. بينما قال ٣٠٪ بالفم المليان: لا.

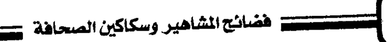
كنوز الأسرار

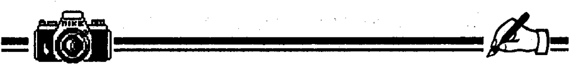
كانت صورة الزوجين أمام الشعب البريطانى، زوجة بريئة غيورة،

تتسم تصرفاتها بالبساطة والتلقائية. وزوج دون جوان، أهمل أسرته وخطورة منصبه كولى لعهد بريطانيا، وانصرف إلى إقامة العلاقات الغرامية. وجسّد الصورة ما سربته ديانا إلى الصحف من ألوان وظلال ورتوش، عن الملامح التى تريد توصيلها لشخصية زوجها، فى المقابل من شخصية الزوجة البريئة الطيبة، الأقرب إلى شخصية سندريلا فى رومانسيتها الحالمة المحلقة. استغلت ديانا شعبيتها الجارفة لاكتساب تعاطف الرأى العام معها ضد الزوج الذى قابل ثقتها وحبها بالخيانة. وظل تشارلز على صمته لفترة طويلة. فلما دخلت المعركة أسلحة غير مشروعة مثل التسجيلات، اضطر للدخول بأسلحة مماثلة.. ودخل الصحفيون المغارة يغترفون من كنوز الأسرار التى تضمها.

أصدر الكاتب الصحفى اندرو مونتون كتابه «ديانا ـ القصة الحقيقية» وهو سلسلة من التحقيقات الصحفية، زعم كاتبها أنها تروى القصة الحقيقية لأميرة ويلز. وفوجئ القراء بأن صورة سندريللا الحالمة أبعد ما تنطبق على ديانا. إن لها أصدقاءها ومغامراتها وأسرارها التى لم تعلن بعد.

والتقطت مجلة «بارى ماتش» الفرنسية طرف الخيط، وأضافت إلى ما ذكره أندرو بوروتون قائمة بأسماء الأصدقاء الأعزاء للسندريللا، ومنهم رجل الأعمال فيليب دون، والضابط بالحرس الملكى ديفيد دوتر هاوس، وجميس جيليبى معلمها فى ركوب الخيل، وفى لعبة البريدج، وغيرهم.





ثم تحدثت الصحف عن ضابط المدفعية جميس هوايت الذى هجرته خطيبته لشكها فى علاقته بديانا. وأكد نبأ صحفى أن الرجل عاد من مهمته بالخليج، فلم يذهب إلى موعد للغداء مع خطيبته، وإنما أسرع لزيارة ديانا فى القصر الريفى للعائلة المالكة بهاى جروف.

وتعددت تلميحات الصحف ـ وتصريحاتها ـ عن المغامرات السرية لأميرة ويلز، ومنها علاقة حدثت فى أغسطس ١٩٩٠، واستمرت أربعة أيام فقط، مع تونى بيتزو، وهو إيطالى تولى قيادة سيارتها أثناء إجازة قصيرة فى ايطاليا.

ونشرت «صن» صورة لديانا وهى تقبل السائق الشاب فى مطار روما، واعتبرت دوائر القصر، والصحف أيضاً، أن ما «فعلته» ديانا يعد خرقا فاضحا للتقاليد الملكية التى تبيح التواضع، لكنها ترفض التساهل إلى حد تبادل القبلات مع خادم.

ثم فاجأت «صن» قراءها، والمجتمع كله، بنص محادثة تليفونية، أكدت أنها بين ديانا ورجل هو جيمس جيلبيى، معلم ركوب الخيل والبريدج.

تضمن التسجيل بعض العبارات الدافئة، أو الساخنة، يقول جيمس جيلبيى وسط فاصل من القبلات خلال أسلاك التليفون: إننى أفضل أن أشترى لك ملابسك، لنشعر أننا زوجان. بينما قالت له إنها تحيا فى القصر الملكى حياة السلحفاة.





وسألها جيلبيى: هل أنت مكتئبة اليوم يا حبيبتى.

أجابت: نعم كنت أعانى، وأوشكت على البكاء. لقد قدمت لهذه العائلة كل شئ لكنهم لا يرون إلا أنفسهم فقط.

قال جيلبيى: لا تهتمى فأنا أحبك. أحبك. ومهمتى أن أحميك وأحتويك داخلى. ثقى يا حبيبتى أننى لا أستطيع أن أترك اليوم يمضى قبل أن أحدثك فى التليفون.

وقالت ديانا: تذكرنى بعد منتصف الليل.

أجاب محتجا: وهل أحتاج منك إلى تذكير بذلك.. منذ ثلاثة أشهر وأنا لا أفعل سوى هذا.. بالمناسبة.. لقد حلمت بك ليلة أمس ولم يكن حلما عاديا.

- اشرح لى ما حدث.

- كنا نتناول الغداء وكان الجميع يعاملوننا باعتبارنا زوجين كان حلما رائعا.

وقالت ديانا: أنت أرق إنسان فى العالم.

- كيف

- هكذا! أرق إنسان فى العالم!؟

- وأنت أيضا يا حبيبتى أرق إنسانة فى العالم أشعر أنك قريبة منى للغاية فأحميك وأحتضنك بحبى.



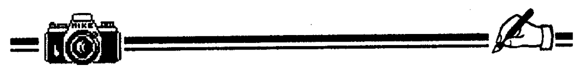
وهكذا استمر الحوار، تتخلله فواصل من القبلات.

وكان آخر الفضائح التى نشرتها الصحف الانجليزية صورة لديانا عندما كانت فى السابعة عشرة من عمرها، وكانت عارية تماما وقد دفعت الصحيفة مبلغ ٤٥ ألف جنيه استرلينى مقابلا للصورة بما يؤكد أن الهدف ليس مجرد متابعة حكاية الخلاف بين ديانا وتشارلز، والحب القديم المتجدد بين تشارلز وكاميلا لكنه إصرار واضح على تشويه صورة العائلة المالكة البريطانية فى عين الرأى العام البريطانى .

ماذا بعد

فور اعلان الإنفصال، جمع تشارلز متعلقاته، وغادر قصر كنجستون، الذى أمضى فيه أعوام زواجه من ديانا، وانتقل للاقامة مع جدته (الملكة الأم) فى قصرها الخاص بلندن، بالإضافة إلى احتفاظه بقصر يجرف غربى انجلترا كمقر رئيسى لها.

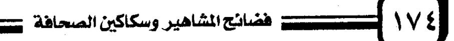
تعالت انتقادات الصحف البريطانية، وأعضاء مجلس العموم من الحزبين الرئيسيين، لنبأ الانفصال.. وأبدوا دهشتهم من أن فترة الانفصال ستمتد عامين بما يجعل من الملكية فى بريطانيا مجرد أكذوبة وتساءلوا: ماذا تَوَّج تشارلز على عرش بريطانيا؟ إن ديانا لن تقف بجواره كزوجة، بل أنها لن تحضر إلا بقرار منه. واعتبر البعض انفصال ديانا وتشارلز بمثابة إنهاء ألف عام من الملكية فى بريطانيا، وإن تأجل ذلك إلى اليوم الذى يتوصل فيه الطرفان إلى قرار الطلاق.



وحتى الآن، فإن الصحف البريطانية ما تزال تسكب البنزين على النيران المشتعلة، بما يكاد يهدد نهاية الحياة الزوجية بين تشارلز وديانا.

المفروض أن الانفصال القائم بين الزوجين هو لفترة مؤقتة، تهدأ خلالها المشاعر، ويتدخل وسطاء الخير للتوفيق بين الزوجين الملكين ليعودا إلى «قصر» الزوجية.. لكن المفاجآت المثيرة التى تكشف عنها الصحف بتوالى الأيام، تجعل من ذلك الهدف أمرا غاية في الصعوبة.. فثمة تسجيلات بين ديانا وأصدقائها.. وتسجيلات أخرى بين تشارلز وصديقاته.. بل إن إحدى الصحف دفعت - كما أشرنا - ٤٥ ألف جنيه لقاء صورة تظهر فيها ديانا عارية.. وكانت ديانا وقت التقاط الصورة فى السابعة عشرة. لكن تناول الحياة الشخصية (والخاصة) جدا لأفراد الأسرة المالكة أصبحت لعبة الجميع! الكل يحرص على المشاركة فيها، وتقديم الجديد إلى قرائها، حتى لو كان مجرد شائعات ولو كان صورة قديمة ظل صاحبها يحتفظ بها أكثر من ١٤ عاما ثم عرضها للبيع بعد أن أدرك مدى نفاسة البضاعة التى يملكها فى سوق الاتجار بفضائح العائلة المالكة.

وخطورة الطلاق تتعدى صورته الظاهرة، إلى تقرير وضع العرش البريطانى فى المستقبل! فقانون الكنيسة الصادر فى ١٧٧٢ يقضى بأن عضو الأسرة المالكة المطلق لا يحق له الزواج مرة ثانية. ومن الصعب - إن لم يكن من المستحيل - أن يتولى عرش بريطانيا العظمى وشمال أيرلندة ملك عزب، مع ملاحظة أن الملك هو الحاكم الأعلى للكنيسة.





كذلك فإن المحاولات دائبة لتشويه صورة ديانا، إن لم يكن فى عينى زوجها، ففى أعين الرأى العام البريطانى، بحيث يصبح الطلاق هو النتيجة الحتمية للانفصال الحالى.

وهذا هو «خبث» الهدف الذى لا يعرف أحد من يقف وراء تحقيقه.

إن انفصال الزوجين ليس إلاّ هدنة مؤقتة، لابد أن تنتهى ونهايتها ستأخذ أكثر من صورة؛ كأن يصر تشارلز على الزواج من كاميلا، أو ترحل الملكة قبل أن يبلغ الأمير وليام عامه الواحد والعشرين، أو تصر ديانا على طلب الطلاق. أما النهاية «الفضيحة» فهى أن يطلب زوج كاميلا الطلاق ليواجه تشارلز مأزقا يصعب عليه التخلص منه.

الملك القادم

لقد حصلت ديانا على حق الانفصال عن زوجها، دون أن يستلب ذلك منها حقها فى أن تظل محتفظة بلقب أميرة، وتحصل على مخصصاتها، وعلى حريتها فى التصرف فى حياتها، وفى سلوكها بلا قيود من داخل القصر أو خارجه، فضلا عن حقها فى مشاهدة أولادها، وتربيتهم بالطريقة التى تريدها.

ديانا تعرف جيدا أن طلبها للطلاق يعنى التنازل عن العرش خلفا لوالدته. وهو ما يعرفه تشارلز نفسه، لأن ملك بريطانيا هو رئيس الكنيسة الانجليزية. ومن المستحيل أن يكون رئيس الكنيسة مطلقا.

البعض من المؤمنين بالحلول المثالية، يتصور أن مشكلة انفصال تشارلز وديانا ستصل إلى النهاية السعيدة، عندما تتنازل الملكة عن مسئوليات

العرش، فيشعر الزوجان بمسئولية الحكم. بمعنى أن يكونا ملكة وملكة، فيهملان التصرفات العابثة وغير المسؤلة، ويعودان إلى القصر الملكى كزوجين، بلا خلافات ولا علاقات أخرى تسئ إلى صورة أقدم ملكيات أوروبا.

يشير «المثاليون» إلى ما قاله تشارلز، ردا على سؤال وجهه إليه أحد مرافقيه فى برمنجها م: متى ستتولى العرش قال: ربما أسقط تحت عجلات أوتوبيس قبل أن تتاح لى هذه الفرصة.

وكما ترى، فإن الكلمات محملة باليأس من اعتزال الملكة عرش بريطانيا.

لقد أثارت الصحف الانجليزية ـ للمرة الأولى ـ امكانية تنازل تشارلز عن العرش. . فقد نشرت «صن» أن ولى العهد أبلغ والدته الملكة اليزابيث بأنه قد يتنازل عن حقه فى خلافتها على العرش لابنه وليام البالغ من العمر ١١ سنة.

وأكدت الصحيفة أن رغبة تشارلز سببها أزمته الزوجية، وخاصة بعد أن نشرت الصحف تسجيل الشريط الذى يضم المحادثة التليفونية بينه وبين صديقته كاميلا باركر.

الترشيحات تتجه (الآن) إلى الأمير وليام، ابن ولى العهد البريطانى، ليحل بدلا منه فى ولاية العهد وذلك تجنبا لليوم الذى يفرض المأزق نفسه، عندما يؤول العرش إلى ملك منفصل عن زوجته.

عراق جيت أمريكية

منذ تولى جون ميجور منصب رئيس الوزراء فى أعقاب استقالة مرجريت تاتشر، وهو يخوض حربا ضد صحافة بلاده، فى قضايا عامة وخاصة.

أما القضايا العامة، فهى تتصل بسياسة الحكومة فى المجالين الداخلى والخارجى.

وأما القضايا الخاصة فهى تتصل بغراميات ميجور، وهو الأمر الذى فاجأ الصحفيين أنفسهم.. فلم يكن فى حياة الرجل ولا تصرفاته ما يبين عن ذلك النوع من القضايا.

القوانين البريطانية تفرض حظرا على مبيعات الأسلحة والمعدات إلى العراق منذ العام ١٩٨٥، أى منذ الحرب العراقية الإيرانية.

وقد تفجرت القضية المسماة «عراق - جيت» عندما برأت إحدى المحاكم البريطانية ثلاثة من المديرين التنفيذيين لشركة ما تكس تشرشل لصناعة المعدات، من تهمة انتهاك الحظر على تصدير الأسلحة للعراق. وكان الان كلاى وزير الدولة السابق للدفاع قد أكد أنه يعلم ببيع هذه الأسلحة.

والتقطت الصحف وأحزاب المعارضة طرف الخيط.

وكالعادة، ظهرت عشرات الوثائق التى تدين حكومة مرجريت تاتشر، وتثبت تورطها فى الفضيحة. بل إن الوثائق أظهرت أن وزارة

الخارجية التى تولاها رئيس الوزراء جون ميجور ـ لفترة قصيرة فى العام ١٩٨٩ ـ كانت على علم بكل الصفقات غير المشروعة التى زودت بها الشركة البريطانية العراق باحتياجاته من الأسلحة.

وكانت حجة كبار المسئولين الذين شاركوا فى هذه القضية، ومهدوا الطريق أمام شركة ماتكس تشرشل لكى تصدر الأسلحة للعراق، أنه إذا امتنعت الحكومة البريطانية عن تصدير السلاح للعراق ـ أو أية دولة أخرى ـ فإن دولا مثل الاتحاد السوفييتى والصين وكوريا الشمالية سترحب بهذه المهمة، ومن الخطأ اهدار (إفلات) تلك الفرصة فى ظل الركود الذى يعانيه الاقتصاد البريطانى.

وقد نفى ميجور تلك الاتهامات بشدة. وزاد فأمر بتكوين لجنة قضائية مستقلة، برئاسة القاضى سكوت للتحقيق فى القضية. لكن الصحف أصرت بأن يكون البرلمان ـ الذى لم يكن يعلم شيئا ـ هو الجهة المسئولة عن التحقيق فى القضية.

وكما أشارت صحف المعارضة، فإن ميجور أعلن فى يناير ١٩٩١، فى مجلس العموم، أنه لم يتم تزويد العراق بالأسلحة. كما كتب رسالة إلى زعيم حزب الأحرار الديمقراطى قبل ذاك بنحو العام، يؤكد فيها التزام حكومته بالقيود المفروضة على بيع الأسلحة للعراق.

لكن الوثائق أظهرت أن القيود انتهكت مرات كثيرة.. فهل تعمد رئيس الوزراء تضليل البرلمان.

هذا هو المأزق الذى واجهه جون ميجور، خاصة بعد أن اتهمته صحف المعارضة بأنه قد سبق له التأكيد على أن حكومته لم تصدر أسلحة إلى إندونيسيا، بعد مذبحة تيمور الشرقية فى العام الماضى. ثم ثبت أن إندونيسيا استوردت من بريطانيا ما قيمته ٣٠٠ مليون جنيه استرلينى، دون أن يخطر البرلمان بذلك.

وأضاف إلى المأزق صعوبة، أن ميجور هو الذى تزعم بنفسه - فى أعقاب حرب الخليج - الجهود الدولية لانشاء سجل فى الأمم المتحدة لمبيعات الأسلحة، كخطوة مهمة للحد من سباق التسلح فى العام الثالث، والشرق الأوسط تحديدا.

وقالت الصحف ما معناه أنه إذا كان رئيس الوزراء ينسى، فتلك مصيبة. أما إذا كان يتناسى، فإن المصيبة أعظم.

وأكدت الصحف بالوثائق أن وزراء حكومة المحافظين كانوا يشجعون شركة تصنيع المعدات وقطع الغيار على مواصلة بيع معداتهم للعراق، وكانوا يدلونهم على السبل التى يتجاوزون بها قانون حظر تصدير السلاح والمعدات، وفى مقدمتها الزعم بأن تلك المعدات تستخدم لأغراض سلمية.

آخر من يعلم

الغريب أن الأحداث تفاقمت دون أن يدرى بذلك حتى كبار المسئولين فى الحكومة البريطانية، وإن كان من المتوقع أن عددا من القيادات التنفيذية والعسكرية قد شاركوا فى «الفضيحة» بتعمد أو بحسن نية.





وخطورة «عراق جيت» أنها لم تقتصر على مجرد انتهاك قوانين حظر تصدير الأسلحة المفروض على العراق لكنها أحدثت شرخا عميقا فى البنية الهيكلية للحكم البريطانى. . فقد تسربت أخبار الفضيحة من خارج البلاد، قبل أن يعرف المسئولون فى الحكومة البريطانية بتفصيلاتها.

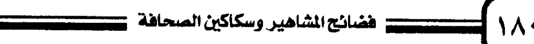
قالت «واشنطن بوست» إن الصفقة بين الشركة البريطانية وحكومة العراق للحصول على الأسلحة والمعدات العسكرية لمدة ثلاث سنوات، وإن الحكومتين الأمريكية والبريطانية عرفا كل التفاصيل المتصلة بالصفقة والتى تشمل شحن المعدات اللازمة للبرنامج النووى العراقى.

وزاد موقف ميجور حرجا، عندما أعلنت المخابرات المركزية الأمريكية عن تورط شركة ماتريكس تشرشل فى بيع معدات عسكرية للعراق فى الفترة من ١٩٨٧ إلى ١٩٩٠.

وكتبت مجلة «الموند ديبلوماتيك» الفرنسية تقول: إن تمويل المعدات العسكرية وتوريدها، تم بعلم السلطات الأمريكية والبريطانية والايطالية، وهذه الصفقات يعود معظمها إلى الفترة بين ١٩٨٠، ١٩٨٨.

وأكدت بعض الصحف أن سبب فضيحة عراق ـ جيت ليس سياسيا، ولا يتصل بالغزو العراقى للكويت من قريب أو بعيد. بل ولا يتصل بالخشية من تعاظم القوة العراقية.

السبب ـ ببساطة ـ أن وزير الصناعة السابق، اللورد بريدلى كان من أشد مؤيدى بيع الأسلحة والمعدات للعراق، حتى يدخل إلى الخزانة



البريطانية ما يقرب من مليار جنيه استرليني، لو أنه تقاعس فستحصل عليها شركات فرنسية وألمانية.

أما موظفو المخابرات البريطانية، الذين أدلوا بشهاداتهم فى القضية، فقد أعلنوا أن قيام الشركة البريطانية بتوريد قطع الغيار وأجهزة صناعة الأسلحة للعراق، هو تصرف فى مصلحة الغرب، الذى لا يريد أن يرى دولة واحدة، مسيطرة على أغنى مناطق العالم.

والمقصود ـ كما نتصور ـ هو ايران.

عراق ـ جيت أمريكية

والحق أن عراق جيت لم تقتصر على الجهاز الحكومى فى بريطانيا وحدها، بل شاركها فى الفضيحة نفسها الجهاز الحكومى فى الولايات المتحدة.

فمثلما قدّمت الصحف البريطانية أدلة دامغة على أن الحكومة البريطانية واصلت منح تراخيص الموافقة على بيع شحنات الأسلحة والمعدات التى استخدمت فى الصناعات الحربية الواقية، مثل صواريخ سكود والمدفع العملاق. بل واستخدمت فى التجهيزات النووية والأسلحة الكيماوية التى كان يعدها صدام حسين لغزو الكويت ومنطقة الخليج.. فإن الصحف الأمريكية كشفت النقاب عن أن واشنطن وافقت على تزويد صدام حسين بأسلحة ومعدات استخدمت فى الصناعات العسكرية البرلمانية، وإن تمويل تلك المشتريات تم بتمويل مصرفى ايطالى ـ أمريكى،

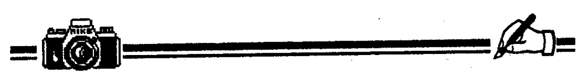
وبقروض وتسهيلات أمريكية تحت بند « المحاصيل الزراعية» .

وقد أثارت الصحف تلك القضية نقلا عن مرشحى الرئاسة الأمريكية كلينتون ـ الرئيس الأمريكى ـ وبيرد، ولم يدحضها الرئيس بوش بدفاع مقنع، كما قالت الصحف الأمريكية، وأطلقت عليها هى الأخرى «عراق جيت»، بل إن بعض الصحف أشارت إلى أنه ربما كانت تلك الحادثة من بين أسباب سقوط بوش، وتناست أن كل الصفقات تمت قبل أن يبين النظام العراقى عن ملامحه العدوانية ضد الكويت وغيرها من البلدان الشقيقة، فضلا عن أن الرئيس بوش شخصيا هو صاحب الفضل فى تطهير الكويت من الغزو العراقى! .

وتألفت لجنة تحقيق مشتركة من الاستخبارات الخاصة بالكونجرس الأمريكى بمناقشة مدى امكانية قيام عملاء المخابرات المركزية بانشاء مكتب اطلانطا التابع لبنك ناريونيل ويل لافورد الايطالى، وبمساعدته على توفير قروض بمبلغ أربعة مليارات دولار للعراق، بما يعنى إتاحة الفرصة له لشراء الأسلحة التى استخدمها فى اعتداءاته ضد الكويت ودول الخليج. لكن المخابرات المركزية الأمريكية أفلحت فى التدليل على إنكار تورطها فى هذه «الفضيحة».

كانوا يعرفون

أما أخطر الاتهامات التى واجهها ميجور، فهو أنه قد شارك فى اجتماع مصغر مع وزير الخارجية دوجلاس هيرد، قبل الغزو العراقى



للكويت بشهرين. وكان الهدف من الاجتماع هو بحث رفع حظر الأسلحة على العراق، وتسهيل بيعها له.

ونشرت الصحف البريطانية رسالة من بادى اشداوان زعيم الحزب الديمقراطى الاجتماعى إلى رئيس الوزراء، يتهمه فيها بالكذب بشأن بيع الأسلحة إلى العراق.

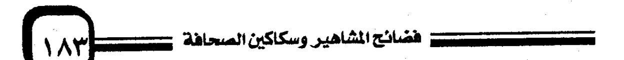
وأكد اشداوان أن لديه تقريرا سريا يثبت على كبار الوزراء فى حكومة تاتشر، أنهم كانوا يعلمون بتورط بلادهم فى برنامج تزويد العراق بالأسلحة والمعدات، وتخطّى قرار الحظر المعلن.

وذكر اشداوان أن التقرير قرأه ميجور منذ سنوات جيدا، لأنه كان عضوا فى اللجنة التى تلقته، وكان يشغل أيامها منصب وزير المالية.

كما نشرت الصحف تصريحات لروبين كوك وزير التجارة فى حكومة الظل العمالية، أنه يملك الأدلة التى تضيق الخناق على ميجور، وأن ميجور كان على علم بخرق الحكومة والشركات البريطانية لقرار حظر بيع الأسلحة للعراق، قبل الغزو العراقى للكويت، وأن وزراء ميجور كانوا يتناسون أو يتجاهلون هذه الصفقات التى كان بوسع العراق استخدامها فى انتاج ذخيرة وقذائف مدفعية، وأجزاء من أجهزة تفجير نووية.

وطالب بول جونسون ـ الصحفُى، المحافظَ بجريدة «التايمز» ـ طالب ميجور بأن يتنحى عن منصبه حالا.

أما صحف المحافظين فقد تساءلت عن التصرف الذى كان على جون



سميث زعيم حزب العمال اتخاذه لو كان فى منصب رئاسة الوزارة، وواجه عرضا مغريا ببيع الأسلحة والمعدات، يساعده على تخفيف حدة البطالة والركود الاقتصادى والاضرابات العمالية المتوالية. خاصة وأن النظام العراقى لم يكن قد أظهر - حينذاك - نياته العدوانية ضد جيرانه.

ومع أن العديد من الصحف البريطانية، وبعضها ينتمى إلى الحزب الحاكم، قد طالبت ميجور بأن يستقيل فورا تكفيرا عن صمته عن صفقة المعدات.. فإنه اعتبر ذلك المطلب جزءا من المعارك التى يخوضها مع المعارضة والصحافة منذ الأيام الأولى لتوليه منصبه، وإن أشارت بعض الصحف إلى أن رئيس الوزراء لم يعد يتحمل الضغط العنيف الذى يتعرض له من الصحافة، وأنه - فى لحظة غير متوقعة - قد يتصرف بما يفاجئ الجميع.

وسهّل من احتواء الأزمة - فيما بعد - اقتناع الجميع - الأغلبية والمعارضة والصحافة أيضا - أنه حتى لو كانت الحكومة قد لجأت إلى الكذب فى تبرير صفقة بيع الأسلحة إلى العراق، فإن تلك الصفقة قد حققت انعاشا فعليا للصناعة الحربية البريطانية، وضمان الوظائف للعاملين، وبالتالى، فإنه إذا كان هناك خطأ فإنه كان يستهدف مصلحة بريطانيا فى الدرجة الأولى.

فضلا عن ذلك، فإن فى إقدام الحكومة البريطانية على ارسال قوات إلى الكويت ما يؤكد رفض بريطانيا لأحلام صدام حسين التوسعية، وعدم علمها بما كان يريده. ومن المستحيل تصور أن الحكومة البريطانية تساعد



العراق على تدعيم قواته ليغزو جيرانه.. ثم تشارك القوات البريطانية فى دحر العدوان.

اتهام يصعب تصديقه.

علاقة غرامية

عندما كان جون ميجور يضع على مكتبه الشريط الذى قيل إنه يتضمن الحديث بين ولى العهد البريطانى وصديقته كاميلا.. فوجئ بإدانة الصحف له بالتهمة التى كان يتخذ فيها موقف القاضى.

كانت مجلة «نيو ستيتسمان» اليسارية هى أول من كتب عن تورط رئيس الوزراء البريطانى فى علاقة عاطفية مع السيدة كلير لاتيمر (٤١ سنة).

ومع أن رئيس تحرير المجلة حرص على أن يشير فى مقدمة التحقيق الذى كتبته صحفية شابة تعمل فى المجلة بنظام القطعة، أن ما تنشره المجلة إنما هو مجرد شائعات تتردد، فقد أثار التحقيق الدنيا، ولم يقعدها وكان فى مقدمة الساخطين جون ميجور نفسه.. وأيضا السيدة كلير التى تمتلك شركة لتوريد الأطعمة الجاهزة.. ومن بين الجهات التى تورد لها ،مقر رئاسة الوزراء ومجلس العموم.

وقرر الاثنان ـ ميجور وكلير ـ رفع دعاوى قضائية ضد المجلة التى أساءت إلى سمعتهما.

وقد تناقضت «نيو ستيتسمان» فى ذكر مهنة السيدة كلير. ذكرت أنها



تعمل طاهية فى منزله بمقر رئاسة الوزراة البريطانية، والمشهور بعشرة دواننج ستريت. ثم ذكرت أن أسرة كلير تملك شركة لتوريد الطعام، ومن بين تلك الأماكن التى تورد إليها بضاعتها مقر رئاسة الوزراة.. والوظيفة الثانية ـ كما يبدو من تطورات الأحداث ـ هى الأصوب.. فليست السيدة كاميلا مجرد طاهية فى بيت رئيس الوزراء، لكنها صاحبة شركة كبيرة تورد الطعام إلى العديد من المؤسسات المهمة.

وبدأ المسلسل

تلقفت كل الصحف ـ الشعبية والمحافظة ـ ما كتبته مجلة «نيو ستيتسمان» وأيضا مجلة «سكاليواج» التى تابعت ما نشرته «نيو ستيتسمان» بمقال ساخر يصف لقاءًا رومانسيا متخيلا بين ميجور ولا تيمر حدث فى يناير الماضى.

حتى جريدة «التايمز» العريقة شاركت فى الحملة ضد رئيس الوزراء بنشر الشائعات الصحفية حول العلاقة الغرامية لميجور، وإن امتنعت معظم الصحف عن الخوض فى تفصيلات جديدة تتصل بتلك العلاقة، أو مجرد التعليق على الشائعات التى كانت تتناثر فى العديد من الصحف خلال العامين الماضيين، بطلها ميجور وسيدات فى المجتمع البريطانى، بما يعنى أن كلير ليست إلا حلقة أخيرة فى مسلسل لا أحد يدرى متى بدأ ولا متى ينتهى..





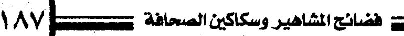
نورما تعلن ثقتها

وإذا كانت هيلارى زوجة الرئيس الأمريكى بيل كلينتون، قد تصدت للفضيحة الأخلاقية التى حاولت الصحف أن تثيرها، عن علاقة زوجها بالسيدة جنيفر فلاورز، فأكدت ثقتها فى زوجها، ومساندتها له فى حملته الانتخابية.. فإن نورما ميجور تجاوزت مجرد الاعلان عن ثقتها ومساندتها، فدعت كلير لاتيمر، التى أعلنت الصحف البريطانية أنها عشيقة زوجها، لحضور حفل غداء برفقة رئيس الوزراء، مستهدفة من ذلك تأكيد وقوفها إلى جانب زوجها ـ وإلى جانب العشيقة المزعومة أيضا ـ ضد ادعاءات الصحف حول وجود علاقة خاصة جدا بين ميجور وكلير.

لقد تصورت نورما أنها قضت بذلك التصرف على المشكلة الوليدة فى مهدها.. لكن ميجور وكلير أصرا على أن يسيرا فى المواجهة إلى آخر مدى.. فقد رفعا قضية بدعوى قذف وتشهير ضد المجلتين اللتين نشرتا أنباء العلاقة المزعومة بين رئيس الوزراء والسيدة كلير..

ويقول المطلعون على ما يجرى فى ١٠ دوروننج ستريت، إن ميجور سيحاول أن يرفق فوزه المرتقب فى قضيته، بمقترحات قوانين يعكف وزراؤه الآن على دراستها، تفرض قيودا صارمة على الصحافة، فلا تلجأ ببساطة، ودون أسانيد فعليه ووثائق، إلى التشهير بالشخصيات العامة، وفى مقدمتهم أفراد العائلة المالكة ورئيس الوزراء..

يأمل ميجور أن يحفز فوزه المرتقب أعضاء مجلس العموم على إقرار



التشريعات الجديدة، ومواجهة حجة الصحافة بأن تلك التشريعات التى يعدها ميجور ووزراؤه، محاولة مفضوحة لعدم الكشف عما يدور بين كبار المسئولين، والطبقة الأرستقراطية، وتدبير متوحش لتكميم فم الصحافة . .

الطريف أن ميجور كان قد وعد من قبل بأن تظل الصحافة حرة، فلا يحاول تقييدها بأى نوع من القوانين المكبلة للحريات . . ومن السهل اتهامه ـ إذا قدم تشريعاته الجديدة إلى مجلس العموم ـ بأن الدافع لتقديم التشريعات شخصى بحت . .

وجهة نظر..

ومع أن معظم أعضاء حزب المحافظين الذى يرأسه ميجور، أعلنوا تأييدهم لقرار رئيس الوزراء بمقاضاة المجلتين، فإن القلة من أعضاء الحزب أبدوا خشيتهم من أن يؤثر التقاضى على مستقبل ميجور السياسى وكان رأيهم أن يتعاملوا مع الخبر ـ الشائعة بأسلوب « **دعه يمر** » فينساه الناس بين آلاف الأخبار التى تتناول القضايا العامة والخاصة . . ثم تتبدد بالنسيان، خاصة وأن ميجور أصدر بيانا حاسما بتكذيب الخبر . . لكن إقدام رئيس الوزراء على مقاضاة المجلتين سيعرض ـ فى تقديرهم ـ مستقبله السياسى لخطر مؤكد . . لأن القضية ستظل لفترة طويلة أمام ساحات القضاء . كل طرف يدافع عن نفسه ويتهم الطرف الآخر، مما يتيح الفرصة للصحافة بالمزيد من التدخل فى الشئون الخاصة لكل الأطراف، وربما إثارة لمعلومات ليس من الصالح إثارتها، وإختراع ما قد يشغل ميجور عن منصبه، حتى يفرغ للرد عليه وتكذيبه . . والمحصلة النهائية المتوقعة لذلك كله هى إضفاء



ظلال داكنة على حياة جون ميجور الأسرية، وعلى مستقبله السياسى أيضا. .

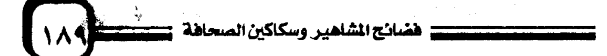
التخوف الذى طرحه المراقبون هو أن قضية ميجور ـ كلير لن تقف عند حد إدانة القضاء للمجلتين، أو تبرئتهما. . لكنها ستتحول إلى معركة بين ميجور والسلطة الحاكمة من ورائه، وبين الصحافة البريطانية فالتشريعات التى تضع قيودا موجودة، إذ أنها تحت الدراسة. . وإدانة المجلتين تبرير قوى لتقديمها إلي مجلس العموم. . وفى المقابل، فإن الصحف ستخوض نضالا ضاريا دفاعا عن حريتها، وإسقاط أى تبريرات تستهدف حرية الصحافة أو تنتقص منها. .

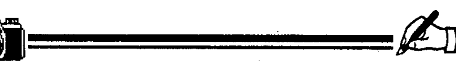
وفى كل الأحوال، فإن المعركة التى توقعها المراقبون بين ميجور والصحافة ليست مضمونة النتائج، ولا أحد يملك تقرير من ستكون له الغلبة فى النهاية. .

فإذا كان الخاسر هو الصحافة، فإن الخسارة لن تتعدى دفع تعويض مالى، تكفلت بتغطيته زيادة التوزيع، بسبب نشر وقائع الغرام المزعوم، وما تلاها من تفريعات القضية المرتقبة. .

أما إذا كان الخاسر هو جون ميجور، فإن الخسارة ستقوض مستقبله السياسى تماما. .

وهذه هى خطورة التحدى الذى بدا أن ميجور قد قرر أن يخوضه إلى النهاية. .





لكن ميجور أصر على أن يخوض معركته، ثقة منه فى أنه لا توجد بينه وبين السيدة كلير علاقة غير توريد الطعام إلى مقر رئيس الوزراء، ولم يتنازل عن دعواه أمام القضاء ضد مجلتى « نيو ستيتسمان» و« مكاليمولج» إلا بعد أن قدمت الصحيفتان اعتذارا رسميا عن « الخطأ غير المقصود».

وهكذااستطاع ميجور أن يفوز فى معاركه مع الصحافة، وهو ما لم تفلح فيه - حتى الآن - العائلة المالكة البريطانية، التى اكتفت بإصدار بيانات النفى والتكذيب والاحتجاج، وإن كانت « النتائج» - فى الأغلب - تؤيد ما تنشره الصحف، بدءا بطلاق مرجريت، ثم آن فاندرو . . وأخيرا إنفصال تشارلز وديانا . .

****



بلاغ إلى الرئيس

لنبدأ القصة من النهاية..

فقد نشرت صحيفة «الموند» الفرنسية خبرا، فى ١٩ سبتمبر ١٩٨٥ يؤكد أن المخابرات الفرنسية هى التى قامت بتفجير سفينة حركة السلام الأخضر بعكس ادعاء الرواية الفرنسية الرسمية أنها لا تعرف من قام بذلك العمل..

واستدعى الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران فى نفس اليوم، رئيس وزرائه لوران فابيوس إلى قصر الأليزيه، ليناقشه فى حقيقة ما ذكرته «الموند»..

وعلا صوت ميتيران متسائلا:

- هل ينبغى أن يقرأ الرئيس كل الصحف الفرنسية، ليعرف حقيقة ما يدور داخل أجهزة الدولة المهمة، مثل وزراة الدفاع والمخابرات وهيئة أركان القوات المسلحة..

وشابت صوت الرئيس رنة غضب:

- هل وصل الأمر إلى حد إقدام كبار المسئولين عسكريين كانوا أو ساسة، على اخفاء الحقائق عنّى، والكذب علىّ..

الصحافة أدت دورها..

لم يكن ميتران قد عرف أى شئ عن ملابسات الحادث..

وعندما صدر البيان الرسمى بأن الحكومة الفرنسية لا تعرف الجهة

التى تقف وراء ما حدث، اطمأن الرئيس إلى أن كل شئ على ما يرام، وأن أجهزة الدولة لا صلة لها بما حدث . .

فلما نشرت «الموند» حقيقة الحادث، وأن المخابرات الفرنسية هى التى فجرت، وأغرقت، السفينة «رينبو واريور» التابعة لحركة السلام الأخضر، فى ميناء أو كلاند، فى نيوزيلاندة بالمحيط الهندى، يوم العاشر من يوليو ١٩٨٥ . .

وأكدت « الموند» أن دور الصحافة هو كشف الحقيقة، حتى لو حاولت الدولة إخفاءها بدعوى الأمن القومى، أو المصلحة العليا وغيرها من التعبيرات التى لا تعترف بها الصحافة، فى مقابل الحقيقة التى يجب أن تصل إلى كل المواطنين.

كما نشرت «الموند» ذلك، استدعى ميتران رئيس وزرائه، وجرى بينهما ذلك الحوار العاصف من جانب ميتران.

وفى اليوم التالى، قدم وزير الدفاع والصديق الشخصى للرئيس الفرنسى منذ ٣٠ عاما ـ شارل هيرنو ـ استقالته. كما أقيل مدير المخابرات الفرنسية. وظهر فابيوس على شاشة التليفزيون، ليعترف بأن المخابرات الفرنسية هى المسؤلة عن نسف سفينة حركة السلام الأخضر.

لكن «الفضيحة» لم تقف عند هذا الحد. . فقد امتد تأثيرها إلى الكيان الحكومى ككل، وفرض احتمالات على مستقبل وزراة فابيوس.



بداية العملية

لقد بدأت حركة الخضر فى ألمانيا الغربية، قبل أن تندمج الألمانيتان فى دولة واحدة، واستطاع الحزب أن يحقق انتصارات بين الأحزاب التقليدية، تعبيرا عن رغبة المواطنين الألمان فى محاربة مصادر التلوث البيئى المختلفة، والحفاظ على الطبيعة من كل عوامل التدمير.

ثم انتقلت الحركة إلى دول أخرى، نتيجة لتفاقم مشكلات التلوث البيئى، والتفجيرات النووية فى المحيطات، وتحت الأرض.

وقد قامت حركة السلام الأخضر فى فرنسا، للدعوة إلى وقف التجارب النووية، والمحافظة على البيئة من التلوث.

لكن السلطات الحكومية لم تنظر إلى الحركة الوليدة بعين الارتياح فقد بدأت تجرى تحقيقاتها حول هوية الحركة، ومصادر تمويلها، وأسماء المنضمين إليها، ونوعياتهم، والهدف الذى ربما يكون وراء نشاطهم المعلن.

وفى بداية ١٩٨٥، تلقى شارل هيرنو تقريرا من أجهزة الأمن فى وزارته، عن نشاط حركة السلام الأخضر، يتضمن معلومات دقيقة، ومفصلة، عن أهداف الحركة وما تعد لإنجازه فى المستقبل القريب، مثل القيام بمظاهرة سلمية كبرى فى خريف ١٩٨٥ بالقرب من جزيرة «موروروا» فى المحيط الهادى، تشارك فيها عشرات السفن والزوارق الصغيرة، بهدف الحيلولة دون اجراء فرنسا تجارب نووية جديدة فى تلك المنطقة.

ومع أن المعركة بين حركة السلام الأخضر والسلطات الفرنسية، لم تبدأ بذلك، للتقرير الذى قرأه شارل هيونو، وإنما تعود إلى العام ١٩٧٢، عندما علت انتقادات الحركة للتجارب الفرنسية النووية فى المحيط الهادى. فإن السلطات الفرنسية ـ أو هكذا توهمت ـ كانت قد استطاعت احتواء نشاط الجماعة، والحد منه، دون أن تتخذ اجراءات من أى نوع.

خيارات

لكن التقرير بدّل نظرة هيرنو إلى تطورات الأحداث، الأمر الذى استدعى ـ فى تقديره ـ اتخاذ اجراءات أخرى، أكثر تشددا.

أزعج الرجل أن الحركة تركز ملاحقاتها على التجارب النووية التى تجريها الدول الأخرى وهو ما يعد محاولة لاضعاف قدرة فرنسا النووية، إما بحسن نية، أو لحساب قوى أجنبية.

ونقلت بعض الصحف الفرنسية عن الوزير اتهاماته، لحركة السلام الأخضر فنفت الحركة الاتهامات بشدة. وأكدت أنها تحارب سلميًا كل التجارب النووية، بصرف النظر عن الدولة التى تتقدم بها.

ولم يقنع هيرنو بهذا النفى، وطلب من مدير المخابرات الفرنسية الأميرال لاكوست، وكبار رجال المخابرات والمسئولين العسكرين، اعداد تقرير مفصل عن الخطوات التى ينبغى على الحكومة اتخاذها لمنع حركة السلام الأخضر من تهديد التجارب النووية فى المحيط الهادى. وتلقى هيرنو التقرير فى فبراير ١٩٨٥ . وكان يتضمن عدة خيارات، أحدها ينصح بتفجير واغراق سفينة حركة السلام الأخضر «رينبو واريور» وكان المفروض



أنها ستقود المظاهرة البحرية السلمية .

والحق أنه من الصعب التأكيد ما إذا كان وزير الدفاع الفرنسى قد وافق على ذلك الخيار البشع أم لا .

لكن المبلغ الذى قدر لاتمام العملية تم رصده . . وبدأت خطوة تنفيذ العملية منذ ابريل ١٩٨٥ .

خطوات العملية

كانت الخطوة الأولى فى عملية التفجير هى تكليف سيدة برتبة الملازم فى المخابرات الفرنسية، بالتسلل إلى حركة السلام الأخضر، وادعاء العمل تحت شعاراتها، لجمع أكبر قدر من المعلومات عن الحركة عموما، وعن السفينة «رينبو واريوم» بصفة خاصة .

وقد استطاعت السيدة الملازم أن تصبح بالفعل عضوا فى الحركة، باسم مستعار هو فريدريك بونليو، **مستفيدة من تجربة أخرى سابقة، عندما استطاعت التسلل داخل صفوف منظمة التحرير الفلسطينية لبضعة أشهر. استطاعت خلالها جمع معلومات مهمة عن الأنشطة السياسية والعسكرية لمنظمة التحرير.. ثم عادت إلى بلادها لتجرى عملية جراحية بدلت ملامح وجهها، بحيث يصعب التعرف إليها من الشخصيات التى التقت بها فى منطقة الشرق الأوسط.**

وانتقلت «كريستين كابون» أو «فردريك بونليوبين» إلى مدينة نيوزيلاندة، وبالذات مدينة أو كلاند، باعتبارها عضوا فى حركة السلام

الأخضر الفرنسية، وأعدت ملفا دقيقا بكل المعلومات التى حصلت عليها، بالإضافة إلى صور قامت بالتقاطها ـ كذبا ـ لحساب الحركة.

ثم اختفت السيدة تماما، بعد أن أصبحت ورقة مكشوفة، وقيل إنها عاشت لفترة طويلة فى حماية الجهات الأمنية الفرنسية.

أما الخطوة التالية لعملية بونليو، فكانت تكليف عنصرين مهمين فى جهاز المخابرات الفرنسية بالسفر إلى أوكلاند للاعداد لخطوات نسف السفينة «يبو واريوم» وهذان العنصران هما القومندان آن ما فارته، والكابتن دومينيك برير (سيدة) وقد وصلا بالفعل إلى أوكلاند بجوازى سفر سويسريين مزورين، باسم آلان، وصوفى تورينج، على أنهما زوجان قدما للسياحة.

وتبع الزوجين المزعومين فريق من موظفى المخابرات الفرنسية، ومعهم متفجرات مخبأة فى حقائب رياضة الغوص.

ثم لحق بالجميع خبيران فى الغوص وزرع المتفجرات داخل البحار.

وفى العاشر من يوليو ١٩٨٥، تم تفجير السفينة «رينبو واريوم» فى ميناء أوكلاند، وغرقت فى أعماق البحر، ومعها جثة صحفى عضو فى حركة السلام الأخضر.

لكن السلطات النيوزيلندية أفلحت فى القبض على القومندان ما فارت والكابتن بريور، ووجهت إليهما تهمة اغراق السفينة. كما وجهت إلى بقية موظفى المخابرات الفرنسية (وعددهم ٢٠ موظفا) تهمة المشاركة فى العملية القذرة.



محاولات التنصل..

لم تضع السلطات الفرنسية الرسمية حادثة السفينة تحت الأضواء. اكتفت بالإشارة إلى أنها حادثة مؤسفة، وأن الفرنسيين لا علاقة لهم بها..

لكن ذلك التصرف كان مجرد واجهة رسمية، مجرد تصرف أو تبرير رسمى.. فقد حصل بيار جوكس وزير الداخلية الفرنسى على معلومات مؤكدة من أجهزة الوزارة، بأن المخابرات الفرنسية هى التى قامت بعملية تفجير السفينة..

وطلب جوكس مقابلة رئيس الجمهورية، وأخبره - فى اجتماع مغلق - بكل ما توفر لديه من معلومات..

وفوجىء ميتران بالعملية تماما. وطلب من وزير الداخلية حظر إذاعة أية معلومات تتصل بملابسات العملية، فى حين استدعى وزير الدفاع هيرنو، ومدير المخابرات لا كوست، وناقشهما فى ظروف إغراق السفينة..

وأكد المسئولان لرئيس الدولة أن عملاء المخابرات قاموا - فعلا - بالتجسس على السفينة «رينبو وأريور» ، وجمع المعلومات عنها ، وعن طاقمها وتحركاتها المقبلة..

لكن موظفى المخابرات لا شأن لهم على الإطلاق بعملية تفجير القنبلة.

وأكد هيرنو لميتران أن جهة غير رسمية ربما كانت وراء عملية التفجير لإحراج فرنسا . .

واضطر ميتران إلى التشديد على كبار المسئولين الفرنسيين بأن يعتبروا العملية منتهية، فلا يشار إليها من قريب ولا من بعيد، ولا يأتى لها ذكر فى المحاضر أو المذكرات أو اللقاءات الرسمية، حتى لا يساء إلى مصلحة الدولة . .

وقد حاولت بعض الجهات الفرنسية الرسمية أن تصرف الأنظار عن نسف السفينة، بتسريب معلومات إلى الصحف عن تغلغل المخابرات الروسية داخل حركة السلام الأخضر، سعيا لإيقاف تجارب فرنسا النووية فى جزيرة موروا، وإضعاف قدرات فرنسا النووية . .

كشف المستور..

لكن الصحف الفرنسية أهملت محاولات الجهات الرسمية، وأفردت صفحاتها لتحقيقات وأخبار، تؤكد تورط المخابرات الفرنسية فى عملية إغراق السفينة، وأن وزير الدفاع وكبار المسئولين العسكريين متورطون فى تلك العملية . .

والمدهش هو أن المثير من المعلومات التى نشرتها الصحف، كان من المفروض أنها سرية . وأدرك المسئولون أن جهة ما تصر على إحياء القضية، وكشف ملابساتها، سعيا وراء تشويه صورة الحكم فى فرنسا وربما كانت هذه الجهة داخل الحكم نفسه، بهدف إغراق الحكم الاشتراكى القائم فى

فرنسا . .

وطلب ميتران من رئيس وزرائه أن يأمر بالتحقيق فى هذه القضية ، ويقدم له تقريرا مفصلا عن أبعادها المختلفة «لكى يعرف الفرنسيون كل شىء» . .

واختار رئيس الوزراء سياسيا سابقا، هو برنار تريكو، ليتولى مهمة التحقيق فى القضية . .

والمعروف عن تريكو أنه من أشد الحريصين على نزاهتهم الشخصية، والإخلاص لفرنسا. وهو ينتمى إلى التيار الديجولى المعارض . وقد شغل ـ لفترة ـ منصب الأمين العام لقصر الأليزيه فى عهد الجنرال ديجول . .

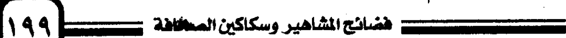
وعندما لمح وزير الدفاع نذرالعاصفة الوشيكة، سارع إلى مقابلة الرئيس ، وقدم إليه استقالته . .

لكن ميتران رفض الاستقالة لأنها تؤكد إدانة الوزير من ناحية، وتفجر أزمة سياسية من ناحية أخرى . . وطلب من الوزير أن ينتظر تقرير تريكو أولا . .

وتعهد ميتران للوزير بأن يظل أمر الإستقالة محاطا بالسرية المطلقة .

وفى السادس والعشرين من أغسطس ١٩٨٥، أعلن تريكو تقريره. وكان أهم ما يتضمنه:

١ ـ أن الحكومة الفرنسية لم تقف وراء الأوامر بتفجير السفينة «رنبو واريور» . .



٢ ـ أن جهاز المخابرات الفرنسية طلب من موظفيه مراقبة تحركات السفينة، وجمع المعلومات عنها، لكنه لم يطلب منهم تفجير السفينة . .

وأحدث التقرير رد فعل عكسيا. لم يغلق ملف القضية، وإنما زاده اتساعا، وأجمعت الصحف الفرنسية على أنه يخاطب عقولا ساذجة، واضطر تريكو ـ بعد فترة قصيرة من إعلان تقريره ـ إلى الاعتراف فى لقاءاته بالصحفيين والإعلاميين أن المسئولين فى المخابرات الفرنسية ربما كذبوا عليه أو أخفوا جوانب من الحقيقة . .

وأضاف أنه لا يعرف من نسف السفينة « رينبو واريور . . »

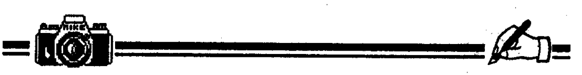
بلاغ إلى الرئيس..

مع أن السلطة الفرنسية وجدت فى تقرير تريكو، خلاصا من المأزق، فإن الصحف واصلت تحقيقاتها فى القضية . . واستطاعت أن تظهر ملامح الصورة جيدا، وأنها ـ كما صرح مسئول فرنسى ـ فيما بعد ـ أكبر فضيحة سياسية أمنية فى تاريخ فرنسا خلال أكثر من عشرين عاما . .

لقد اتصل أندرو فونتين مدير «الموند» بأحد مستشارى ميتران، وأبلغه أن جريدته حصلت على معلومات موثقة، بأن رجال المخابرات الفرنسية هم الذين أقدموا على تفجير السفينة وإغراقها . .

وقال فونتين لمستشار ميتران، إن الموند ستنشر النبأ فى عددها الذى يصدر بعد ظهر اليوم نفسه . .

وطلب فونتين من المستشار أن يعلق على النبأ رسميا . .



ولكن حان موعد طباعة الجريدة ، فصدرت « الموند» متضمنة البنأ المثير بكل ما فيه من معلومات خطيرة . .

وكشفت «الموند» تورط مدير المخابرات، واثنين من كبار العسكريين هما: الجنرال جان سولنبيه رئيس هيئة الأركان الخاصة لرئيس الدولة، والجنرال لاكاز رئيس أركان القوات المسلحة . .

وكان أخطر ما ينطوي عليه تصرف الموند أن أندريه فونتين من أخلص أصدقاء الرئيس الفرنسى. وقد عرض عليه ميتران العديد من المناصب المهمة. كما كلفه بمهمات خاصة فى بعض الدول . .

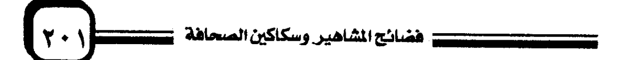
وصباح اليوم التالى، ترأس ميتران اجتماعا لمجلس الوزراء. وأشار رولان دوما وزير العلاقات الخارجية الفرنسى، موضوع السفينة الغارقة . .

وقال ميتران فى مرارة واضحة.

ـ أيا كانت مصلحة الدولة، فليس هناك ما يبرر هذا العمل. أريد أن أعرف ماذا حدث بالفعل . .

وبعد ظهر اليوم نفسه، تلقى مكتب رئيس الوزراءمعلومات جديدة، تؤكد تورط المخابرات الفرنسية وعدد من كبار المسئولين ، فى القضية الفضيحة . واستعد فابيوس لاتخاد قرارات مهمة حتى لا تقضى الحادثة على النظام بأكمله . .

وفى صباح الخميس ١٩ سبتمبر ، ناقش ميتران وفابيوس تطورات ما حدث، واقتنع ميتران بضرورة أن يقدم وزير الدفاع استقالته، على أن



يحثه رئيس الوزراء على ذلك التصرف برسالة خاصة . .

وكان أشد ما أغضب ميتران أن هيرنو أخفى الحقيقة عنه لفترة طويلة، مع أنه مدان فى الحالين، سواء أعطى الأوامر بتفجير القضية، أو ترك أجهزة المخابرات تتصرف بالطريقة التى تحلو لها، كأنها دولة أخرى مستقلة داخل الدول الفرنسية . .

وفى مساء الخميس ، وجه ميتران رسالة معلنة إلى فابيوس، واعترف فيها ـ للمرة الأولى ـ بأنه لا يعرف ماذا يجرى داخل جهاز المخابرات والجيش . وأشار إلى ما نشرته الصحف الفرنسية عن عملية نسف سفينة حركة السلام الأخضر. وطلب ميتران فى رسالته أجراء تغييرات عاجلة فى جهاز المخابرات الفرنسية . .

والواقع أن باعث ذلك التطور التراجيدى فى الأحداث، هو أن السلطات النيوزيلندية كانت تملك الكثير من المعلومات التى تؤكد تورط المخابرات الفرنسية فى العملية، وأن تلك السلطات ربما تكشف «الحقيقة» أثناء محاكمة العميلين الفرنسيين اللذين اعتقلتهما . وكان رأى وزير الداخلية ـ جوكس ـ أنه من الأوفق أن تغسل فرنسا غسيلها القذر بيديها . .

المشهد الأخير..



لقد قدم هيرنو استقالته بالفعل ، وإن حرص حتى اللحظة الأخيرة على تبرئة ساحته من تهمة التورط فى عملية تفجير السفينة . .

وقال فى رسالة إلى فابيوس إن بعض المسئولين فى وزارته أخفوا عنه حقيقة ما حدث . . وأنه لا يمكن أن يوافق على ذلك . .

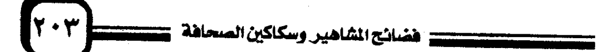
ومن ناحيته، بعث ميتران رسالة إلى صديقه هيرنو، أعرب فيها عن أسفه لاستقالته - التى طلبها ميتران - وأثنى على كفاءته أثناء ممارسة عمله كوزير للدفاع منذ ٢٣ مايو ١٩٨١ . .

كما قاله فابيوس مدير المخابرات للأميرال لا كوست، لإصراره على عدم إعلان أسماء الأشخاص الذين قاموا بتفجير السفينة بدعوى أن طبيعة منصبه كرئيس للمخابرات تستلزم ذلك .

أما المشهد الأخير من المسرحية المثيرة، فقد كان بطله رئيس الوزراء فابيوس . . ظهر على شاشة التليفزيون الفرنسى بشكل مفاجىء، وأعلن - للمرة الأولى - فى بيان رسمى قصير، أن عملاء المخابرات الفرنسية هم الذين أقدموا على نسف السفينة «رينبو وايرور» وأنهم تلقوا أوامر للقيام بما فعلوه ، كما أخفوا الحقيقة عن برنار تريكو الذى تولى التحقيق فى القضية . .

وأُسدِل الستار على أخطر القضايا فى مدى ثلاثين عاما من عمر فرنسا . .

ومع تعدد الأبطال الذين شاركوا فى أداء أدوار المسرحية، فإن البطل الرئيسى فى ذلك كله هو الصحافة الفرنسية، التى فجرت القضية، وأصرت على كشف ملابساتها، بل ورفضت كل محاولات التمويه



والإخفاء التى بذلها مسئولون فى الحكومة الفرنسية، حتى اضطر رئيس الجمهورية إلى الأمر بأن تعلن الحقيقة كاملة.. وتتم استقالات وتعيينات جديدة، تبعا لما تسفر عنه الحقائق الجديدة..

أخيرا، فقد رفضت الصحافة «الحقيقة الرسمية» وأصرت على القيام بواجبها رسميا لإظهار الحقيقة الفعلية، ونشر الوقائع كما حدثت، وأنه إذا كان رئيس الدولة صديقا لكبار العاملين فى الصحافة (أذكرك بصداقة ميتران لمدير الموند)فإن مصلحة الدولة وسمعتها ، أقوى من كل الصداقات..

******



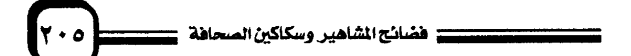
سطو على الرئاسة الأمريكية

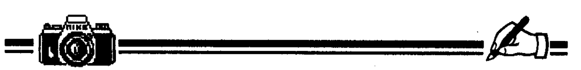
فى السابع عشر من يونيو ١٩٧٢، اعتقل رجال الأمن فى مقر لجنة الحزب الديمقراطى بمجمع ووترجيت ، فى العاصمة الأمريكية، خمسة أشخاص يحملون أجهزة تنصت اليكترونية وقفازات من المطاط وأوراقا نقدية فئة المائة دولار، بالإضافة إلى أرقام تليفون فى البيت الأبيض. .

كان الرجال الخمسة من مواطنى كوبا اللاجئين إلى الولايات المتحدة، **والسمكرة** «هى المهنة الحقيقية التى قالوا إنهم يشغلونها ، إلى جانب السرقة التى ضبطوا متلبسين بها. .وقال أحدهم متمنيا:

- لو أن عملية السطو نجحت ، ولم تكتشف بالصدفة المحضة. . فإن التاريخ الأمريكى كان سيتجه إلى مسار مختلف، فسيكمل نيكسون مدة رئاسته، ويظل فورد نائبا للرئيس. .

والواقع أنه لو كانت عملية السطو قد نجحت، فإن الأمر لم يكن يحتاج - فيما بعد - إلى وجوب انتخاب رئيس يتميز بالنقاء والطهارة، والبعد عن الأساليب التآمرية، ولم يكن يظهر العديد من « الأحداث» المهمة التى لم يقتصر تأثيرها على الحياة داخل الولايات المتحدة فحسب، ولكنها شملت قضايا عالمية مهمة ، لعل فى مقدمتها معاهدة السلام





الإسرائيلية، التى تدين بفضل إتمامها إلى الرئيس جيمى كارتر..

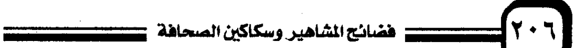
وهل كان كارتر سيصبح رئيسا للولايات المتحدة، لو لم تثر فضيحة «ووتر جيت» ويضطر نيكسون للاستقالة، وتفرض قضية «نقاد القيادة» نفسها..

الصحافة تكسب..

كانت الصحافة الأمريكية هى البطل الحقيقى لقضية ، أو فضيحة ووترجيت..

وإذا كان الرئيس ريتشارد نيكسون قد دفع منصبه ومستقبله السياسى ثمنا لتلك الفضيحة، فإن الصحفيين بوب وود ورد، وكارل بير نشتاين، المحررين فى صحيفة «واشنطن بوست»، قد حصلا على أكبر الجوائز، ونالا سمعة عالمية.. بل إن السينما الأمريكية قدمت فيلما يمزج بين الدراما والتسجيل، يتناول الحدث المثير منذ بداياته، إلى أن قدّم الرئيس استقالته...

لقد بذل الصحفيان الشابان محاولات مضنية، داخل البيت الأبيض، وخارجه، والتقيا بعشرات الشهود ، وصورا مئات الوثائق، واحتفظا بالكثير من التسجيلات، قبل أن يفجرا «الفضيحة» فى الواشنطن بوست».





وكانت النتيجة هى إجبار الرئيس نيكسون على تقديم استقالته وتخليه عن رئاسة أكبر دولة فى العالم.

وحتى الآن، فإن حملة «الواشنطن بوست» تدرس فى كليات الأعلام والصحافة فى العالم ، باعتبارها مثلا للحملة الصحفية المدروسة، والناجحة..

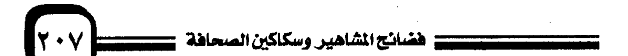
ـ ألم تسقط رئيسا من مقعده..

ـ ألم تقدم السينما الأمريكية فلما دراميا ، استمد أحداثه من الحادثة الفضيحة «ووتر جيت»..

ـ ألم يصبح من المألوف إلصاق «تسميتها» على أية فضيحة أخرى تالية ، مثل إيران ـ جيت، وعراق ـ ـ جيت، وسارة جيت، وعراق ـ جيت إلخ..

وكان أميز ما قدمه الصحفيان الشابان فى تحقيقاتهما المثيرة بالواشنطن بوست.. ذلك الشخص الغامض الذى كان يسرب إليهما كل المعلومات التى تكشف تورط البيت الأبيض ، والرئيس نيكسون شخصيا، فى الفضيحة..

لم يحدد الصحفيان اسم الشخصية،، مما أتاح المجال للكثير من



التكهنات . . وهل هو شخصية مختلفة، أم أنه واحد من العاملين مع نيكسون، شغله تشويه صورة الرئيس بهدف إسقاطه. بل إن بعض الاجتهادات حددت تلك الشخصية بأنها لواحد من اثنين: إما هنرى كيسنجر، وإما الكسندر هيج. . وقد عمل كل منهما في حكومة الرئيس نيكسون. .

والملاحظ أن كيسنجر صمت عن نفى الاتهام، ربما لأنه لم يجد فيه ما يستحق النفى ، أو لأنه خشى من إتاحة الفرصة للمزيد من التعليقات والتوضيحات . أما هيج، فقد نفى الاتهام بشدة، وأكد اعتزازه الشخصى بالرئيس نيكسون. .

سوابق..

والحق أن مواقف الرجلين من نيكسون كانت تشى بإمكانية أن يكون أحدهما وراء تفجير الحملة الصحفية، واستمرارها، ضد الرئيس الأمريكى. . فقد نقل عن كيسنجر أنه كان يضيق برؤية الرئيس مخمورا فى معظم الأوقات، وأنه قال له ـ ذات مرة ـ على التليفون: تعال نقصف الاتحاد السوفييتى بالقنابل النووية. .

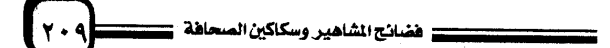
وكان كيسنجر دائم الشتم فى كبار موظفى البيت الأبيض، وخاصة وزير الدفاع آنذاك ملفين ليرد. . وكان يحرص على تحجيم وزير الخارجية

وليام روجرز، ليصبح وزيرا بالاسم فقط.. فهو - أى كيسنجر - الوزير الفعلى لوزارة الخارجية، وبالذات فيما يتصل بالشرق الأوسط، متناسيا أن وظيفته هى مستشار للأمن القومى، واقتصر على إبداء الرأى، ولا يتخذ القرار..

وعندما بدأت عملية التفاوض بين نيكسون والقادة السوفييت، لإحلال السلام فى الشرق الأوسط، ألغى كيسنجر دور روجرز تماما، وتولى هو الاتصال بالجانب السوفييتى بواسطة السفير أناتولى دوبرينين. ومارس ضغوطا عنيفة على الرئيس شخصيا، ليطلب من روجرز عدم الاتصال باسرائيل من أجل الانسحاب من بعض الأراضى العربية المحتلة. وكان تقديره أنه إذا وافقت إسرائيل على مبدأ التفاوض، فإن تلك الموافقة ستبدو كأنها انتصار للراديكاليين العرب، وربما تصوروا أن الأعمال الفدائية هى السبب فى رضوخ إسرائيل لوساطة الدولتين العظميين..

تطورات المسلسل..

فى ١٦ يوليو ١٩٧٣، أعلنت لجنة ووتر جيت نتائج تحقيقاتها. وتابع المواطنون فى أجهزة التليفزيون والإذاعات والصحف، تفصيلات مثيرة حول ملابسات القضية..





كان من أهم ما أفصحت عنه التحقيقات، ما قاله الكسندر بتروفيلدد، المستشار السابق فى البيت الأبيض ، على أشرطة، من خلال نظام سرى للغاية . .

طالبت اللجنة القضائية الرئيس الأمريكى بتسليم ما بحوزته من أشرطة . . لكن الرئيس رفض بشدة. ثم عرض «مختصرات» للأشرطة االتى سجلها، واشترط أن يوقف المدعى الخاص ارتشيبالد كوكس ، كل المحاولات التى تستهدف الحصول على الأشرطة . .

لكن المدعى الخاص رفض عرض الرئيس، مما أدى إلى حدوث أزمة استقال بتأثيرها المحامى العام ريشارد سون ونائبه باكليثاوس، بعد أن طالبهما الرئيس بطرد كوكس . .

وفى السابع عشر من نوفمبر ١٩٧٣، حاصر الصحفيون نيكسون بأسئلتهم. وراوغ الرجل فى إجاباته، فلم يصرح بما يمكن أن يأخذوه عليه . . ثم اكتفى بالقول: يجب أن يعرف الناس ما إذا كان رئيسهم محتالا أم لا . . وأنا لست محتالا . .

ولقد كان هذا القول بالذات هو حجة الصحف فى مواصلة السعى نحو إظهار الحقيقة ، وهل كان الرئيس صادقا فى أقواله أو العكس . .

وهل كان ما حدث فى مبنى ووترجيت مجرد حادثة سرقة عادية، أم أنه كان حلقة فى سلسلة طويلة من عمليات التجسس على الحزب المعارض . .

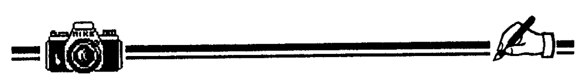
راوغ نيكسون هيئة المحلفين الفيدرالية العليا المكلفة بالتحقيق فى ملابسات حادثة السطو. وظل الأمر معلقا حوالى الشهر . . الهيئة تطلب الأشرطة، والرئيس يبذل محاولات مستميتة لعدم - أو تأجيل - تسليم الأشرطة . .

ثم تسلمت الهيئة بعض الأشرطة من البيت الأبيض، وأخضعتها للفحص والتحليل. واكتشفت أن أحد الأشرطة به فجوة مدتها ثمانى عشرة دقيقة ونصف الدقيقة. فأكد تقدير اللجنة لتلك الفجوة أنها أتت نتيجة خمس عمليات استهدفت مسح ذلك الجزء من الشريط . .

اليوم الحاسم..

وكان التاسع من مايو ١٩٧٤ يوما حاسما فى تاريخ الرئاسة الأمريكية، وفى المستقبل السياسى للرئيس ريتشارد نيكسون . . فقد اجتمعت اللجنة القضائية بمجلس النواب ، والصحف الأمريكية التى كان لها الفضل الأول فى إثارة القضية . . فإن نيكسون حاول الاكتفاء بتقديم نصوص مختصرة لمحتويات الأشرطة ، وامتنع عن تقديم بقية الأشرطة . .

وأعلنت اللجنة القضائية فى ٩ يوليو ١٩٧٤ أن البيت الأبيض قدبدل



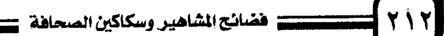
أو اختصر بعض نصوص المحادثات فى النص الرسمى الذى قدمه إلى اللجنة . .

ففى ٢٤ يوليو ١٩٧٤، أصدرت المحكمة العليا قرارها بإجماع الآراء (ثمانية أصوات مقابل لا شىء) بأن الرئيس لا يملك الحق فى الامتناع عن الامتثال لأمر قضائى بتسليم الأشرطة التى يحوزها المدعى الخاص، لتبين حقيقة ما بها من تسجيلات . .

ومع أن نيكسون قابل قرار المحكمة بالكثير من التردد ، بل إنه حاول أن يجد منافذ قانونية للامتناع عن تنفيذ قرار المحكمة، فإنه وافق فى النهاية على تسليم الأشرطة .

وأقرت لجنة مجلس النواب ـ فى الثلاثين من يوليو ١٩٧٤ ـ مشروعا بتنحية الرئيس، من خلال قانون ثالث، بتهمة عرقلة العدالة وإساءة استعمال منصب الرئاسة، وتحدى الأوامر القضائية للكونجرس .

وبعد خمسة أيام كشف نيكسون نصوص ثلاث محادثات، أجريت بعد ستة أيام من حادثة السطو على مجمع ووتر جيت . واعترف بأن الأشرطة توضح أنه بذل محاولاته لوقف التحقيقات فى القضية، لاعتبارات سياسية .





استقالة الرئيس

وفى الثامن من أغسطس ١٩٧٤ شاهد ملايين المواطنين الأمريكيين فى شاشات التليفزيون، وعبر موجات الاذاعات المختلفة، الرئيس الأمريكى ريشارد نيسكون وهو يعترف بانتصار الصحافة عليه ويقدم استقالته.

كان قرار نيكسون بالاستقالة أشبه بالنجاة من النيران فى طابق علوى، بالقفز إلى الطريق. الخطر واحد فى الحالين. لكن المرء يحاول القفز إلى المجهول الخطر من الواقع الأشد خطرا. فالنيران تهدد بإحراقه. ولو أنه ألقى بنفسه، فإن الاحتمالات متعددة تبدأ بالموت وتنتهى بالإصابات التى قد يبرأ منها.

وهذا هو الاحتمال الذى قفز نيكسون ناحيته. هذا هو الباعث الوحيد لقرار الاستقالة.

ويروى تشاك كولسون، أحد مستشارى نيكسون، أن الرئيس سأله فى قلق بعد تقديم الإستقالة:

- ترى.. ماذا سيحدث لى!؟

وأكد كولسون أن تقديم الرئيس للمحاكمة مسألة مستبعدة.



قال نيكسون فى قلقه:

- إن ذهابى إلى السجن لن يكون أسوا مما يمكن أن يحدث لى وأنا خارجه.

وأردف متعزيا:

- إن بعض أفضل الكتابات وضعت أصحابها فى السجن.

لكن جير الدفورد، نائب الرئيس الذى جعلته الأقدار رئيسا، قضى على كل الإحتمالات عندما أصدر بعد أشهر من استقالة نيكسون، عفوا كاملا، صونا لمركز رئيس الولايات المتحدة..

السياسى العائد

المثير أن نيكسون اعترف - عقب توليه منصب الرئاسة - أنه لم يكن هناك فراغ فى القيادة الجمهورية من جرّاء الانقسام والهزيمة، لم أكن هنا الآن! فهو يرجع فوزه إلى خلو المناصب القيادية فى الحزبين الرئيسيين من المنافس القوى.

وكان هذا هو - لا سواه - السبب فى فوزه برئاسة الولايات المتحدة.

وقد عبر الصحفيون عن المعنى نفسه الذى قاله نيكسون، بكلمات أخرى. ففى رأيهم أنه لو لم تكن هناك خيبة أمل مريرة لدى الناخبين

الأمريكيين من الادارة الديمقراطية، لم يكن نيكسون حيث هو الآن.

كان للرجل - قبل أن يصبح رئيسا - سجله السياسى الحافل بالثمار السلبية فهو لم يفز مرة واحدة منذ ثمانية عشر عاما ، بمجهوده الشخصى واضطر للتخلى عن ممارسة العمل السياسى فى موطنه الانتخابى - ولاية كاليفورنيا - وانتقل إلى نيويورك. فلما أخفق فى بناء قاعدة انتخابية جديدة فيها، قرر اعتزال الحياة السياسية نهائيا، خاصة بعد أن واجه الفشل مرتين: **الأولى** معركة الرئاسة فى ١٩٦٠، **والثانية** منصب حاكم ولاية كاليفورنيا فى ١٩٦٢ ذلك رغم أنه وعد الناخبين بأداء أفضل: « أيها السادة لن تشاهدوا بعد الآن نيكسون الذى ألفتم أن تطردوه خارجا متى طاب لكم».

وقرر نيكسون - بتأثير الصدمات المتوالية - أن يعتزل السياسة، وانصرف إلى ممارسة مهنته القديمة كمحام، وحقق ثروة لابأس بها من خلال توليه الدفاع عن مصالح عدة شركات ضخمة.

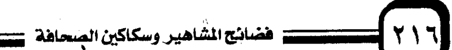
كانت مشكلة نيكسون، فى تقدير خصومه، بل وفى تقدير بعض أنصاره أيضا، أنه سياسى يفتقر إلى الجاذبية، وإلى مقومات الزعامة كالقدرة على الاقناع والتأثير فى الجماهير. فضلا عن أن وسائل الدعاية



كانت نمطية للغاية، لا تتفق مع التطور المذهل الذى تحقق فى مجالى الإعلام والدعاية.

لقد وصفه البعض يوما بأنه نيكسون المرواغ وهى صفة يصعب إلصاقها به - خاصة بعد فشله فى الصمود أمام هجوم الصحافة عليه لتنحيته من منصبه.

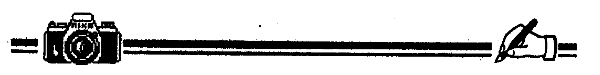
كانت ووتر جيت خطأ بالغا، لكنها لم تكن قمة أخطاء الرؤساء السابقين واللاحقين. ومع ذلك، فقد انتهت المعركة بينه وبين الصحافة باعلان تقديم استقالته من منصب الرئاسة وعندما حاول المناورة، اتسمت محاولاته بالسذاجة والبعد عن الذكاء وأهمل العديد من الثغرات التى نفذ منها خصومه، فأفلحوا في إسقاطه.



تحولات مهمة

وفى الفترة من ١٩٦٤ إلى ١٩٦٨ استطاع نيكسون تحقيق تحولات مهمة فى حياته السياسية. كسب ثقة قيادات الحزب الجمهورى، بدءًا برابليس، مرورا بياولد ووتر، وانتهاء بعشرات المرشحين المحليين الذين تطوع فى حملة جمع التبرعات لهم، وفى حملاتهم الدعائية.

ولعله يمكن القول أنه قد أسهم فى فوز الكثير من المرشحين

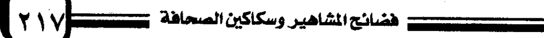


الجمهوريين فى مجلس النواب والشيوخ، وفى مناصب حكام الولايات حتى إن النيويرك تايمز بررت فوز نيكسون بإلقاء التساؤل: ألم يكن نيكسون هنا وهناك، وفى كل مكان، وفى كل وقت، كان الجمهوريون فى حاجة إليه.

أما على مستوى الناخب العادى، فقد استطاع نيكسون أن يحظى بتأييد الجمهوريين الأرثوذكس، دون أن يسفر عن تأييده للتمييز العنصرى. وحصل بذلك على أصوات معظم الناخبين الجنوبيين، فضلا عن أنه أظهر اهتماما خاصا بمشكلات الجنوب. وأكد ذلك باختياره سبيرو اجيتو نائبا له.

وحتى يزيل صورة المرشح الفاشل دوما، فقد كرس وقته لمناصرة مرشحى حزبه ومرافقتهم فى جولاتهم الانتخابية، ليتأكد بفوزهم أنه ليس حليفا للفشل كما تصور الجميع. والدليل هو قدرته على انتزاع الفوز لزملائه.

وسعيا وراء اكتساب خبرة فى السياسة الخارجية، واكتساب سمعة داخلية، بتمرسه فى السياسة العالمية. فقد بدأ نيكسون إجازة فى ١٩٦٧، قال إنه سيبتعد فيها عن السياسة لكنه قام خلالها برحلات متعددة إلى الخارج، وتعرف عن قرب إلى مشكلات العالم حينذاك.





وظهر نيكسون ـ بعد غيبة ـ على شاشات التليفزيون الأمريكى، ليترك عند ملايين المشاهدين انطباعا جديدا، يختلف عن الصورة السابقة التى كانت له من قبل.

كان نيكسون جديدا، اكتسب ثقة من نجاحه فى المحاماة، وفى تحقيق الانتصارات لزملائه من مرشحى الحزب الجمهورى، وفى جولاته الخارجية. وقالت النيويورك تايمز: هذا نيكسون جديد.. يتكلم باطمئنان وحرارة وثقة فى الفوز.

وقد حرص نيكسون طيلة معركته الانتخابية، أن «ينافق» اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة. فمع أنه كان محاميا لكبرى الشركات الأمريكية ذات المصالح الواسعة فى العالم العربى، وأنه ـ بخلاف منافسه نلسون روكفلر ـ كان بعيدا ـ إلى حد كبير ـ عن النفوذ الاسرائيلى فروكفلر هو حاكم ولاية نيويورك ذات الأكثرية العديدة الصهيونية. وكان من الصعب على نيكسون أن يتصور فوزه فى هذه الولاية ومع ذلك كله، فإن الرجل التزم خطا منحازا لاسرائيل فى معظم تصريحاته الانتخابية، وتعهد بمنع المعونات عن الدول العربية التى تهدد ميزان القوى فى الشرق الأوسط، وبتأمين تفوق عسكرى اسرائيلى على حساب العرب وأشار إلى



أن اسرائيل إذا لم تتمكن من المحافظة على ميزان القوى، فإن جيرانها سيحاولون إلقاءها فى البحر.

لكن نيكسون القديم ما لبث أن تأكدت ملامحه وخصاله، إلى جانب حرصه على نفاق الصهيونية - فى أول معركة وكان الخصم عنيدا وشرسا، متمثلا فى اثنين من الصحفيين الشبان، أصرا على خوض المعركة إلى النهاية، مزودين بالمستندات والوثائق، بينما عاد نيكسون إلى الأسلوب القديم الذى كان قد تخلى عنه، أسلوب نيكسون المراوغ.

بعد فوات الأوان

الطريف أنه بعد انتهاء الفضيحة بسنوات، أجرت مؤسسة جالوب استطلاعا للرأى العام، سجلت آراء أعداد كبيرة من المواطنين فى الأحداث السياسية التى أثرت على نظرتهم ومتابعتهم للأمور.

وقد احتلت حرب فيتنام أعلى الأرقام. ذكر ١٩ر٦٪ من المشاركين فى الاستفتاء أنها حققت آثارا سلبية كبيرة، وأفضت إلى انكماش اقتصادى واضح.

وتلا ذلك فى الترتيب رئاسة رونالد ريجان، ثم رئاسة جون كنيدى، ثم الاغتيالات التى شهدتها حقبة الستينيات، مثل اغتيال الرئيس

كنيدى والزعيم الزنجى مارتن لوثر كنج، ثم حركة الحقوق المدنية، فالحرب العالمية الثانية (مضت عليها أعوام، فتأخر ترتيبها) أما فضيحة ووتر جيت فقد حصلت على أدنى ترتيب فى الاستطلاع بنسبة ٩ر٥: من مجموع الآراء.

فهل كانت هذه النسبة الضئيلة سببا فى إسقاط الرئيس نيكسون.؟

لقد أثبتت القضايا أو الفضائح التالية - والسابقة أيضا - لووتر جيت، أنها أسوأ مما أقدم عليه نيكسون بكثير. قلّبت الصحافة فى ملفات البيت الأبيض، وفى ملفات الحزبين الرئيسيين، واستخرجت ما يفوق ووترجيت فى بشاعتها. بل إن «الفضيحة» لا تحتمل التسمية فى إطار الفضائح التى نسبت إلى الرؤساء السابقين: روزفلت وايزنهاور وكنيدى وجونسون. بل إن الفضائح التى لحقت بالرؤساء الأنقياء الذين قَدمُوا بعد اعتزال نيكسون، أثبتت أن الرجل أخطأ لأنه قدم استقالته، أو أن سواه من الرؤساء أخطأوا، لأنهم لم يقدموا استقالتهم.

وعلى سبيل المثال، فإن تقديرات الصحف لفضيحة إيران جيت، الممثلة فى بيع ادارة ريجان أسلحة أمريكية لإيران، وتحويل الثمن إلى ثوار الكونترا فى نيكاراجوا، رغم الحظر الذى كان الكونجرس قد فرضه على





تقديم العون للكونترا.

كانت تلك الفضيحة أكثر مساسا بالدستور الأمريكى وقوانين البلاد من فضيحة ووتر جيت، وإن خفف من رد الفعل لتلك الفضيحة أن الرئيس ريجان ظهر على شاشات التليفزيون حالا، واعترف بما فعلت ادارته لكنه أغفل دوره هو شخصيا، ومدى تورطه فى تلك القضية.



أين هم الآن؟!

وفى الذكرى العشرين لتفجر فضيحة ووتر جيت، استضافت شبكة سى بى. أس الصحفيين بوب وودورد، وكارل بيرنشتاين.

أكد وودورد أن الصوت الذى كان يبلغهما بتفصيلات الفضيحة كان لشخص واحد، وليس لمجموعة أشخاص، وأنه كان مسئولا كبيرا فى ادارة نيكسون. لكنه رفض أن يفصح عن اسمه، لأن الرجل ما زال حيا.

ومع أن شبكة التليفزيون حاولت أن تعيد التحقيق فى القضية، فراجعت تحركات وجدوال سفر كبار المسئولين فى ادارة نيكسون، فإنها لم توفق فى العثور على صاحب «الصوت العميق» الذى كان يلتقى بالصحفيين الشبان آنذاك.



عرف الرأى العام كل تفصيلات الفضيحة، قبل أن تبهت صورتها، لتصبح مجرد حادثة قديمة، تافهة.

أما الصحفيان وودورد، وبيرنشتابن، فإن النجاح المؤقت الذى حصلا عليه بدفع الرئيس نيكسون إلى تقديم استقالته، لم يستمر حتى النهاية.

لقد أصبح وودورد اداريا كبيرا فى الواشنطن بوست.. لكنه لم يصبح ذلك الصحفى المرموق، الذى كانت تشير إليه خطوات البداية.

ومع أنه أصدر العديد من الكتب التى تركز على الحياة الشخصية والأسرار، فإن النقاد والقراء كذلك ـ أخذوا عليه أنه اعتمد فى كل ما كتبه على مصدر وحيد، تعمد ألا يعلنه، مما يضفى ظلالا على حقيقة ما تتضمنه تلك الكتب.

أما بيرنشتاين، فقد واصل الكتابة فى الصحف، وخاض مغامرات نسائية مختلفة، ثم وقّعت معه مجلة «تايم» عقدا قيمته مائة ألف دولار فى العام، وكتب خلال ذلك العام اثنى عشر مقالا فقط، فلم تجدد التايم عقدها معه.





يبقى الرئيس نيكسون.

لقد جرت فى النهر مياه كثيرة وتبين للرأى العام الأمريكى من قضايا سابقة ولاحقة، أن ما حدث فى ووتر جيت يعتبر أمرا عاديا، إن لم يكن هامشيا، بالقياس إلى جرائم كاملة ارتكبت فى عهود رؤساء آخرين.

وكان قمة خروج نيكسون من عزلته، عندما زاره فى بيته مرشح الرئاسة الأمريكى بيرو، وطلب منه النصيحة فى القضايا الخارجية. ثم أصدر نيكسون كتابه «الفرصة السانحة» ليؤكد للجميع أنه قد عاد إلى الحياة العامة بفكرة من خلال آراء مهمة لتشمل القضايا العالمية، والعلاقات الدولية، فى أعقاب انتهاء الحرب الباردة، وتفكك المعسكر الشرقى. وهى آراء لا ترضينا بالتأكيد كعرب ومسلمين، لكنها توضح أن الرجل لم يعد ذلك الرئيس المخطئ الذى دفعته صحافة بلاده إلى التكفير عن خطئه.. فقدم استقالته.

****




الفهرس